محمود محارب

الحزب الشيوعي الإسرائيلي والنكبة

الموقف والدور





المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الحزب الشيوعي الإسرائيلي والنكبة
الموقف والدور

========================

محمود محارب

الفهرسة في أثناء النشر إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

==

محارب، محمود

الحزب الشيوعي الإسرائيلي والنكبة: الموقف والدور/محمود محارب.

يشتمل على ببليوغرافية.

ISBN 978-614-445-430-5

1. الحزب الشيوعي الإسرائيلي. 2. إسرائيل - أحزاب سياسية. 3. إسرائيل - أحوال سياسية. 4. النزاع العربي الإسرائيلي. 5. القضية الفلسطينية. 6. الحرب العربية الإسرائيلية، 1948 - 1949. 7. فلسطين - تاريخ - الاحتلال الإسرائيلي، 1948. أ. العنوان.

324.25694075

==

العنوان بالإنكليزية

Stance and Role of the Israeli Communist Party in the Nakba *by Mahmoud Muhareb*

==

==

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة - منطقة 70 وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر

هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174

ص. ب: 11 4965 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان

هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961

البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org

الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى: بيروت، كانون الثاني/يناير 2022

المحتويات

مقدمة

هذا الكتاب هو دراسة تاريخية تعالج دور الحزب الشيوعي الإسرائيلي[1] في النكبة، خلال حرب 1948، استنادًا إلى وثائقه وأدبياته المنشورة باللغتين، العبرية والعربية، والموجودة في عدد من الأرشيفات الإسرائيلية، ولا سيما أرشيف المكتبة الوطنية والجامعية في القدس الغربية، وأرشيف معهد لافون في تل أبيب. وتشمل تلك الوثائق قرارات المؤتمرات العامة وقرارات اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الشيوعي الإسرائيلي، وكتابات قيادييه وكوادره، وصحف الحزب وبياناته وإعلاناته في المناسبات المختلفة، إلى جانب المراجع الأخرى التي عالجت حرب 1948 والنكبة.
يقف الكتاب على العوامل الأساسية التي ساهمت في دعم الحزب الشيوعي الإسرائيلي إنشاء دولة للمستعمِرين الصهيونيين في فلسطين، في سنة 1948، ضدّ إرادة سكان البلاد وأصحابها الشرعيين وعلى حسابهم، ويُظهر كيفية انخراط الحزب الشيوعي في الاستراتيجية الإسرائيلية طيلة فترة حرب 1948، وفي جميع المجالات؛ العسكرية والسياسية والفكرية والإعلامية والدولية، لتحقيق هدفها. ويتابع الكتاب كيفية بلورة موقف الحزب الشيوعي من إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ودعوته إلى إنشائها قبل شهر ونصف الشهر من إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها تقسيم فلسطين إلى دولتين؛ واحدة يهودية وأخرى عربية، في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، ويقف على الأهمية التاريخية التي أعطاها الحزب الشيوعي لهذا القرار، نظرًا إلى منحه شرعية دولية لإنشاء دولة للمستوطنين اليهود في فلسطين. وتُظهر فصول الكتاب كيف أن الحزب لم يلتزم بأي بند من بنود قرار التقسيم، إلّا بند إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين، وكيف أنه أيّد بشكل علني وفعّال خرق إسرائيل لهذا القرار خلال الحرب، ودعم احتلال الهاغاناه والجيش الإسرائيلي أراضٍ عربية فلسطينية مخصصة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم، ورفض انسحاب الجيش الإسرائيلي منها، وانتقد الحكومة الإسرائيلية لعدم احتلال الجيش الإسرائيلي مناطق أوسع من تلك التي احتلها.
ويتابع الكتاب بالتفصيل الجهود المكثّفة التي بذلها الحزب مع الأحزاب الشيوعية الحاكمة في أوروبا الشرقية، منذ كانون الأول/ديسمبر 1947 وحتى سنة 1949، للمساعدة في حصول الييشوف[2] اليهودي وإسرائيل على السلاح والعتاد والمقاتلين والخبراء والهجرة اليهودية، وخاصة المقاتلة، من هذه الدول، كما يقف على مبادرته في تأسيس الفيلق التشيكي الذي شارك في الحرب لصالح إسرائيل، ويتابع انخراط أعضاء الحزب وأنصاره في الهاغاناه والبلماح[3]، ومن ثم في الجيش الإسرائيلي، ومشاركتهم في الحرب التي

شنّتها قوات الهاغاناه والجيش الإسرائيلي على مدن فلسطين وبلداتها وقراها، وطردت منها الفلسطينيين وارتكبت المجازر بحقّهم.

ويقف الكتاب على تجاهل الحزب الطبيعة الكولونيالية الإجلائية والإحلالية للحركة الصهيونية، وتحالفها المتين مع الدول الاستعمارية، ولا سيما مع بريطانيا صاحبة وعد بلفور، ومن ثم مع الولايات المتحدة الأميركية، بعد الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945)، وتجاهله هدف الصهيونية إنشاء دولة يهودية في فلسطين ونفيه تنفيذ الحركة الصهيونية طرد الشعب الفلسطيني من وطنه، وتوصيفه سعي الصهيونية إلى إقامة دولة للمستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين على حساب الشعب العربي الفلسطيني، بأنه "نضال من أجل التحرر القومي" و"من أجل الاستقلال"، ونفيه، في الوقت نفسه، حقّ الشعب العربي الفلسطيني الدفاع عن وطنه، كما وقوفه ضدّ الحركة الوطنية الفلسطينية إبّان حرب 1948، وادّعائه أنها عميلة للاستعمار، وأن المقاتلين الفلسطينيين والعرب ما هم إلّا "عصابات مأجورة" و"قتلة" و"خدم الاستعمار"، وبذلك تماثَل تمامًا مع الدعاية الصهيونية التي أصبحت هي الرواية التاريخية الإسرائيلية عن حرب 1948، ومع مجمل فرضيّاتها بخصوص تلك الحرب.

لقد بلورت إسرائيل خلال حرب 1948 رواية تاريخية وأساطير تأسيسية عن الحرب، والتي تناقضت تناقضًا حادًا مع طبيعة هذه الحرب، ومع الأهداف الحقيقية التي سعت الحركة الصهيونية إلى تحقيقها، ومع ماهية الحركة الصهيونية نفسها. وقد رسمت الرواية التاريخية الإسرائيلية صورة وردية عن إسرائيل وعن الحرب التي خاضتها في سنة 1948، ادّعت فيها أن إسرائيل كانت دولةً فتيّةً صغيرة بريئة ومحبة للسلام، وأنها وقعت ضحية لعدوان موحّد من سبع دول عربية سعت إلى إبادتها، وأنها خاضت الحرب دفاعًا عن وجودها، وحافظت فيها على طهارة السلاح، ولم ترتكب الجرائم فيها، وكانت تلك حرب القلّة ضدّ الكثرة، وانتصرت فيها القلّة على الكثرة، مثل انتصار داود على جوليات، بفضل نوعية المقاتل اليهودي وبطولته[4].

لقد تبنّى الحزب الشيوعي الإسرائيلي أثناء هذه الحرب الرواية التاريخية الإسرائيلية بجميع مركباتها وفرضيّاتها، ولكنْ لعلّ ما ميّز تبنّيه ذلك عن أغلبية الأحزاب الإسرائيلية هو استعماله المصطلحات الماركسية، مثل: صراع الطبقات، والطبقة العاملة، والقوى التقدمية، والاستيطان العامل، والعداء للإمبريالية، في سياق سعيه الدؤوب لتعزيز الرواية التاريخية الإسرائيلية وتبرير فرضيّاتها، لإضفاء صبغة تقدّمية عليها وإكسابها عداءً للاستعمار. ومن المهم الإشارة إلى أن الرواية التاريخية الإسرائيلية التي تبنّى الحزب الشيوعي الإسرائيلي جميع مركباتها وفرضيّاتها، ونشِط في نشرها محليًا وإقليميًا ودوليًا طيلة فترة الحرب، كما يظهر بوضوح في فصول الكتاب، شملت، علاوة على ما ذُكر سابقًا، العناصر التالية التي توافَق الحزب الشيوعي الإسرائيلي معها

توافقًا تامًا: أولًا: لقد تجاهلت الرواية التاريخية الإسرائيلية تجاهلًا تامًا طبيعة

الحركة الصهيونية وماهية مشروعها الكولونيالي الإجلائي الذي هدف إلى إقامة دولة يهودية للمستوطنين اليهود في فلسطين على حساب وجود الشعب العربي الفلسطيني فيها. وتجاهلت أن فكرة "الترانسفير"، أي طرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه، قد انبثقت من صلب الصهيونية، ورافقت المشروع الصهيوني في مختلف مراحله، فلا نكاد نجد قائدًا صهيونيًا إلّا وربط بين إقامة الدولة اليهودية في فلسطين وطرد الفلسطينيين منها. كما تشكّل في ثلاثينيات القرن الماضي إجماعٌ صهيونيٌ رسميٌ يدعو إلى طرد الفلسطينيين، شمل جميع الأحزاب والمؤسسات الصهيونية المختلفة[5].

ثانيًا: تجاهلت الرواية الإسرائيلية تأسيس الوكالة اليهودية ثلاث لجان ترحيل من

أجل وضع استراتيجية وخطط عملياتية لترحيل الفلسطينيين عنوة من فلسطين؛ الأولى في سنة 1937، والثانية في سنة 1942، والثالثة في سنة 1948[6].

ثالثًا: تجاهلت الرواية الإسرائيلية وضع منظمة الهاغاناه خططًا استراتيجية

عسكرية وعملياتية لطرد الفلسطينيين، كان أبرزها خطة "د" (دالِت) التي كانت تطويرًا لخطة "أ"، والتي وضعتها الهاغاناه في سنة 1941 وطوّرتها لتصبح الخطة "ب" في سنة 1943، ومن ثم الخطة "ج" في سنة 1946، وصولًا إلى الخطة "د" (دالِت) في آذار/مارس 1948، والتي نصّت على احتلال القرى والبلدات والمدن الفلسطينية وطرد سكانها، وباشرت الهاغاناه وقواتها الضاربة (البلماح) بتنفيذها في بداية نيسان/أبريل [7]1948.

رابعًا: تجاهلت الرواية الإسرائيلية إنشاء الهاغاناه جهازًا خاصًا لتنفيذ "مشروع

ملفات القرى"، انسجامًا مع مخطّطها لطرد الفلسطينيين، والذي جمع في الفترة ما بين سنتي 1943 و1948 معلومات مختلفة عن القرى والبلدات الفلسطينية؛ عددها، وعدد سكانها، وتركيبتها الديموغرافية، ونسبة الرجال القادرين على حمل السلاح فيها، وطبيعتها الطوبوغرافية، والطرق المؤدية إليها، وذلك بهدف استعمالها عندما يحين الوقت لتنفيذ مخطط طرد الفلسطينيين بالقوة وإنشاء الدولة اليهودية[8].

خامسًا: تجاهلت الرواية الإسرائيلية إعداد الحركة الصهيونية قوة عسكرية من

خلال تحالفها مع الاستعمار البريطاني من أجل تحقيق هدفيها الأساسيين المتلازمين، وهما: تأسيس دولة يهودية للمستوطنين اليهود في فلسطين؛ وطرد الشعب الفلسطيني من الأرض العربية الفلسطينية التي تقام عليها هذه الدولة. وتجاهلت الرواية التاريخية الإسرائيلية تمكّن الييشوف اليهودي في فلسطين، والذي كان عدد أفراده في منتصف سنة 1948 نحو 650 ألف نسمة،

من تجنيد مقاتلين فاق عددهم عدد الجيوش والقوات العربية التي شاركت في حرب 1948 مجتعمة، وفي جميع مراحل الحرب؛ إذ كان عدد أفراد ميليشيا الهاغاناه 64 ألفًا عشية الحرب، وكان قد تطوّع للخدمة في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية، بتشجيع من قيادة الحركة الصهيونية، 30 ألفًا من الييشوف اليهودي في فلسطين، جاء ثلثاهم من صفوف الهاغاناه، وقد عادوا وانخرطوا في صفوف الهاغاناه بعد انتهاء تلك الحرب[9].

وعند تأسيس الجيش الإسرائيلي، في 26 أيار/مايو 1948، بشكل أساسي من منظمة الهاغاناه، كان عدد أفراده 42 ألفًا، وبعد ذلك بشهر واحد فقط ارتفع عدد أفراده إلى 54 ألفًا[10]. وقد ظلّ تعداده يزداد أسبوعًا بعد آخر، في إثر استدعاء كامل قوات الاحتياط وتحديد سنّ الخدمة العسكرية لتكون السابعة عشرة، وذلك في صيف 1948، وفي إثر وصول 25 ألف مقاتل يهودي متطوّع إلى إسرائيل في النصف الثاني من سنة 1948[11]. وفي آب/أغسطس 1948 بلغ عدد المجنّدين في الجيش الإسرائيلي 75 ألفًا، وفي تشرين الأول/أكتوبر بلغ 88 ألفًا، ثم ارتفع في كانون الأول/ديسمبر ليبلغ 108 ألف مجنّدٍ[12]. أما عدد المقاتلين في الجيوش والقوات العربية التي شاركت في الحرب في سنة 1948، فبلغ في أيار/مايو 30 ألفًا، وارتفع ليصل إلى 60 ألفًا مع نهاية الحرب، وكانت أغلبيتهم من الجيش المصري.

سادسًا: تجاهلت الرواية التاريخية الإسرائيلية الانقسام الذي كان سائدًا بين

الدول العربية، والصراعات التي كانت محتدمة بينها خلال الحرب، وغضّت الطرف عن العلاقات السرية التي أقامتها إسرائيل مع بعض الدول العربية خلال هذه الحرب وعشيّتها، والتي كان لها تأثير في نتائج تلك الحرب.

سابعًا: لقد رفضت الرواية التاريخية الإسرائيلية الرسمية الاعتراف بتنفيذ

القوات العسكرية الإسرائيلية طرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه، وباقترافها جرائم حرب ضدّ الفلسطينيين، وبارتكابها المجازر بحقّهم على طول فلسطين وعرضها، والتي بلغت، وفق ما ذكره مدير أرشيف الجيش الإسرائيلي الأسبق، أرييه يتسحاقي، 110 مجازر[13]. وادّعت هذه الرواية أن الفلسطينيين هاجروا من ديارهم بدعوة من القيادة الفلسطينية ومن قيادات الدول العربية في سياق مؤامرة دبّرتها قيادة الشعب الفلسطيني وقيادات الدول العربية ضدّ إسرائيل، بهدف إحراجها وتشويه سمعتها، ولتبرير دخول جيوش الدول العربية إلى فلسطين.

تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب حرص على متابعة دور الحزب الشيوعي في النكبة خلال تطوّر أحداثها المختلفة، وفق تسلسل زمني بشكل عام، في الفترة الزمنية الممتدة منذ أواخر سنة 1947، وحتى نهاية حرب 1948 وتوقيع اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية في سنة 1949. ولا يتطرّق هذا

الكتاب إلى الدور المعاصر للحزب الشيوعي الإسرائيلي، ولا يحمّل الجيل الحالي فيه مسؤولية تلك السياسات التاريخية التي تواصلت سنوات بعد النكبة، إلى أن فقد الحزب الأمل في الانضمام إلى جبهة عريضة تشمل الأحزاب العمالية الصهيونية، وفقد الأمل في إمكانية تحالف بين إسرائيل والاتحاد السوفياتي، وقد كان هذا التحالف وهمًا على كل حال، إذ حدّدت الحركة الصهيونية خياراتها مبكرًا بالتحالف مع بريطانيا والولايات المتحدة، وواصلتها مثابرةً. وبعد انحياز الاتحاد السوفياتي في سنة 1955 إلى الأنظمة العربية القومية في صراعها مع الدول الاستعمارية وحليفتها، إسرائيل، شهدت مواقف الحزب تطوّرًا تدريجيًا باتجاه معارضة السياسات الإسرائيلية والتضامن مع الشعوب العربية والشعب الفلسطيني، متوافقةً بذلك مع تحالف الاتحاد السوفياتي مع القوى القومية العربية الصاعدة في العالم العربي. ومهّد الانقسام الذي عرفه الحزب، في سنة 1965، إلى تبلور تيار وطني فلسطيني داخل الحزب، والذي أخذ يبرز منذ منتصف السبعينيات. وقد أصبحت الأغلبية العظمى من أعضاء الحزب من العرب، وهو لا يجد حرجًا في اتخاذ مواقف معادية للصهيونية[14]. لكن سياساته التاريخية تلك، خلال النكبة، ظلّت تؤثر في روايته التاريخية عقودًا طويلة، وفي مواقفه من الحركة الوطنية الفلسطينية بدرجات متفاوتة، والأهم من ذلك أنه لم يجرِ مراجعة تاريخية نقدية للمواقف الفكرية والسياسية تلك، حتى عندما كُتب تاريخ الحزب رسميًا، وظلّ يهاجم من يؤدون هذا الدور النقدي، وهي وظيفة المؤرخ على كل حال، وكان الأولى أن يجري الحزب أيضًا هذه المراجعة التاريخية النقدية.

قد يبدو للقارئ أن في الكتاب بعض التكرار، وأعتذر إليه إذا ما تكوّن لديه هذا الانطباع، ولكنّ التكرار منهجيٌّ في الحقيقة؛ فمواقف الحزب المتكرّرة في مناسبات كثيرة، وفي مراحل الحرب المختلفة، تُظهر أن الموقف ثابت، وليس مجرد موقف عابر أو مؤقت، وهو ليس خطأ أو زلّة أو ما يشبه ذلك، ومن واجب المؤلف أن يكشف ذلك، فهو أمر جوهري في فرضية هذا الكتاب.

محمود محارب

القدس المحتلة

(1) غيّر الحزب اسمه مرات عدة في سنتي 1947 و1948، من "الحزب الشيوعي الفلسطيني" إلى "الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي"، ثم "الحزب الشيوعي الإسرائيلي".

(2) تعني كلمة "ييشوف" بالعبرية مستوطنة أو استيطانًا، وتُطلق مجازًا على مجتمع المستوطنين اليهود في فلسطين قبل تأسيس إسرائيل في سنة 1948.

(3) البلماح هي اختصار لكلمتي "بلوغوت ماحتس" بالعبرية، وتعني "كتائب الانقضاض" أو "كتائب السحق"، وقد كانت القوة العسكرية الضاربة الأكثر تدريبًا ومهنيةً لمنظمة الهاغاناه، والتي ارتكبت معظم المجازر بحقّ الفلسطينيين في حرب 1948. وكان من أبرز قادتها: يغآل ألون ويسرائيل غليلي وموشيه ديان وحاييم بارليف ويتسحاق رابين.

(4) Avi Shlaim, "Israel and the Arab Coalition in 1948," in: Eugene L. Rogan & Avi Shlaim, *The War for Palestine: Rewriting the History of 1948* (New York: Cambridge University Press, 2001), pp. 79 - 80.

(5) محمود محارب، "الصهيونية والهاجس الديمغرافي"، شؤون فلسطينية، العدد 194 (أيار/مايو 1989)، ص 26 - 47؛ كذلك يُنظر: نور الدين مصالحه، طرد الفلسطينيين: في مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882 – 1948 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992).

(6) المرجعان نفسهما. للمزيد عن تأسيس لجنة الترانسفير وعضويتها ونشاطها، يُنظر: يوسف فايتس، يومياتي ورسائلي للأبناء، مج 3 (رمات غان: مسادا للنشر، 1965)، ص 293 - 374 (بالعبرية).

(7) للمزيد عن خطط الترحيل والتطهير العرقي في فلسطين، يُنظر: إيلان بابِه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)؛ محمود محارب، "الأرشيفات في إسرائيل والرواية التاريخية الإسرائيلية والنكبة: كشف النقاب عن التقرير الذي يدحض الرواية التاريخية الإسرائيلية"، أسطور، العدد 14 (تموز/يوليو 2021)، ص 189 - 237.

(8) للمزيد عن مشروع ملفات القرى، يُنظر: شمري سلمون: بداية مشروع ملفات القرى في الهاغاناه: الفكرة والتنفيذ، 1943 – 1945 (القدس: الجامعة العبرية في القدس، 2014) (بالعبرية)؛ مشروع ملفات القرى 1945 – 1948 (تل أبيب: أرشيف تاريخ الهاغاناه، 2018) (بالعبرية).

(9) دوف تماري، الأمة المسلّحة: صعود ظاهرة الاحتياط في إسرائيل وأفولها (تل أبيب: وزارة الأمن، 2012) (بالعبرية)؛ يُنظر أيضًا مراجعة لهذا الكتاب: محمود محارب، "مراجعة كتاب الأمة المسلّحة: صعود ظاهرة الاحتياط في إسرائيل وأفولها"، سياسات عربية، العدد 2 (أيار/مايو 2013)، ص 167 - 171.

(10) عميتسور إيلان، "موازين القوى والجهوزية للحرب: جيش الدفاع الإسرائيلي والجيوش العربية في سنة 1948"، في: حرب الاستقلال 1948 – 1949: بحث مجدد، ألون قديش (محرر)، ج 1 (تل أبيب: وزارة الأمن، 2004)، ص 84 (بالعبرية).

(11) يعقوب ماركوفيتسكي، الجمرة المقاتلة: التجنيد من خارج البلاد في حرب الاستقلال (تل أبيب: وزارة الأمن، 1995)، ص 13، 17 - 62 (بالعبرية).

(12) إيلان.

(13) يئير أورون، الكارثة والنهضة والنكبة (تل أبيب: ريسلينغ، 2013)، ص 313 (بالعبرية).

(14) للمزيد عن تطوّر سياسة الحزب الشيوعي الإسرائيلي تجاه القضية الفلسطينية في العقود التي تلت النكبة، يُنظر: محمود محارب، الحزب الشيوعي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية 1948 – 1981: دراسة نقدية (القدس: [د. ن.]، 1989).

الفصل الأول: خلفية تاريخية

يتفق الباحثون على أن جذور الحركة الشيوعية في فلسطين تعود إلى اليسار الصهيوني العمالي؛ ففي سنة 1919، أسس مستوطنون صهيونيون في فلسطين حزب العمال الاشتراكي (مبس) في إثر انشقاقهم عن حزب بوعَلي تسيون (عمّال صهيون) في فلسطين. وفي تشرين الأول/أكتوبر 1919، عقد هذا الحزب مؤتمرًا، سيعدّه الحزب الشيوعي الفلسطيني لاحقًا، مؤتمره الأول[15]. وفي سنة 1920 أضاف الحزب إلى اسمه كلمة "العبريين"، فأصبح حزب العمال الاشتراكيين العبريين (مبسي)[16].

أعطت الخلفية الصهيونية للحزب الشيوعي الفلسطيني طابعًا مربِكًا، ووضعته في تناقض ما بين واقعه الكولونيالي الاستيطاني الإجلائي، والفكر الماركسي الذي يحمله؛ فخلافًا للأحزاب الشيوعية الأخرى، لم ينشأ الحزب الشيوعي الفلسطيني من احتدام الصراع الطبقي، كما حصل في معظم البلدان الأوروبية، ولم يتفرّع من الجناح اليساري للحركة الوطنية الفلسطينية مكتسبًا راديكاليته من خلال كفاحه ضدّ الاحتلال الاستعماري، كما حصل في بعض الأحزاب الشيوعية في المستعمرات. ومن المفارقات أن الحزب الشيوعي الفلسطيني وُلد من أحشاء الحركة الصهيونية التي سعت إلى إقامة دولة للمستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين على حساب الشعب العربي الفلسطيني، سكان فلسطين الأصليين. وخلافًا للحركات الكولونيالية الأخرى، لم يكن الهدف الأساسي للحركة الصهيونية الاستغلال الاقتصادي الصرف لموارد فلسطين المادية، أو لقوة العمل العربية الفلسطينية، بل تأسيس دولة يهودية صرفة للمستوطنين اليهود في فلسطين، بواسطة الهجرة والاستيطان، أي بتهجير أكبر عدد ممكن من اليهود في العالم، ولا سيما من أوروبا، إلى فلسطين وتوطينهم فيها.

وضعت الحركة الصهيونية، بجناحيها اليميني واليساري، نصب عينيها تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة، وهي: أولًا: نفي ما يُطلق عليه الصهيونيون "المنفى" (بيطول هَغولاه)، أي نفي وجود تجمّعات اليهود في العالم، و"جمع شتات" (كيبوتس غلويوت) أغلبيتهم، إن لم يكن جميعهم، في أرض فلسطين التي أطلق الصهيونيون عليها "أرض إسرائيل".

ثانيًا: إقامة دولة يهودية في أرض فلسطين.

ثالثًا: أن تكون الدولة اليهودية ملجأً آمنًا لليهود.

ومن نافل القول إن هذه الأهداف تناقضت تناقضًا حادًا مع حقوق الشعب العربي الفلسطيني، وشكّلت خطرًا كبيرًا على مجرّد وجوده في وطنه، فنفي

الوجود اليهودي في العالم الذي يُطلق عليه صهيونيًا "المنفى"، وتجميعه في فلسطين، تناقض تناقضًا حادًا مع وجود الشعب الفلسطيني في وطنه، إذ اعتمد على نفي الوجود الفلسطيني القائم في فلسطين، وعلى طرد الفلسطينيين من وطنهم. كما أن هدف تأسيس دولة يهودية في فلسطين تناقض مع حقّ الشعب العربي الفلسطيني في إنشاء دولته في فلسطين. أما الهدف الصهيوني الذي سعى إلى جعل الدولة اليهودية ملجأً آمنًا لليهود، فحمل بين ثناياه نفي توفّر مكانٍ آمن للفلسطينيين، وجعل أغلبيتهم لاجئين غير آمنين.

لم يكن هدف اليسار الصهيوني العثور على "حلٍ قومي" للمسألة اليهودية في أوروبا فحسب، بل كان يسعى إلى إيجاد "حلٍ اشتراكي" أيضًا، وذلك من خلال تأسيس مجتمع يهودي استيطاني اشتراكي، ومن ثم دولة يهودية اشتراكية في فلسطين. أما بالنسبة إلى الأغلبية العربية في فلسطين، فقد أنكر عليها اليسار الصهيوني أي دور أو مكان في ذلك المجتمع الاشتراكي، كما في تلك الدولة اليهودية الاشتراكية. وكما كانت الدولة الاشتراكية اليهودية التي سعى اليسار الصهيوني إلى تأسيسها تعني أنها دولة لليهود فقط، فإن الاشتراكية كانت تعني أيضًا بالنسبة إلى اليسار الصهيوني اشتراكية لليهود فقط. وهكذا، فعندما تحدّث اليسار الصهيوني عن الطبقة العاملة والصراع الطبقي وعلاقات الإنتاج ونقابات العمّال ودكتاتورية البروليتاريا، جاء ذلك في الإطار اليهودي المحض. علاوة على ذلك، عندما رفع اليسار الصهيوني شعاراته الثلاثة في العقد الثاني من القرن العشرين، وجّهها ضدّ العرب، فعندما تحدث اليسار الصهيوني عن "احتلال الأرض" (كيبوش هأدماه) و"إنقاذ الأرض" (غئولات هقرقع)، قصد احتلال الأرض وانتزاعها من العرب، وعندما تحدث عن "العمل العبري" (عفوداه عفريت)، قصد منع تشغيل العمّال العرب في الشركات والمرافق اليهودية، وعندما تحدث عن "الإنتاج العبري"، قصد مقاطعة البضائع العربية.

لم يأبه اليسار الصهيوني بموقف العرب الفلسطينيين من الصهيونية، فهو إما تجاهل رفض العرب الفلسطينيين للاشتراكية الصهيونية، أو علّله بـ "التخلّف" و"فقدان الوعي الطبقي" عند العرب "المحليين البدائيين". ولم يكن اليسار الصهيوني مستعدًا للإقرار بأن رفض العرب الفلسطينيين للصهيونية واشتراكية اليسار الصهيوني العنصرية كان نتيجة وجود تناقض مادي أساسي بين وجود الشعب الفلسطيني - الذي لم يكن اليسار الصهيوني يعترف بوجوده على أي حال - والمشروع الصهيوني الساعي إلى تأسيس دولة يهودية على حسابه.

لقد كان موقف اليسار الصهيوني من العرب الفلسطينيين أحد العوامل التي قادت يساريين راديكاليين في حزب عمّال صهيون إلى الاختلاف مع الصهيونية، ومن ثم الشروع في معارضتها. وكان هناك عامل ثانٍ، هو رفض الحركة

الشيوعية العالمية للصهيونية؛ إذ أدركت الأحزاب الشًيوعية، ولا سيما في أوروبا، أن الدعوة الصهيونية إلى هجرة يهودية إلى فلسطين سوف تعرقل مشاركة اليهود في الكفاح في بلدانهم الأصلية، وستعني قبول اللاسامية واضطهاد اليهود في هذه البلدان باعتبارها ضرورة تاريخية. أما العامل الثالث فقد نجم عن تحالف الحركة الصهيونية مع الدول الاستعمارية في سياق سعيها إلى تحقيق أهدافها، وكان وعد بلفور وتحالف المنظمة الصهيونية العالمية مع بريطانيا من أهم الدلائل على هذا الاتجاه.

أدرك اليساريون الراديكاليون الذين انشقّوا عن حزب عمّال صهيون أن استمرار كونهم صهيونيين يقتضي أن يؤدوا دورًا مضادًا للثورة، على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وأنه لا يمكن الجمع بين الصهيونية والشيوعية[17].

لم تتم عملية الانتقال من المعسكر الصهيوني إلى المعسكر المناهض للصهيونية في خطٍ مستقيم، بل كانت عملية تدريجية رافقها كثير من التعرّجات والانقسامات والصراعات؛ ففي سنة 1922، انسلخت أقلية يمينية عن حزب العمّال الاشتراكيين العبريين، وأسست الحزب الاشتراكي الديمقراطي اليهودي الذي لم يعمّر طويلًا[18]. ونتيجة لهذا الانقسام، أعاد حزب العمّال الاشتراكيين العبريين تنظيم نفسه، وأطلق على نفسه الحزب الشيوعي اليهودي[19]. ولم يبقَ الحزب الشيوعي اليهودي متماسكًا فترة طويلة، ففي مؤتمره المنعقد في سنة 1922 انفصلت عنه مجموعة يسارية متّهمةً إياه بالتواطؤ مع الصهيونية، وأسّست الحزب الشيوعي في فلسطين[20]. وأعادت المجموعة التي ظلّت في الحزب الشيوعي اليهودي تنظيم نفسها بعد الانقسام، وسمّت نفسها الحزب الشيوعي الفلسطيني[21]. وتصرّف الحزب الشيوعي الفلسطيني والحزب الشيوعي في فلسطين باعتبارهما حزبين منفصلين، وادّعى كلٌ منهما بأنه الحزب الشيوعي الحقيقي في فلسطين. ولكن في سنة 1923، وبعد توسّط الأممية الشيوعية (الكومنترن) والحزب الشيوعي المصري، اتّحد الحزبان المتنافسان مرة أخرى في حزب واحد تحت اسم الحزب الشيوعي الفلسطيني[22].

ويشير تغيير اسم الحزب ست مرات في أقل من أربع سنوات إلى البلبلة الفكرية والسياسية التي كانت سائدة في صفوف هذا الحزب، وإلى مدى صعوبة التخلّص من خلفيته الصهيونية، كما يشير إلى التناقض المادي الذي كان قائمًا بين كون أعضاء هذا الحزب جزءًا من المجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين من جهة، والفكر الماركسي الذي كانوا يتبنّونه، من جهة أخرى، وخاصة في سياق سعي الحزب إلى الانضمام إلى الكومنترن.

انضم أول عربي إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني في سنة 1923، بيد أن الحزب فشل في تنفيذ طلب الكومنترن في تعريب نفسه، وظلّ عدد العرب المنخرطين في صفوفه ضئيلًا جدًا حتى بداية الثلاثينيات. وقد تفاجأ الحزب الشيوعي بثورة سنة 1929 في فلسطين، وفشل في قراءته لها، وعدّها مذبحة

(بوغروم) ضدّ اليهود، وبذلك تماهى موقفه منها مع موقف الحركة الصهيونية، فلم يرَ فيها أي جوانب ثورية، ما حدا بالكومنترن إلى التدخّل مرارًا لتصويب موقف الحزب وفرض التعريب عليه من "القمة إلى الأسفل"، إذ حلّ الكومنترن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني، وشكّل لجنة مركزية جديدة مكوّنة من ثلاثة عرب ويهوديين[23]. وفي بداية سنة 1931، عقد الحزب الشيوعي الفلسطيني مؤتمره العام السابع الذي عُدّ نقطة تحوّل في تاريخ الحزب؛ إذ طوّر المؤتمر العام السابع موقف الحزب ووضع تحليلًا أعمق للحركة الصهيونية وللحركة القومية العربية، وللصراع الطبقي ولأساليب النضال، وفقًا لتعليمات وتحليلات الكومنترن المباشرة. فإلى جانب إقراره بأن الحركة الصهيونية كانت أداة في يد الإمبريالية البريطانية، أكّد المؤتمر العام السابع أن الحركة الصهيونية تهدف إلى إقامة دولة يهودية على حساب الجماهير العربية من خلال استعمار فلسطين، وأشار إلى أن الاستعمار الصهيوني لفلسطين كان يمرّ في ثلاث مراحل: الأولى، هجرة يهودية كبيرة من أنحاء العالم المختلفة إلى فلسطين بمساعدة الإمبريالية البريطانية؛ والثانية، انتزاع الأراضي العربية من خلال طرد الفلاحين الفلسطينيين من أرضهم واستعمار المستوطنين اليهود الصهيونيين لها؛ والثالثة، خلق امتيازات لمجتمع المستوطنين الصهيونيين في فلسطين.

وأوضح المؤتمر أن كل فرد تقريبًا في المجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين يتمتع بامتيازات، بمن فيهم المزارعون والعمّال اليهود الذين كان دخلهم يبلغ أربعة أضعاف دخل المزارعين العرب، وقارن دورهم السياسي بدور الكولاك المضاد للثورة. وحلّل المؤتمر بعمق وضع الطبقة العاملة في مجتمع المستوطنين اليهود في فلسطين، وأكّد أنها كانت تتمتّع بفرص عمل وظروف أفضل من الطبقة العاملة العربية. وفي ما يخصّ مشاركة الطبقة العاملة اليهودية في النضال ضدّ الإمبريالية والصهيونية، أكّد المؤتمر أن العمال اليهود لن يدركوا أنهم أمام خيارين؛ إما أن يتركوا المعسكر الإمبريالي، ما يعني الهجرة من فلسطين، أو أن ينضموا إلى المعسكر الثوري، إلّا إذا فقدوا امتيازاتهم. كما أكّد المؤتمر أن جماهير الفلاحين والعمّال العرب الفلسطينيين تشكّل الأغلبية العظمى من سكان فلسطين، وتشكّل قاعدة النضال الثوري ضدّ الإمبريالية البريطانية والصهيونية، وكبار الملّاكين العرب. وأشار المؤتمر إلى أن أشكال النضال التقليدية السلمية ما عادت تكفي وحدها، ودعا إلى ثورة مسلّحة بقيادة الطبقة العاملة[24].

ويبدو أن قسمًا كبيرًا من المستوطنين اليهود من أعضاء الحزب لم يهضم قرارات المؤتمر، فعند انطلاق ثورة 1936 - 1939 في فلسطين، أيّدتها قيادة الحزب الشيوعي الفلسطيني، ولكن سرعان ما دبّ الخلاف بين العرب الفلسطينيين والمستوطنين اليهود في الحزب في شأنها، وتوترت العلاقات بين الجانبين، ما أدى إلى سماح قيادة الحزب للمستوطنين اليهود فيه أن

ينظّموا أنفسهم بشكل مستقل. وقد توسّع الخلاف والصراع بين العرب الفلسطينيين والمستوطنين اليهود داخل الحزب في شأن المسألة القومية في فلسطين، في أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، ودار حول موضوعات رئيسة عدة، وهي: الموقف من الحركة الوطنية الفلسطينية ومن أساليب النضال ومن تقويم ثورة 1936؛ الموقف من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وإذا ما كان المستوطنون اليهود في فلسطين يشكّلون أمة، وإذا ما كانت لهم حقوق قومية تقدّمية لا تتناقض مع حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية؛ إمكانية وجود عناصر تقدّمية داخل الحركة الصهيونية، وإمكانية التحالف معها[25].

أسفر الصراع الداخلي بين العرب الفلسطينيين والمستوطنين اليهود في داخل الحزب الشيوعي الفلسطيني عن انقسامه نهائيًا في سنة 1944 إلى حزبين. وفي حين أعاد المستوطنون اليهود من أعضائه تنظيم أنفسهم بقيادة شموئيل ميكونِس[26] ومئير فلنر[27]، واحتفظوا باسم الحزب الشيوعي الفلسطيني، نظّم الشيوعيون العرب الفلسطينيون أنفسهم في عصبة التحرر الوطني[28].

عقد الحزب الشيوعي الفلسطيني، والذي اقتصرت عضويته على المستوطنين اليهود الشيوعيين، كما كان في السنوات الأولى لتأسيسه، المؤتمر العام الثامن للحزب في سنة 1944، وقد تناقضت قرارات هذا المؤتمر مع قرارات المؤتمر السابع للحزب الذي عُقد في سنة 1931، واقتربت كثيرًا من مواقف الحركة الصهيونية، ولا سيما تلك التي تتعلّق بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وبناء الوطن القومي اليهودي، والموقف من الشعب العربي الفلسطيني وحقوقه القومية. وقد عارضت قرارات هذا المؤتمر بشدّة الكتاب الأبيض البريطاني الذي صدر في أيار/مايو 1939، والذي نصّ على الحدّ من الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومن امتلاك الحركة الصهيونية للأراضي العربية، كما عارضته قيادة الحركة الصهيونية. واعترف المؤتمر بالمستوطنين اليهود في فلسطين أقليةً قوميةً لها حقوق جماعية في فلسطين[29].

وفي مؤتمره التاسع الذي عُقد في سنة 1945، اقترب الحزب الشيوعي الفلسطيني، بقيادة شموئيل ميكونِس ومئير فلنر، أكثر فأكثر من صلب الصهيونية وهدفها المركزي، والذي هو إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ولكن من دون أن يتبنّى الصهيونية رسميًا. ليس هذا فحسب، بل نادى الحزب بفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتسهيل عملية الاستيطان فيها، حين دعا مؤتمره التاسع إلى "التطوّر الحر للوطن القومي اليهودي"، وإلى "النضال من أجل تطوير الوطن القومي اليهودي". وأكّد ميكونِس أن الحزب الشيوعي الفلسطيني يعتبر الييشوف اليهودي جزءًا لا يتجزّأ من سكان فلسطين، وفي الوقت نفسه، جزءًا من الشعب اليهودي في العالم. وشرح مفهوم الحزب الشيوعي للوطن القومي اليهودي، فأكّد أن

"الوطن القومي اليهودي يعني فسح المجال أمام الييشوف اليهودي لتطوير حياته الاقتصادية في مجالات الزراعة والصناعة والملاحة والتجارة ...إلخ، وكذلك تطوير حياته القومية والثقافية على أسس التقدّم وأخوّة الشعوب، ويعني إلغاء القوانين المعادية لليهود التي وردت في الكتاب الأبيض في ما يخصّ الهجرة اليهودية والاستيطان، وأيضًا يعني الحق في تطوير مؤسسات الحكم القومي الذاتي، ابتداء من السلطات المحلية وانتهاءً باللجنة القومية[30]، في جميع القضايا الداخلية للييشوف اليهودي"[31]. وهذا ما كانت الحركة الصهيونية تقوم به فعلًا ضمن وضع أسس الدولة اليهودية.
نقلة نوعية أخرى للحزب الشيوعي الفلسطيني في مواقفه ظهرت عندما لم يكتفِ بالاعتراف بالمستوطنين اليهود في فلسطين أقليةً قوميةً لها حقوق جماعية، وإنما اعترف بهم أمة في فلسطين، وذلك حين أقرّ الحزب في مؤتمره العاشر الذي عُقد في سنة 1946 بأن "الوطن القومي اليهودي بات حقيقة"، وبأن "وجود أمّتين في فلسطين ما عاد بالإمكان تجاهله"، ودعا إلى إقامة دولة ثنائية القومية، عربية يهودية، في فلسطين[32].

التغيير الاستراتيجي في موقف الاتحاد السوفياتي

في الوقت الذي سار الحزب الشيوعي الفلسطيني بقيادة ميكونِس وفلنر سنة بعد أخرى نحو قبول المواقف الأساسية للصهيونية، وأخذ يتبنّى هدفها الأساسي الذي طالما طالبت به المنظمة الصهيونية العالمية، منذ مؤتمرها الأول في سنة 1897، والذي هو إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، شهد منتصف سنة 1947 تغييرًا استراتيجيًا في موقف الاتحاد السوفياتي من إنشاء وطن قومي يهودي ودولة يهودية في فلسطين. ففي تلك السنة بحثت الجمعية العامة للأمم المتحدة القضية الفلسطينية، وشكّلت في أيار/مايو 1947 لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (UNSCOP) من أجل استقصاء الوضع فيها. وقد خشي الفلسطينيون من تشكيل هذه اللجنة، ومن إمكانية خضوعها للضغوط الصهيونية والاستعمارية، وخاصة الأميركية، فقاطعوها عند وصولها إلى فلسطين في حزيران/يونيو 1947، بمن فيهم عصبة التحرر الوطني. ونتيجة لهذه المقاطعة، استمعت اللجنة إلى شهادات الييشوف اليهودي فقط، بما في ذلك شهادة الحزب الشيوعي الفلسطيني بقيادة ميكونِس وفلنر. وكان من بين الأطراف التي قابلتها اللجنة المنظمات اليهودية الصهيونية العسكرية، وهي: الهاغاناه، والمنظمة العسكرية القومية (إتسِل)، ومنظمة "المحاربون من أجل حرية إسرائيل" (لوحَمي حيروت ليسرائيل - ليحي). وقد كُشف النقاب بعد ذلك عن أن اللجنة اهتمّت بالدرجة الأولى بتقويم قدرة الييشوف اليهودي ومنظماته العسكرية في فلسطين على مجابهة الفلسطينيين والدول العربية، وفرض الدولة عليهم بالقوة، فبعد خمس عشرة سنة من تقديم اللجنة تقريرها للأمم المتحدة، كشف أحد أعضاء هذه اللجنة عن أنه لو لم يقتنع هو وزملاؤه

بمقدرة القوات العسكرية اليهودية على فرض الدولة اليهودية بالقوة والدفاع عنها، لما أوصوا بإقامتها[33].

لم تنجح اللجنة في التوصّل إلى توصية موحّدة، فقدّمت توصيتين إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة؛ إذ أوصت الأغلبية في اللجنة بتقسيم فلسطين وإقامة دولتين فيها، واحدة يهودية وأخرى عربية، ووضْع منطقة القدس تحت وصاية دولية، بينما أوصت الأقلية بإقامة دولة فدرالية ثنائية القومية. وفي 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، قرّرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قبول توصية الأغلبية.

من المهم الوقوف على موقف الاتحاد السوفياتي، في ذلك الوقت الدقيق والحاسم، من إمكانية تقسيم فلسطين، وبشكل أدقّ، من إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ولا سيما أن الاتحاد السوفياتي وقف تاريخيًا ضدّ المشروع الصهيوني الهادف إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين، ودعا، دومًا، انطلاقًا من أيديولوجيته الماركسية اللينينية، إلى حلّ المسألة اليهودية في العالم بدمج اليهود في المجتمعات والدول التي يعيشون فيها.

عشية توجّه اللجنة إلى فلسطين، ألقى أندريه غروميكو، مندوب الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة، في 14 أيار/مايو 1947، بيانًا بخصوص الوضع في فلسطين. ومن المهم الإشارة إلى الربط الذي قام به غروميكو في هذا البيان بين المسألة اليهودية في أوروبا والقضية الفلسطينية؛ إذ ذكر غروميكو أن تطلّعات جزء كبير من الشعب اليهودي ترتبط بفلسطين، وحاجج في ذلك بأن اليهود اضطُهدوا وعُذّبوا وأُبيدوا في الحرب العالمية الثانية، وأن اليهود الذين نجوا وظلّوا في أوروبا، لا وطن لهم، وبناءً عليه، فإن "من الظلم ألّا نفهم طموحاتهم وآمالهم في الحصول على وطن"[34]. ومن هذا المنظور، ربط غروميكو وضع اليهود في أوروبا بالقضية الفلسطينية، مؤيّدًا مطامح اليهود في الحصول على وطن، ليس في أوروبا، بل في فلسطين، الأمر الذي طالما طالبت به الحركة الصهيونية.

وقد ادّعى غروميكو في بيانه وجود أُمّتين في فلسطين، وأن لكل منهما جذورها التاريخية فيها، وأن الحقوق المشروعة لهاتين الأُمّتين في فلسطين سيكون بالإمكان حمايتها بإقامة دولة ثنائية القومية، مستقلة وديمقراطية ومتجانسة. ولكنه أضاف أنه إذا تبيّنت استحالة تنفيذ هذا الحلّ بسبب اضطراب العلاقات بين الشعبين، فلا بد عندئذ من البحث عن حلٍّ آخر يكون له - كما كان للحلّ الأول - مسوّغ تاريخي في فلسطين، وهو تقسيم فلسطين إلى دولتين ديمقراطيتين[35]. كانت هذه المرة الأولى على الإطلاق التي يتحدث فيها مسؤول في الاتحاد السوفياتي عن إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين من خلال تقسيمها إلى دولتين، ومنح ذلك مسوّغًا تاريخيًا.

رحّب الحزب الشيوعي الفلسطيني بدعوة غروميكو إلى إقامة دولة عربية يهودية متّحدة، فهذه الدعوة كانت تنسجم، كما أكدت افتتاحية كول هعام، مع قرارات مؤتمر الحزب الشيوعي الفلسطيني العاشر[36]. أما عصبة التحرر الوطني المؤلّفة من الشيوعيين العرب الفلسطينيين، فقد أصدرت بيانًا طالبت فيه بإلغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وجلاء القوات الأجنبية منها، وإقامة دولة فلسطين الديمقراطية التي تضمن العدالة والمساواة لجميع مواطنيها، وذلك من دون أن تعترف باليهود باعتبارهم شعبًا[37]. وعارض بيان عصبة التحرر الوطني بشدة إمكانية تقسيم فلسطين؛ لأن "التقسيم يفصل الوطن الواحد إلى معسكرين متناحرين يثيرهما الاستعمار الواحد على الآخر في كل مرة يشعر بحراجة مركزه". وأضاف البيان أن "التقسيم ينشئ الدولة اليهودية العنصرية في قسم من فلسطين، ويجعل منها نقطة ارتكاز لحشود الاستعمار، يهدد بها الدول العربية"[38].

أثار بيان غروميكو قلقًا شديدًا لدى قيادة عصبة التحرر الوطني من أن يغيّر الاتحاد السوفياتي موقفه التاريخي المعارض للصهيونية ولهدفها الجوهري المتمثّل في إنشاء دولة يهودية في فلسطين. ودفع هذا القلق إميل توما، أحد أبرز مفكري وقياديي عصبة التحرر الوطني حينئذ، إلى إرسال مذكرة طويلة باسم عصبة التحرر الوطني إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي، شرح فيها بإسهاب خطورة مقترح تقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها[39]. وأكّد توما أن بيان غروميكو في ما يخصّ إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين، يتناقض مع بيان الأحزاب الشيوعية في دول الإمبراطورية البريطانية الذي صدر في آذار/مارس 1947، ويتناقض كذلك مع الموقف التاريخي للاتحاد السوفياتي من القضية الفلسطينية، المناهض للصهيونية. وأشار أيضًا إلى أن الحزب الشيوعي الفلسطيني طالما ناضل ضدّ الحركة الصهيونية، وضدّ إنشاء دولة يهودية فيها، وإلى أن الحركة الصهيونية كانت، ولا تزال، تشكّل أداةً في يد الاستعمار البريطاني من أجل خلق حصان طروادة في الشرق الأوسط. ووضّح بأن الحركة الوطنية الفلسطينية هي وحدها التي ناضلت ضدّ الاستعمار البريطاني، وهي وحدها التي طالبت بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين فورًا. وحذّر توما في مذكرته من إمكانية أن يؤيّد الاتحاد السوفياتي تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها؛ لأن ذلك، إذا حصل، فإنه يضعف الحركة الثورية في الدول العربية، ويقدّم خدمة للنُظم والقوى الرجعية فيها[40].

وفي شهادته أمام لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، طالب ممثّل الحزب الشيوعي، مئير فلنر، بإقامة دولة عربية - يهودية ديمقراطية، ورفض مشروع التقسيم[41]. وظلّ الحزب الشيوعي الفلسطيني متمسّكًا بموقفه هذا أشهرًا عدة. وعندما قدّمت لجنة الأمم الخاصة بفلسطين توصيتها للجمعية العامة

للأمم المتحدة، في بداية أيلول/سسبتمبر 1947، قبِل الحزب الشيوعي الفلسطيني توصية الأقلية ورفض توصية الأغلبية[42]. وحاجحت افتتاحية كول هعام بأن التقسيم "غير منطقي وغير قابل للتطبيق"، وأنه "يتجاوز أحلام بن غوريون". وشكّكت في وجود أغلبية يهودية في المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية، وفق توصية الأغلبية في اللجنة، وأكّدت أن التقسيم "يبقي السلطة في أيدي بريطانيا الإمبريالية، ويتنكر للاستقلال القومي للعرب ولليهود، ولا يوفر أي حلّ لمشاكل البلاد"[43].

أما عصبة التحرر الوطني، فرفضت توصية الأغلبية في اللجنة، كما عارضت توصية الأقلية؛ إذ وصفت العصبة توصية الأغلبية في اللجنة بأنها مؤامرة على مستقبل فلسطين، وأنها تهدف إلى تأمين مصالح الكتلة الأنكلو - أميركية الاستعمارية في فلسطين وبقية أنحاء المشرق العربي، من حيث المناطق الاستراتيجية وصيانة ممرات أنابيب البترول ومصبّاتها، وإضعاف حركات التحرر الوطني النامية وتجزئة قواها[44]. وعارضت العصبة توصية الأقلية في اللجنة التي دعت إلى إقامة دولة فدرالية عربية - يهودية؛ لأنها، وفق ما ذكرته العصبة، فرضت شكلًا لاستقلال فلسطين، وهذا ليس من حقّ لجنة، مهما كان شأنها، بل هو من حقّ أهل فلسطين أنفسهم[45].

في 13 تشرين الأول/أكتوبر 1947، خطا مندوب الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة، سميون تسربكين، خطوة نهائية باتجاه تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها، حين صرّح في الأمم المتحدة أنه "في الظروف الراهنة التي تدهورت فيها العلاقات بين العرب واليهود ووصلت إلى هذا الحدّ من التوتر [...]، يبدو أنه لا يمكن تنفيذ مشروع الأقلية، ومن ثم فإن الحاجة تقتضي قبول مشروع الأغلبية"[46].

وفي محاضرته أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، في 16 تشرين الأول/أكتوبر 1947، أيّد شموئيل ميكونِس بوضوح، ومن دون تحفّظ، تصريح تسربكين، ووقف على أهميته التاريخية، حين قال إن "لتصريح تسربكين أهمية تاريخية للشعب اليهودي وللشعب العربي وللبلاد كلها. إنه مبنيّ على أسس متينة للسياسة السوفياتية في المسألة القومية، وعلى الاحتياجات الملحّة لليهود والعرب، وعلى متطلّبات السلام والتقدّم في بلادنا وفي الشرق الأوسط"[47]. وأضاف ميكونِس أن تصريح تسربكين "ينطلق من حقّ كلٍ من اليهود والعرب العيش في حرية وسلام في دولته المستقلة"، وأكّد أن الاتحاد السوفياتي عبّر من خلال هذا التصريح عن موقفه الواضح في دعم حقّ اليهود في إنشاء دولة لهم في فلسطين، وبذلك جرى فتح فصل جديد مهم للغاية في حياة اليشوف والشعب اليهودي. وأضاف ميكونِس أن موقف الاتحاد السوفياتي الداعم لإنشاء دولة يهودية يشكّل دفعة قوية للحزب الشيوعي

لتجنيد القوى التقدّمية في الييشوف، وفي أوساط الشعب اليهودي في العالم، للنضال من أجل تحقيق الاستقلال القومي والديمقراطية[48].
وأشار ميكونِس في محاضرته إلى أن تأسيس الدولة اليهودية يُحدِث تغييرًا في قضيّتين مهمتين، طالما دار صراع في شأنهما في العقود الماضية، وهما: الهجرة اليهودية والأرض، موضّحًا أنه سيكون بمقدور الدولة اليهودية عند تأسيسها استعمال الأراضي التي تسيطر عليها وفق احتياجات الجماهير ومصالحها الحيوية. ومن الجدير بالذكر أن العرب الفلسطينيين كانوا يملكون الأغلبية العظمى من الأراضي في المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية، ما عنى أن ميكونِس دعم ضمنيًا سيطرة الدولة اليهودية، بعد تأسيسها، على أراضي العرب. وهذا ما حدث بالفعل؛ فسرعان ما دعم ميكونِس والحزب الشيوعي الإسرائيلي، بعيد تأسيس إسرائيل، سيطرة الدولة على الأراضي العربية "المتروكة" والقرى العربية "المهجورة" التي قام الجيش الإسرائيلي بتهجير أصحابها الفلسطينيين منها. وأضاف ميكونِس في محاضرته أنه سيكون بمقدور الدولة اليهودية استيعاب الهجرة اليهودية من دون تدخّل استعماري، وأردف قائلًا بأن الحزب الشيوعي لن ينتظر تأسيس الدولة اليهودية التي ستحلّ بطبيعة الحال عند تأسيسها مسألة الهجرة اليهودية، وإنما سيستمر في نضاله من أجل حقّ ربع مليون يهودي موجودين في المخيّمات في أوروبا وقبرص، من أجل الهجرة إلى الييشوف اليهودي[49].

ورحّبت افتتاحية كول هعام بتصريح تسربكين المذكور، وذكرت أن جماهير

الييشوف اليهودي استقبلته بارتياح كبير، وأضافت أن تأييد الاتحاد السوفياتي للتقسيم لم ينجم عن كون التقسيم هو الحلّ الأفضل، وإنما جاء لأنه لا تتوفر بين اليهود والعرب قوى تكافح من أجل إقامة دولة يهودية ودولة عربية في إطار دولة فدرالية واحدة[50]. وأضافت الافتتاحية أن هذا التصريح يثبت، مرة أخرى، أن الاتحاد السوفياتي هو الصديق الأشدّ إخلاصًا لليهود والعرب، وأنه الدولة العظمى الوحيدة التي تؤيّد تطلّعات اليهود والعرب للاستقلال القومي والتحرّر من الإمبريالية[51].

خلافًا لموقفي الحزب الشيوعي الفلسطيني والاتحاد السوفياتي، استمرت عصبة التحرر الوطني في رفضها الشديد لمشروع التقسيم؛ فبعد تصريح تسربكين بنحو أسبوعين، نشرت عصبة التحرر الوطني بيانًا وقّعه جميع أعضاء لجنتها المركزية، يرفض مشروع التقسيم، لأنه "مشروع استعماري عمل للتحضير له المستعمِر من يوم أن وطأت أقدامه أرض فلسطين"[52]. وحذّر البيان "الجماهير اليهودية في فلسطين من خطر السير وراء الأهداف الصهيونية في تأييد التقسيم وإنشاء الدولة اليهودية". وأضاف: "إن الحركة الصهيونية، بما لها من منظمات إرهابية، سرية أو شبه علنية، وبما تسعى إليه

من أهداف إقليمية عدوانية، تصبّ الزيت على نار الحرب العنصرية التي يريد لها المستعمِر البقاء. والدولة اليهودية لن تؤمّن للجماهير اليهودية في فلسطين ما تنشده من سلم واستقرار، لأنها ستقود إلى نقل الاحتراب العنصري المقيت من أوروبا إلى فلسطين التي لم تعرفه في يوم من الأيام، ولن تكون الدولة المزعومة، إلّا موطئ قدم لتدخّلات الاستعمار الأنكلو - أميركي في الأقطار العربية"[53]. وناشد البيان سكان فلسطين أجمعين العمل على "بناء فلسطين ديمقراطية مستقلة غير مجزّأة"[54].

وعلى الرغم من أن جميع أعضاء اللجنة المركزية وقّعوا البيان المذكور، فإن انقسامًا بدأ يظهر في اللجنة المركزية عندما تبيّن أن موقف الاتحاد السوفياتي كان ثابتًا وليس مؤقتًا، وقد ولّد الانقسام حالة من الإرباك، معبّرًا عن نفسه في صحيفة الحزب، حين كتب المحرر السياسي لصحيفة الاتحاد أن مفاجأة وقعت قلبت الوضع رأسًا على عقب عندما أيّد الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية التقسيم. وعلى الرغم من أن المحرر السياسي للصحيفة ذكر أن مشروع التقسيم مؤامرة بريطانية قديمة، فإنه ادّعى أن موقف بريطانيا الجديد كان ضدّ التقسيم، وعزا ذلك إلى تعاظم المشاعر المعادية لبريطانيا في الأمم المتحدة، واستنتج أن "مؤامرة الاستعمار والسياسة الصهيونية وموقف القيادة الوطنية [الفلسطينية] التي لم ترد أن تتبنّى الحقائق المحيطة بها، وما نتج عن ذلك من توتر في العلاقات بين العرب واليهود، كل ذلك كان هو الذي أوصل فلسطين إلى حلّ التقسيم"[55].

بيد أنه تبيّن لاحقًا أن المحرر السياسي لصحيفة الاتحاد لم يكن يمثّل الأغلبية في اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في شأن الموقف من التقسيم، بل الأقلية. ولم تتوصّل اللجنة المركزية للعصبة إلى موقف موحّد من قرار التقسيم، حتى بعد أن أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، إذ ظلّت الأغلبية في اللجنة المركزية مصرّة على رفضها التقسيم، بينما قبلته الأقلية[56]. وفي إثر عدم التزام الأقلية في اللجنة المركزية بقرار الأغلبية، انقسم أعضاء عصبة التحرر، والذين كان عددهم حينئذ يربو على 300 عضو، إلى قسمين؛ استمر القسم الأول في معارضة قرار التقسيم وانخرط في نضال الحركة الوطنية الفلسطينية في الدفاع عن فلسطين، وفي النضال ضدّ إنشاء دولة للمستوطنين اليهود على حساب الشعب العربي الفلسطيني، أما القسم الثاني الذي كانت تمثّله الأقلية في اللجنة المركزية للعصبة، فنظّم اجتماعًا لأنصاره من أعضاء العصبة في مدينة الناصرة، في شباط/فبراير 1948، وقد قوطع من ممثّلي الأغلبية في اللجنة المركزية للعصبة، وقبِل هذا الاجتماع قرار التقسيم[57].

وشرع هذا التيار في العصبة، والذي كان يقوده فؤاد نصار وإميل حبيبي وتوفيق طوبي، في تبنّي موقف الاتحاد السوفياتي في شأن قرار التقسيم وتطوّرات القضية الفلسطينية[58]. وقد تمكّن تيار الأقلية في عصبة التحرر الوطني، من تولّي قيادتها في تلك المرحلة، وذلك في ضوء النكبة، وفي ضوء تبنّيه موقف الاتحاد السوفياتي من القضية الفلسطينية، وبسبب الشلل الذي أصاب تيار الأغلبية في العصبة وتجميد نشاط بعض قياديي هذا التيار ومراجعة بعضهم الآخر لمواقفه. ومن المهم الإشارة إلى أن عصبة التحرر الوطني التي كانت في نطاق المنطقة المخصّصة للدولة الفلسطينية واحتلتها إسرائيل، قد حلّت نفسها واندمجت في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، في تشرين الأول/ أكتوبر 1948، كما سنرى لاحقًا. أما القسم الثاني من عصبة التحرر الوطني في المنطقة المخصّصة للدولة الفلسطينية، والتي ضمّها الأردن إليه، فقد حلّت نفسها في سنة 1951، وأسّست مع نفر من الأردنيين الحزب الشيوعي الأردني[59].

(15) بيرتس مرحاف، تاريخ الحركة العمالية في أرض إسرائيل: التطوّر الفكري السياسي (مرحافيا: هاكيبوتس هآرتسي، 1967)، ص 83 (بالعبرية).

(16) اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، خمسون سنة لتأسيس الحزب الشيوعي في البلاد (حيفا: الحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1970)، ص 35 (بالعبرية).

(17) للمزيد عن خلفية الحزب، يُنظر: Suliman Bashear, *Communism in the Arab East, 1918 - 1928* (London: Ithaca Press, 1980), pp. 43 - 54; يُنظر أيضًا: ماهر الشريف، الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين 1919 – 1948: الوطني والطبقي في الثورة التحررية المناهضة للإمبريالية والصهيونية (القدس: منشورات صلاح الدين، 1982)، ص 17 - 28.

(18) Bashear, p. 47.

(19) Ibid.

(20) Ibid.

(21) Ibid.

(22) Ibid., pp. 48 - 49.

(23) سميح سمارة، العمل الشيوعي في فلسطين: الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية (بيروت: دار الفارابي، 1979)، ص 157. للمزيد عن دور الكومنترن في تعريب الحزب الشيوعي الفلسطيني، يُنظر: المرجع نفسه، ص 169 - 176.

(24) للاطّلاع على قرارات المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني، يُنظر: الأممية الشيوعية والثورة العربية: الكفاح ضد الإمبريالية، الوحدة، فلسطين: وثائق 1931، ترجمها وقدّم لها إلياس مرقص (بيروت: دار الحقيقة، 1970)، ص 121 - 173.

(25) محمود محارب، الحزب الشيوعي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية 1948 – 1981: دراسة نقدية (القدس: [د. ن.]، 1989)، ص 18.

(26) شموئيل ميكونِس (1903 - 1982): وُلد في أوكرانيا لعائلة يهودية متديّنة. انضم إلى حركة هحلوتس الصهيونية، وهاجر من خلالها إلى فلسطين واستوطن فيها في سنة 1921. درس الهندسة في فرنسا، وعمِل مهندسًا في شركة "شِل" بين سنتي 1933 و1945، عمِل خلالها على شقّ الشوارع وبناء قواعد عسكرية للجيش البريطاني في فلسطين. في سنة 1939 انضم إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني، وفي سنة 1944 أصبح أمينه العام، بعد الانقسام الذي شهده الحزب بين العرب والمستوطنين اليهود في ذلك العام. ظلّ في

منصبه ذاك، وقد غيّر الحزب اسمه إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي بعد قيام إسرائيل، حتى انشقاقه في سنة 1965.

(27) مئير فلنر (بير كوبنر) (1918 - 2003): وُلد في مدينة فيلنا بلتوانيا. انضم إلى حركة هشومير هتسعير الصهيونية اليسارية، وهاجر من خلالها إلى فلسطين واستوطن فيها في سنة 1938. درس في الجامعة العبرية في القدس. في سنة 1940 انضم إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني، وفي سنة 1943 أصبح سكرتير فرع الحزب في القدس، ثم أصبح الرجل الثاني في الحزب الشيوعي الفلسطيني بعد شموئيل ميكونِس. كان فلنر من وقّع "وثيقة استقلال" إسرائيل في سنة 1948 عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي. وبعد انشقاق الحزب في سنة 1965 وخروج ميكونِس منه، أصبح فلنر الأمين العام للحزب الشيوعي الإسرائيلي.

(28) للمزيد عن عصبة التحرر الوطني، يُنظر: الشريف، ص 104 - 132.

(29) محارب، الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ص 19.

(30) بالعبرية "هفاعد هلئومي"، وهي القيادة الرسمية لمجتمع المستوطنين اليهود في فلسطين حينئذ.

(31) شموئيل ميكونِس، "نحو المؤتمر التاسع للحزب"، في: شموئيل ميكونِس، عواصف الزمن (تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1969)، ص 35 - 45 (بالعبرية).

(32) "كلمة مئير فلنر في المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفلسطيني"، كول هعام، 5/12/1946. صحيفة كول هعام (صوت الشعب) هي لسان حال الحزب الشيوعي باللغة العبرية. صدرت نشرة شهرية في سنة 1937، ثم تحوّلت في سنة 1942 إلى أسبوعية. وفي كانون الأول/ديسمبر 1944 منحتها سلطات الانتداب البريطاني تصريحًا للصدور، فبدأت تصدر منذ 20/12/1944 بشكل قانوني. وفي شباط/فبراير 1947 أصبحت صحيفة يومية، وظلّت لسان حال الحزب الشيوعي الإسرائيلي حتى انشقاقه في سنة 1965.

(33) يوسف أفيدار، في الطريق إلى جيش الدفاع الإسرائيلي (تل أبيب: معرخوت، 1970)، ص 260 (بالعبرية)؛ يُنظر أيضًا: عبد الحفيظ محارب، هاغاناه، إتسل، ليحي: العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة 1937 – 1948 (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1981)، ص 270.

(34) ي. فرانكل (محرر)، الحركة الشيوعية والييشوف في أرض إسرائيل 1920 – 1948 (القدس: أكادمون، 1968)، ص 182 - 184 (بالعبرية).

(35) المرجع نفسه.
(36) "إعلان تاريخي لمندوب الاتحاد السوفياتي"، كول هعام، 16/5/1947.
(37) "النداء التاريخي الذي أذاعته عصبة التحرر الوطني في فلسطين لمناسبة انتهاء الدورة الخاصة وتأليف لجنة التحقيق الدولية"، الاتحاد، 25/5/1947.
(38) المرجع نفسه.
(39) كتب إميل توما المذكرة باللغة الإنكليزية، وجاءت في 91 صفحة، يُنظر: بنيامين بينكوس، علاقات خاصة: الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه وعلاقاتهم مع الشعب اليهودي والصهيونية ودولة إسرائيل 1939 – 1959 (القدس: معهد بن غوريون لبحث إسرائيل والصهيونية؛ كريات سديه بوكير؛ جامعة بن غوريون، 2007)، ص 175 - 176 (بالعبرية).
(40) المرجع نفسه.
(41) يُنظر شهادة مئير فلنر، في: فرانكل، ص 213 - 216.
(42) افتتاحية كول هعام، 1/9/1947.
(43) المرجع نفسه.
(44) "بيان عصبة التحرر الوطني حول توصيات لجنة التحقيق الدولية"، الاتحاد، 6/9/1947.
(45) المرجع نفسه.
(46) فرانكل، ص 228.
(47) "من أجل استقلال حقيقي: من محاضرة الرفيق ش. ميكونِس في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في يوم 16/10/1947"، كول هعام، 24/10/1947.
(48) المرجع نفسه.
(49) المرجع نفسه.
(50) "من أجل استقلال حقيقي"، كول هعام، 17/10/1947.
(51) المرجع نفسه.
(52) "بيان اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني بفلسطين"، الاتحاد، 25/10/1947.
(53) المرجع نفسه.
(54) المرجع نفسه.

(55) المحرر السياسي لـ الاتحاد، "الآن نستطيع أن نكشف النقاب عما يجري في منظمة الأمم"، الاتحاد، 2/11/1947.

(56) عصبة التحرر الوطني، قرارات اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في فلسطين، "حول الوضع الذي نشأ في فلسطين بعد نجاح المؤامرة الاستعمارية الدامية عليها، وعن أخطاء عصبة التحرر الوطني، وعن تكوين حزب موحد للطبقة العاملة في القسم العربي من فلسطين وشرق الأردن" (أيار/مايو 1951).

(57) المرجع نفسه؛ يُنظر أيضًا: بولس فرح، من العثمانية الى الدولة العبرية (حيفا: الصوت، 1985).

(58) للمزيد عن وضع عصبة التحرر الوطني في سنة 1948، يُنظر: فرح؛ عادل مناع، نكبة وبقاء: حكاية فلسطينيين ظلوا في حيفا والجليل (1948 – 1956) (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2016)، ص 145 - 196.

(59) عصبة التحرر الوطني، قرارات اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في فلسطين، "حول الوضع الذي نشأ في فلسطين بعد نجاح المؤامرة الاستعمارية الدامية عليها".

الفصل الثاني: الحزب الشيوعي وفرض الدولة اليهودية بقوة السلاح

لم يكن دعم الحزب الشيوعي الفلسطيني، بقيادة شموئيل ميكونِس ومئير فلنر، إقامة دولة للمستوطنين اليهود في فلسطين مفاجئًا، بل جاء تتويجًا للتغيير الذي حدث في الحزب تدريجيًا، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا، منذ مؤتمره العام الثامن في سنة 1944؛ إذ غيّر الحزب الجديد الذي انبثق عن المؤتمر الثامن، والذي اقتصرت عضويته على المستوطنين الشيوعيين اليهود، شيئًا فشيئًا من سياسته، وتحرّك بوضوح نحو الصهيونية وتحقيق أهدافها، إلى أن تماهى معها، ولكن من دون أن يتبنّاها رسميًا. واستبدل مصطلح الصهيونية بمصطلحات تؤدي المعنى نفسه، مثل القومية اليهودية والوطنية اليهودية أو الوطنية الإسرائيلية، وشرع في الإشارة إلى فلسطين في نشراته العبرية بـ "أرض - إسرائيل"، وإلى الشعب العربي الفلسطيني بـ "عرب أرض - إسرائيل".
واعتبر المؤتمر الثامن للحزب أن المستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين يشكّلون أقلية قومية لها حقوقها الجماعية. وفي مؤتمره التاسع المنعقد في سنة 1945، طوّر الحزب موقفه بخطوة أخرى نحو الصهيونية وهدفها المركزي، وهو إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، فدعم إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ودعا إلى "التطوّر الحر للوطن القومي اليهودي"، وإلى "النضال من أجل تطوير الوطن القومي اليهودي". وطالب مؤتمره التاسع أيضًا بفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وبتسهيل عملية الاستيطان فيها. وفي مؤتمره العاشر المنعقد في سنة 1946، نقل الحزب الشيوعي الفلسطيني بقيادة ميكونِس وفلنر موقفه مرة أخرى باتجاه صلب الصهيونية، عندما أكّد بأن "الوطن القومي اليهودي بات حقيقة" وأنه ما عاد بالإمكان تجاهل وجود أمّتين في فلسطين، ودعا إلى إقامة دولة ثنائية القومية، عربية يهودية، في فلسطين.
وقد كانت المسافة قصيرة بين موقف الحزب في مؤتمره العاشر، وإمكانية دعمه لإقامة دولة يهودية للمستوطنين اليهود في فلسطين، بيد أن الحاجز كان موقف الاتحاد السوفياتي ومعه الحركة الشيوعية في العالم، والذي كان رافضًا، من منطلقات أيديولوجية وسياسية، الموقف الصهيوني لحلّ المسألة اليهودية، حتى منتصف سنة 1947. ولكن عندما دعم المندوب السوفياتي في الأمم المتحدة، سميون تسربكين، تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية، في 13 تشرين الأول/أكتوبر 1947، وبعدما تيقّن الحزب الشيوعي أن الاتحاد السوفياتي قد غيّر استراتيجيته وأخذ يدعم إنشاء دولة يهودية في فلسطين، سارع الحزب وأيّد ذلك بشدة في منتصف تشرين الأول/أكتوبر 1947.

لقد ساهمت مجموعة من العوامل في وصول الحزب إلى دعم إنشاء دولة يهودية للمستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين، وأهمّها: أولًا: الخلفية الصهيونية للحزب وواقع وجوده في فلسطين، باعتباره جزءًا من حركة كولونيالية استيطانية تسعى إلى إقامة دولة للمستوطنين اليهود على حساب الشعب العربي الفلسطيني وعلى أنقاضه؛ إذ كان جميع قادة الحزب الشيوعي الفلسطيني وكوادره وأعضائه من المستوطنين الكولونياليين اليهود، قد هاجروا إلى فلسطين من أوروبا ضمن حركات وأحزاب صهيونية يسارية، في سياق الهجرات الصهيوينة إلى فلسطين، ولم يولد أي منهم فيها. أضف إلى ذلك، أنهم ظلّوا منخرطين في مجتمع المستوطنين الكولونياليين اليهود ومنتمين إليه، ولم يحاولوا الانسلاخ عنه، ولا الانخراط أو الاندماج ضمن المجتمع الفلسطيني أو الاتصال به، وهو الذي كان يشكّل الأغلبية العظمى في فلسطين. كما أن الحزب لم يصدر، منذ مؤتمره الثامن في سنة 1944 وحتى تأسيس إسرائيل، أي نشرة باللغة العربية، في حين أصدر في تلك الفترة نشرات باللغات الأوروبية، وخاصة لغات أوروبا الشرقية، لمجتمع المستوطنين في فلسطين، بالإضافة إلى أن القادة في الحزب، والأعضاء والكوادر، لم يحاولوا تعلّم اللغة العربية، فظلّوا غرباء عن الشعب العربي الفلسطيني، كما هي حال مجتمع المستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين.

ثانيًا: ازدياد تأثير الأيديولوجية الصهيونية على الحزب، ولا سيما خلال وبعد الحرب العالمية الثانية.

ثالثًا: إدراك قيادة الحزب أن باستطاعة المنظمات العسكرية الصهيونية، وخاصة الهاغاناه، فرض الدولة اليهودية في فلسطين بالقوة العسكرية.

رابعًا: موقف الاتحاد السوفياتي الداعم لتقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها؛ فبعد أقل من ثلاثة أيام من اتخاذ الاتحاد السوفياتي موقفه ذاك، تبنّى الحزب الشيوعي هذا الموقف، وذلك قبل أن تصدر الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين بنحو شهر ونصف الشهر. وطيلة هذه الفترة دأب الحزب الشيوعي على الدعوة إلى إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين من خلال تقسيمها إلى دولتين، واحدة يهودية وأخرى عربية.

لقد أولى الحزب الشيوعي والحركة الصهيونية، كما اليشوف اليهودي، أهمية قصوى لاستصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة يقضي بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها، وذلك من أجل الحصول على شرعية دولية لإقامة دولة يهودية للمستوطنين اليهود. ومن الجدير ذكره أن الحزب الشيوعي بقيادة ميكونِس وفلنر، والحركة الصهيونية ومجمل اليشوف اليهودي في فلسطين، التزموا بشقٍّ واحدٍ فقط من بنود قرار التقسيم، وهو

إنشاء دولة يهودية في فلسطين، واخترقوا مجمل البنود الأخرى في القرار، ودعموا بقوة توسيع حدود الدولة اليهودية إلى المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية، كما تمسّكوا بالمناطق التابعة للدولة العربية الفلسطينية التي احتلّها الجيش الإسرائيلي، كما سيظهر بوضوح لاحقًا في هذا الكتاب.

عندما اتّخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين، أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بيانًا أيّدت فيه هذا القرار، واعتبرته قرارًا تاريخيًا، باعتباره يمثّل انتصار العدل والديمقراطية. وأضاف بيان اللجنة المركزية أنه بصدور هذا القرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة "حصلنا على الاعتراف الدولي بنا كشعب وكدولة". وأكّدت اللجنة المركزية أن هذا القرار يخلق ظروفًا سياسية جديدة ما عاد فيها اسم "حزبنا الشيوعي الفلسطيني" يناسب هذا الوضع، لذلك قررت اللجنة المركزية تغيير اسم الحزب إلى "الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي"[(60)]، ما دلّ على ميول صهيونية قوية في الحزب كانت مكبوتة، وأتاح تغيّر الموقف السياسي في شأنها، ليس فقط إمكانية التعبير عنها، بل حتى المزايدة على القوى الصهيونية الأخرى، لفترة على الأقل.

في اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم، دعا الأمين العام للحزب الشيوعي، شموئيل ميكونِس، إلى اجتماع عاجل مع إدارة اللجنة القومية التي كانت بمنزلة القيادة الرسمية لليشوف اليهودي في فلسطين، من أجل بحث قضايا الأمن. وأبلغ ميكونِس في هذا الاجتماع رئيس اللجنة القومية، دافيد ريمز، موقف الحزب الشيوعي الداعي إلى حشد وتعبئة القوى الشعبية المقاتلة، الميليشيا، من أجل إقامة الدولة اليهودية المستقلة[(61)]. ووضّح ميكونِس في مقالٍ له في صحيفة كول هعام، بعد ذلك الاجتماع بأسبوع، أن التحديات التي يواجهها الييشوف اليهودي توجب بذل جهد قومي شامل، وحشد كل ذرة قوة لتحقيق الهدف التاريخي، وهو إقامة الدولة اليهودية. ودعا ميكونِس إلى إقامة جبهة وطنية مكوّنة من الحزب الشيوعي وحزبي هشومير هتسعير وأحدوت هعفوداه - بوعلي تسيون، لتشكيل قاعدة متينة باستطاعتها حشد جميع القوى لخوض حرب إقامة الدولة اليهودية المستقلة[(62)].

وسرعان ما انخرط الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي في الحملة الصهيونية التي دعت السلطات البريطانية إلى منح المنظمة العسكرية الصهيونية، الهاغاناه، وضعًا قانونيًا، كي تتمكّن من فرض الدولة اليهودية بالقوة العسكرية، فأصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي بيانًا، في 10 كانون الأول/ديسمبر 1947، طالبت فيه سلطات الانتداب البريطاني بمنح الهاغاناه وضعًا قانونيًا. وطالب البيان قيادة الييشوف توسيع عملية التجنيد لصفوف الهاغاناه لتشمل كل شخص يهودي باستطاعته حمل السلاح، كما طالب بإقامة لجان أمن في كل حارة وشارع يهودي، من أجل الانخراط في

الجهد العسكري لليشوف[63]. وفي 25 كانون الأول/ديسمبر 1947، طالبت سكرتارية فرع الحزب الشيوعي في تل أبيب لجنة الأمن في المدينة إشراك الحزب الشيوعي فيها[64].

منذ تبنّي الحزب الشيوعي إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، راح يتخذ مواقف أكثر تشدّدًا من مواقف قادة الحركة الصهيونية في دعوته إلى إقامة الدولة اليهودية، وفي الإعراب عن قناعته بقدرة الييشوف إقامتها بالقوة العسكرية، وفي توجيه النقد لقيادة الحركة الصهيونية لتقصيرها في حشد الطاقات كلها لتحقيق هذا الهدف، إذ انتقد ميكونِس في مقالٍ له سياسة قيادتَي الحركة الصهيونية والييشوف في جملة من القضايا التي تؤثر سلبيًا في قدراتهما من أجل حشد طاقات اليهود المختلفة لإقامة الدولة اليهودية[65].

ادّعى ميكونِس في مقاله أن عدم قيام القيادة الصهيونية تفعيل الجماهير اليهودية الواسعة وتجنيدها للانخراط في الأمن وحصر توجّهها لإقامة الميليشيا الشعبية ضمن المسار القانوني، وعدم وقفها التعاون مع الإدارة البريطانية في فلسطين، وعدم توفر الاستعداد لديها لإقامة المؤسسات المؤقتة للدولة اليهودية؛ كل ذلك يشير إلى عدم وجود "مبادرة قومية ثورية" لدى القيادة الصهيونية في هذه اللحظات المصيرية، وإلى استمرار نمط تعاونها مع الإمبريالية. وعدّ ميكونِس أن سياسة القيادة الصهيونية تنبع من عدم الثقة بالجماهير اليهودية ومن الخوف والارتداع من مبادرات هذه الجماهير، وأضاف: "نحن نعلم أنه توجد طاقات عظيمة كامنة في الطبقة العاملة وفي جماهير الشباب، وأنه يوجد استعداد كبير للانخراط في النضال في القضايا الحاسمة من أجل إقامة الدولة اليهودية المستقلة، رغم العقبات من الداخل والخارج". وأردف: "فلتقم هذه القوة ولتقف على قدميها، ولتجنّد هذه القوة لخدمة الشعب والاستقلال، وليُضَخّ دمٌ جديد في عروق جيش التحرير الوطني" من أجل إقامة الدولة اليهودية[66].

وفي 26 من كانون الأول/ديسمبر 1947، أرسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي رسالة إلى الدائرة السياسية للوكالة اليهودية، جاء فيها أنه على الرغم من توجّه الحزب الشيوعي إلى الوكالة اليهودية في ما يخصّ حشد جميع الطاقات اليهودية في الجهد الأمني، فإن الحزب الشيوعي لم يتلقَ ردًا. وأعربت اللجنة عن استغرابها من تأخر الوكالة اليهودية في الردّ، في ضوء ما وصفته بالخطر المحدق بالييشوف اليهودي، ما يستدعي وحدة قوى الييشوف كلها[67].

وبدوره، دعا مئير فلنر في محاضرة له في اجتماع شعبي عُقد في 3 كانون الثاني/يناير 1948، إلى تجنيد جميع قوى الييشوف في الجهد الأمني، وإلى "وجوب النظر إلى حربنا باعتبارها حربًا معادية للإمبريالية، ورؤية الإمبريالية عدوًا رئيسًا، واعتبار المشاغبين العرب[68] عملاء للإمبريالية"[69]. وأكّد شموئيل ميكونِس في مقال له على دور الطبقة العاملة اليهودية "في حرب التحرر

القومي والاستقلال" التي يخوضها اليیشوف اليهودي، ودعا الطبقة العاملة اليهودية إلى المطالبة أن تكون الهاغاناه المنظمة العسكرية الوحيدة في صفوف اليهود، وذلك من أجل التصدّي لـ "المؤامرات الإمبريالية وخدمها، العصابات العربية التابعة للهيئة العربية العليا"، فكل عاقل يهودي يدرك ضرورة إقامة قيادة واحدة لجميع قوى الأمن في اليیشوف من أجل إقامة الدولة اليهودية المستقلة[70].

وفي 14 كانون الثاني/يناير 1948، نشرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي بيانًا وصفت فيه منظمة الهاغاناه بأنها "جيش الشعب"، ودعت إلى تزويدها بالسلاح والعتاد[71]. وورد في هذا البيان كثير من المغالطات المقصودة؛ إذ ادّعى أن "الإمبريالية البريطانية تشنّ حربًا مكشوفة ضدّ اليیشوف"، وأنها تحاول إحباط إقامة الدولة اليهودية وتبذل كل ما في وسعها لإثارة الفوضى في البلاد، وأنها باتت تشلّ الإدارة الحكومية والخدمات الحيوية. وادّعى البيان كذلك أن الإمبريالية البريطانية والرجعية العربية تقفان في جبهة واحدة ضدّ إقامة الدولة اليهودية، وأن الهيئة العربية العليا وقوى الرجعية العربية أعلنت الحرب على اليیشوف، وأن الإمبريالية البريطانية تدّعي أنها تقف على الحياد، ولكنها بخلاف ما تدّعيه، تدعم "المشاغبين العرب" وتفرض حصارًا ليس على القدس فحسب، وإنما أيضًا على اليیشوف بأكمله، وهي مستمرة في مصادرة سلاح الهاغاناه وفي اعتقال اليهود المدافعين عن اليیشوف[72].

وأضاف البيان أنه على الرغم من ذلك كله، فإننا "صمدنا وسنواصل الصمود والنضال من أجل وجودنا واستقلالنا القومي"، بكل القوة والاستعداد للتضحية، مدركين أن "الشعب كله يقف معنا"، إلى جانب قوى تقدّمية كبيرة في الأمم المتحدة والعالم. وأكدت اللجنة المركزية أن الحزب الشيوعي يقف مع اليیشوف، وأنه سيجنّد "الرأي العام التقدّمي في العالم بأسره للوقوف إلى جانب مطالبنا العادلة، ولإقامة الدولة اليهودية المستقلة والديمقراطية". ونفى البيان أي صفة وطنية للفلسطينيين الذين كانوا يدافعون عن وطنهم ومدنهم وقراهم وممتلكاتهم، ويناضلون ضدّ إقامة دولة يهودية على أنقاض وطنهم وشعبهم، ووصفهم بأنهم "عصابات من المشاغبين" الذين يخدمون الإمبريالية البريطانية ويأتمرون بأوامرها. ودعا البيان إلى عزل "عصابات المشاغبين العربية" تلك عن بقية الشعب العربي الفلسطيني، وإلى ضربها بقوة[73].

وانسجامًا مع موقفه الداعي إلى فرض الدولة اليهودية بقوة السلاح على الشعب الفلسطيني، شدّد الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي على ضرورة تجنيد قوى اليیشوف كافة للعمل معًا لتحقيق هذا الغرض. وفي هذا السياق، انخرط أعضاء الحزب وأنصاره في القتال ضمن صفوف المنظمة العسكرية الصهيونية، الهاغاناه، وفضّلت أغلبيتهم الانضمام إلى البلماح، وهي قوات الانقضاض التابعة للهاغاناه. ومجّدت صحف الحزب البلماح، لا سيما تلك

الموجّهة إلى الشبيبة والجنود، ووصفتها بأنها قوات النُخبة المقاتلة التي تنفّذ عمليات عسكرية جريئة، سرية وعلنية، ونسبت إليها صفات البطولة والشجاعة والتضحية، وأكدت أن أغلبية شبيبة الحزب يفضّلون الانضمام إلى البلماح بالذات، وأن كثيرًا منهم باتوا يخدمون في صفوفها[74].

لا توجد معطيات رسمية في شأن عدد أعضاء الحزب الشيوعي الإسرائيلي وأنصاره الذين انخرطوا في صفوف الهاغاناه والبلماح، ثم في الجيش الإسرائيلي في حرب 1948. ولكن يمكننا أن نستشفّ عدد أنصاره الذين شاركوا في الحرب من خلال معرفة عدد الأصوات التي حصل عليها الحزب في الجيش الإسرائيلي، في انتخابات الكنيست التي أجريت في 25 كانون الثاني/يناير 1949، حين حصل على 3000 صوت من داخل الجيش[75].

وقد دعا الحزب الشيوعي، طيلة أيام الحرب ومنذ بدء الاشتباكات يوم صدور قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947 وحتى سنة 1949، في قرارات مؤسساته والبيانات التي أصدرها، ومن خلال صحيفته الرسمية، كول هعام، وصحفه ونشراته الأخرى التي أصدرها حينئذ، مثل: كول هحيال (صوت الجندي) وكول هلوحيم (صوت المقاتل)، وكول هِمِغُوياس (صوت المجنّد)، وكول هنوعر (صوت الشبيبة)، إلى الانخراط في صفوف الهاغاناه والبلماح. وبعد تأسيس إسرائيل، دعا الحزب في وسائل إعلامه المختلفة إلى الانخراط في صفوف الجيش الإسرائيلي. ولا يكاد يخلو عدد من أعداد هذه الصحف من دعوة الشبان اليهود في إعلانات ونداءات خاصة موجّهة إليهم، داعية إياهم إلى الانخراط في صفوف الهاغاناه أو الجيش الإسرائيلي، ومن الأمثلة ذلك: "أيها الشباب العبري لك الغد، تطوّع"[76]؛ "لا تقل غدًا، تطوّع اليوم"[77]؛ "أيها الشباب العبري من أجل استقلالنا السياسي تطوّع بسرعة"[78]؛ "أيها الشباب العبري للدفاع عن العلم، تطوّع"[79]؛ "أيها الضباط والجنود قوموا بواجبكم، تطوّعوا لخدمة الشعب"[80].

إلى جانب ذلك، دعا الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي، طيلة تلك الفترة، في مختلف صحفه ونشراته، إلى التبرّع بسخاء للجهد العسكري من خلال مؤسسات الجباية الصهيونية. وقد جاءت تلك الدعوة تحت عناوين مثل: "إعلان حالة الطوارئ في إسرائيل. العدو على الأبواب، ولا يهمنا إلّا أمر واحد، وهو الانتصار في هذه الحرب. الانتصار بسرعة. أموال القرض القومي مخصصة لاحتياجات الحرب"[81]. وقد بلغت حماسة الحزب الشيوعي في الدعوة إلى جمع هذه التبرّعات للجهد العسكري درجة لم تُمحَ فيها الفوارق بينه وبين الأحزاب الصهيونية الأخرى فحسب، بل بات يتقدّمها في رفعه للشعارات والأقوال الصهيونية المأثورة، مثل نشره في صحيفته، كول هعام، قولًا مأثورًا

لمؤسس المنظمة الصهيونية العالمية، ثيودور هرتسل (Theodor Herzl)، بشكل بارز: "أنا سأقوم بتدبير قرض قومي لليهود. لقد كان هناك المال اليهودي الوفير جدًا من أجل سيناء، ومن أجل مدّ سكك حديدية للزنوج، ومن أجل أكثر المشاريع مغامرة، أوليس بالإمكان إيجاد المال من أجل الضرورة المباشرة الأشدّ عمقًا والأكثر حيوية لليهود؟ ثيودور هرتسل 1895"[82].

الرهان على الحل العسكري

أعرب مئير فلنر في مقال له بعنوان "الأدوار السياسية والهاغاناه" عن قناعته بقوة الهاغاناه في فرض الدولة اليهودية بالقوة العسكرية. ادّعى فلنر أن الإمبريالية البريطانية والرجعية العربية في الدول العربية المجاورة و"عصابات المشاغبين العرب"، كانت تحاول تقويض قرار التقسيم وإقامة الدولة اليهودية، وأنها كانت تقف وراء ما أطلق عليه فلنر الفوضى العامة وسفك الدماء والهجمات على اليهود، من أجل الإثبات للرأي العام العالمي استحالة تنفيذ قرار التقسيم، وإثبات أن الييشوف لا يستطيع إقامة الدولة اليهودية وحمايتها. ودعا فلنر إلى التمييز بين "المشاغبين العرب" وبقية الشعب العربي الفلسطيني، ليسهُل عزلهم وضربهم بقوة للقضاء عليهم. واستخلص أن هذه المهمة تقع على كاهل الهاغاناه "التي تقوم بدور جوهري ومهم، سواء في الدفاع عن الأرواح والممتلكات، أو في إلحاق الهزيمة بالمؤامرات الإمبريالية وعملائها العرب الذين يهدفون إلى تغيير قرار الأمم المتحدة وحرماننا من تحقيق استقلالنا السياسي"[83].

كان الشغل الشاغل لدى قيادة الحزب في تلك الفترة الحاسمة من تطوّر القضية الفلسطينية هو كيفية إقامة الدولة اليهودية بقوة السلاح، وإحباط نضال الشعب الفلسطيني في التصدّي لإقامة الدولة اليهودية على حسابه. ولم يتصوّر قادة الحزب أي صيغة أخرى للعلاقة بين المستوطنين اليهود والشعب الفلسطيني، إلّا إقامة الدولة اليهودية في فلسطين على حساب أصحابها الفلسطينيين. وانصبّ جلّ تفكير قيادة الحزب الشيوعي في ماهية أفضل الوسائل لتحقيق المشروع الصهيوني الذي أجمع عليه مجتمع المستوطنين والمهاجرين اليهود في فلسطين، وهو إقامة الدولة اليهودية.

وفي هذا السياق، دعا شموئيل ميكونِس في اجتماع شعبي في تل أبيب، عُقد في 16 كانون الثاني/يناير 1948، إلى إقامة حكومة وحدة وطنية يهودية، والتحالف مع المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي من أجل إقامة الدولة اليهودية بقوة السلاح. ودعا ميكونِس إلى تنظيم نشاط جماهيري يهودي في الييشوف، وفي وسط اليهود في العالم، من "أجل التزوّد باحتياجاتنا الأولية في اللحظة الراهنة"، وهي: السلاح والعتاد، ومنح الهاغاناه وضعًا قانونيًا، وفتح ميناء تل أبيب فورًا من أجل استيعاب المهاجرين اليهود[84].

في كانون الثاني/يناير 1948 اتّحد حزبا هشومير هتسعير وأحدوت ععفوداه - بوعلي تسيون في حزب واحد، أطلق عليه حزب العمال الموحد "مبام"[85].
وعلى الرغم من معرفة الحزب الشيوعي أن حزب أحدوت هعفوداه، بقيادة يتسحاق طبنكين ويغآل ألون ويسرائيل غليلي، كان من أكثر الأحزاب الصهيونية توسعيةً، وأنه ظلّ متمسّكًا بهدفه العلني، وهو إقامة الدولة اليهودية في أرض فلسطين كلها[86]، أرسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي رسالة بهذه المناسبة إلى حزب مبام هنّأته فيها على هذا التحالف، واعتبرت أنه يشكّل بداية لإقامة جبهة ديمقراطية واسعة في صفوف الطبقة العاملة اليهودية والهستدروت، باعتبارها نواة أساسية لجبهة وطنية يهودية ديمقراطية[87].
ومن المهم الإشارة إلى أن أهمية تأسيس حزب مبام حينئذ لم تنبع من أنه كان حزبًا كبيرًا فحسب، وإنما أيضًا، وبشكل أساسي، لأن قادته وكوادره، وفي مقدمتهم ألون وغليلي، شكّلوا أغلبية كبيرة للغاية في صفوف قيادة كل من الهاغاناه والبلماح، والجيش الإسرائيلي لاحقًا، واللتان كان لهما الدور الأهم في تنفيذ خطة "دالت" وطرد الفلسطينيين من ديارهم وارتكاب المجازر بحقّهم.
وفي 5 شباط/فبراير 1948، أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بيانًا هاجمت فيه الحكومة البريطانية لنقضها، وفق البيان، الالتزام بالجلاء عن الميناء البحري في تل أبيب، طبقًا لقرار الأمم المتحدة، والجلاء أيضًا عن مجال كافٍ من حوله لتسهيل الهجرة اليهودية. واتهم البيان "الإمبريالية البريطانية" باتّباع سياسة عامة في مختلف المجالات ضدّ الييشوف، وادّعى أنها "مستمرة في تجنيد عصابات المشاغبين العرب" في فلسطين وفي الدول العربية، بواسطة "الرجعية العربية" ضدّ الييشوف اليهودي. وانتقد البيان بشدة القيادة المتنفّذة في الييشوف والوكالة اليهودية لتقصيرهما في تجنيد الييشوف كله "لوقف الهجوم الإمبريالي وضمان الاستقلال القومي". وادّعى البيان أن "أجزاء كبيرة وذات نفوذ واسع في الوكالة اليهودية، بأجنحتها الأميركية والبريطانية والأرض - إسرائيلية، ليست مستعدة لخوض حرب متواصلة" من أجل إقامة الدولة اليهودية، وأنها سلّمت بعدم فتح ميناء تل أبيب، وبوقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، كما أنها قصّرت في تجنيد الييشوف اليهودي لخوض الحرب وتجنيد وحشد مختلف الوسائل المطلوبة المرتبطة بالأمن، بحسب ما جاء في البيان. وإزاء هذا الوضع، طالب البيان القيادة الصهيونية بتوسيع التجنيد وإقامة الميليشيا الشعبية اليهودية، وإقامة نظام طوارئ يستند إلى المساواة في التضحية ويهتم بالجبهة وبالعمق.
وطالب البيان بإشراك الحزب الشيوعي في مؤسسات الأمن والجباية، وأكّد أنه لا يمكن أن تكون جبهة "من أجل الاستقلال القومي للييشوف اليهودي، ولا يمكن أن تكون حرب مظفّرة من أجل إقامة الدولة اليهودية"، من دون اشتراك الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي فيها[88].

وفي 13 شباط/فبراير 1948، عاد أمين عام الحزب، شموئيل ميكونِس، وانتقد في مقال له ما أطلق عليه تردّد قيادة الحركة الصهيونية وارتداعها من مواجهة بريطانيا وإحجامها عن القيام بدورها في تجنيد طاقات اليشوف اليهودي للحرب[89]، فالقيادة الصهيونية، وفق ميكونِس، لا تثق بالجماهير اليهودية ولا بالقوة الكامنة فيها، وتفضّل اتباع أسلوبها التقليدي المساوم مع الإمبريالية التي "تهدف إلى استغلالنا في المستقبل وإخضاعنا لأهدافها الرجعية". وأضاف ميكونِس أن قيادة الحركة الصهيونية لم تدرك بعد أن الإمبريالية البريطانية والأميركية غير معنيّتين، بأي شكل من الأشكال، بإقامة الدولة اليهودية، وأن تحقيق ذلك لا يتم إلّا بواسطة "حرب تحرير قومية". واتهم ميكونِس قيادة الوكالة اليهودية بالخضوع للإمبريالية البريطانية والأميركية، وبعدم تمسّكها بفتح الميناء وفتح الهجرة اليهودية إلى فلسطين، فالوكالة اليهودية لم تقم بالخطوة الوحيدة التي كان لا بد منها، وفق ما جاء في مقاله، وهي "فتح الميناء وتفعيله بالقوة، رغم أنف [إرنست] بيفن[90] [Ernest Bevin]". فهذه الخطوة كانت ستخلق أمرًا واقعًا جديدًا وتشعل الحماس في صفوف الشعب اليهودي وتحشده بطاقاته كلها لإقامة الدولة اليهودية، وكانت ستقنع العالم أيضًا "بأننا جادّون في عزمنا على بناء الدولة اليهودية"، الأمر الذي يؤدي إلى تحصيل تأييد قوى السلام والديمقراطية في العالم ومساعدتها. ومن أجل إدارة "حرب التحرير" بشكل أفضل، لتحقيق "الهدف التاريخي الكبير"، وهو إقامة الدولة اليهودية، دعا ميكونِس إلى تشكيل الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية فورًا، إلى جانب إقامة الميليشيا اليهودية الشعبية المسلّحة[91].

(60) "بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي"، كول هعام، 1/12/1947. للمزيد، يُنظر الملحق (1).
(61) "ش. ميكونِس يتحاور مع د. ريمز، رئيس اللجنة القومية، في شؤون الأمن"، كول هعام، 30/11/1947.
(62) ش. ميكونِس، "في أيام الامتحان هذه"، كول هعام، 5/12/1947.
(63) "لئلا تصبح حياتنا مستباحة! لتعطَ الهاغاناه وضعًا قانونيًا: بيان الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي"، كول هعام، 11/12/1947.
(64) "فرع الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي يطالب إشراكه في لجنة الأمن في تل أبيب"، كول هعام، 25/12/1947.
(65) ش. ميكونس، "من روتين الماضي إلى طريق جديد"، كول هعام، 26/12/1947.
(66) المرجع نفسه.
(67) "توجّه الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي إلى الوكالة في الشأن الأمني"، كول هعام، 28/12/1947.
(68) استعمل فلنر والحزب الشيوعي الإسرائيلي مصطلح "هبورعيم هعرفيم"، وكذلك كانت الأحزاب والمنظمات العسكرية الصهيونية تستعمله لوصف المناضلين الفلسطينيين الذين كانوا يدافعون عن وطنهم، ويعني بالعربية المشاغبين العرب أو المعتدين، ولكنه يحمل معانيَ سلبية أكثر من ذلك، فهو مشتقٌ من الفعل "برع" (פרע)، ويعني: اعتدى على، نكّل بـِ، من المصدر "برعوت" (פרעות) ويعني: اعتداءات - حوادث شغب - مذبحة - حوادث دموية.
(69) "المهمات الراهنة"، كول هعام، 7/1/1948.
(70) ش. ميكونِس، "جمهور العمال إزاء الوضع"، كول هعام، 9/1/1948.
(71) "سلاح وعتاد للمدافعين: بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي"، كول هعام، 14/1/1948.
(72) المرجع نفسه.
(73) المرجع نفسه.
(74) للمزيد، يُنظر: كول هنوعر، العدد 1، كانون الثاني/يناير 1948، والأعداد 4 - 6 منها.

(75) شهادة ميكونِس في المقابلات التي أجراها معه لاودر منور من قسم التاريخ الشفوي في معهد ترومان، في الجامعة العبرية في القدس، في كانون الأول/ديسمبر 1975، والممتدة على مئات الصفحات، والمحفوظة في أرشيف معهد لافون في تل أبيب، يُنظر: أرشيف معهد لافون، "شهادة ميكونس"، رقم 104 - 151A - 85 - 1v، ص 97 (بالعبرية).

(76) كول هعام، 16/12/1947.

(77) كول هعام، 17/12/1947.

(78) كول هعام، 18/12/1947.

(79) كول هعام، 19/12/1947.

(80) كول هعام، 18/2/1948.

(81) كول هعام، 21/5/1948.

(82) كول هعام، 27/6/1948.

(83) مئير فلنر، "الأدوار السياسية والهاغاناه"، كول هعام، 16/1/1948.

(84) ش. ميكونِس، "بشأن مسألة توجه الدولة اليهودية"، كول هعام، 19/1/1948.

(85) أبيبا حلميش، "مبام في حرب الاستقلال: من جبهة القتال إلى مقاعد المعارضة"، في: مردخاي بار - أون ومئير حزان (محرران)، سياسة في الحرب: مجموع أبحاث عن المجتمع المدني في حرب 1948 (القدس: يد يتسحاق بن تسفي؛ المعهد لأبحاث الصهيونية في إسرائيل؛ الجمعية لبحث قوة الدفاع على اسم يسرائيل غليلي، 2014)، ص 207 - 230 (بالعبرية).

(86) كان حزب أحدوت هعفوداه متمسّكًا بإقامة دولة يهودية على كامل أرض فلسطين، ويرفض بشدة تقسيمها إلى دولتين. أما حزب هشومير هتسعير فكان يرفض تقسيم فلسطين أيضًا، ولكنه كان يدعو إلى إقامة دولة ثنائية القومية فيها. وكان هذان الحزبان اللذان اتحدا في بداية سنة 1948، وأطلقا على حزبهما الموحد "حزب العمال الموحد - مبام"، يتبنيان الصهيونية الاشتراكية، ويدعوان إلى التحالف مع الاتحاد السوفياتي لتحقيق أهدافهما، وقد استمرت وحدتهما حتى سنة 1954. للمزيد، يُنظر: حلميش.

(87) "الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي يقترح التعاون مع حزب العمال الموحد"، كول هعام، 25/1/1948.

(88) "ليُفتح الميناء ولتُؤسس الميليشيا رغم أنف بيفن! نطالب كل قوى الاستقلال بقيادة حربنا!"، كول هعام، 5/2/1948. للمزيد، يُنظر الملحق (2).

(89) ش. ميكونِس، "لنستجمع قوانا من أجل تحقيق استقلالنا"، كول هعام، 13/2/1948.

(90) إرنست بيفن (1881 - 1951): وزير خارجية بريطانيا في حكومة حزب العمال البريطاني، بين سنتي 1945 و1951، وكان من أبرز قادة الحزب.

(91) المرجع نفسه.

الفصل الثالث: زيارات ميكونِس إلى دول أوروبا الشرقية لجلب السلاح والعتاد والمقاتلين والهجرة اليهودية

أولى الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي أهمية قصوى لموقف دول أوروبا الشرقية بقيادة الاتحاد السوفياتي، من القضية الفلسطينية، وسعى بطاقاته كلها إلى تجنيد مختلف أنواع الدعم من هذه الدول لإقامة دولة يهودية للمستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين بقوة السلاح، على حساب الشعب الفلسطيني. وفي هذا السياق، أرسل الحزب الشيوعي، في كانون الأول/ديسمبر 1947، اثنين من قيادة الحزب، هما إلياهو غوجانسكي[92] وروت لوبيتش[93] إلى دول أوروبا الشرقية، ليمكثا فيها نحو ستة أسابيع[94]، من أجل الاتصال مع الأحزاب الشيوعية في هذه الدول ومع المسؤولين فيها، ومع التجمّعات اليهودية، لتجنيد مختلف أنواع الدعم والمساندة للمستوطنين الكولونياليين اليهود في الحرب وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين[95].

ولم يكتفِ الحزب الشيوعي بالجهود التي بذلها غوجانسكي ولوبيتش في دول أوروبا الشرقية لحشد مختلف أشكال الدعم لليشوف اليهودي في حربه ضدّ الفلسطينيين، فقرر أن يرسل أمينه العام، شموئيل ميكونِس، إلى هذه الدول. وفي شباط/فبراير 1948، سافر ميكونِس إلى أوروبا الشرقية، بتكليفٍ رسميٍ من اللجنة المركزية، وفي يده رسالة رسمية منها، وقّع عليها مئير فلنر، والتي تخوّل ميكونِس إجراء اتصالات بغرض الحصول على مختلف أنواع الدعم لحرب البيشوف اليهودي في فلسطين[96]. وسعى ميكونِس إلى تحقيق أهداف عدة اعتبرها الحزب غاية في الأهمية، وهي: أولًا: الحصول على مختلف أنواع

السلاح من هذه الدول للمنظمة العسكرية الصهيونية، الهاغاناه، ومن ثم للجيش الإسرائيلي، في الحرب ضدّ الشعب الفلسطيني.

ثانيًا: العمل على تجنيد اليهود في هذه الدول، وخاصة الشبان وذوي الخبرة

العسكرية التي اكتسبوها خلال الحرب العالمية الثانية، وفي جيوش دولهم، للمشاركة في الحرب.

ثالثًا: العمل على فتح أبواب الهجرة اليهودية من هذه الدول إلى فلسطين، ولا

سيما الهجرة المقاتلة.

رابعًا: العمل على إقامة معسكرات في بعض هذه الدول، لحشد المتطوعين

اليهود من مواطني هذه الدول وتدريبهم، تمهيدًا لإرسالهم إلى فلسطين للانخراط في الحرب.

خامسًا: تنظيم حملة سياسية وإعلامية واسعة في هذه الدول، تهدف إلى تشويه

نضال الفلسطينيين ومقاومتهم إقامة دولة يهودية للمستوطنين الكولونياليين

اليهود في فلسطين على حسابهم، وتمجيد سعي المستوطنين إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، وطرح هذا السعي كأنه نضال من أجل التحرّر القومي.
مكث شموئيل ميكونِس في دول أوروبا الشرقية نحو خمسة أشهر، في الفترة الممتدة من شباط/فبراير 1948 حتى تموز/يوليو 1948، عاد خلالها إلى تل أبيب فترة قصيرة. ولا يشير مكوث أمين عام الحزب فترة طويلة في دول أوروبا الشرقية، خلال الفترة الحاسمة من حرب 1948، إلى الأهمية القصوى التي كان يوليها للحصول على دعم دول أوروبا الشرقية لمجتمع المستوطنين الكولونياليين اليهود في الحرب فحسب، وإنما أيضًا إلى دوره ودور الحزب الشيوعي الإسرائيلي في المساعدة من أجل الحصول على هذا الدعم.

زيارة رومانيا

استهلّ ميكونِس جولته في دول أوروبا الشرقية بزيارة رومانيا، ففي 21 شباط/فبراير 1948 وصل ميكونِس إلى بوخارست لحضور مؤتمر الوحدة بين الحزب الشيوعي الروماني والحزب الاشتراكي الديمقراطي الروماني، وألقى خطابًا عرض فيه قراءة الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي للوضع في فلسطين. ولمّا كانت هذه زيارة ميكونِس الأولى لدولة في أوروبا الشرقية منذ صدور قرار التقسيم، احتلت هذه الزيارة والخطاب الشامل الذي ألقاه في هذا المؤتمر أهمية كبرى، ولا سيما أن جميع الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية، وكثيرًا من الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في العالم، شاركت في هذا المؤتمر.
ومن الملاحظ أن ميكونِس حاول ألّا يعرض مشروع الحركة الصهيونية إقامة دولة يهودية في سياقه التاريخي الكولونيالي الاستعماري المتحالف تحالفًا عضويًا ومتينًا مع الإمبريالية البريطانية والأميركية، وإنما في سياق متخيّلٍ منافٍ للواقع والحقائق التاريخية، وكأنّ إقامة دولة للمستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين تأتي في سياق صراع حركات التحرّر القومي في العالم ضدّ الدول الاستعمارية. ومن الملاحظ أيضًا أن ميكونِس حشا خطابه بكثير من المغالطات والأكاذيب، واجتهد كثيرًا في تمجيد الذات الجمعية للمستوطنين اليهود، وفي الوقت نفسه، دأب على تشويه اسم وسمعة الشعب العربي الفلسطيني وقيادته، وعلى نفي حقّه في مقاومة المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني.
استهلّ ميكونِس خطابه بشكل دراميّ، وقال إنه جاء "من أرض إسرائيل التي هي واحدة من البلدان التي تناضل من أجل حريتها واستقلالها، مثل إندونيسيا وفيتنام والصين واليابان، ضدّ دوائر بيفن و[جورج] مارشال[97] [George C. Marshall] وأذنابهما"[98]. وأضاف ميكونِس أنه جاء من بلاد تُسمع فيها منذ أشهر طويلة طلقات الرصاص والانفجارات في المدن والبلدات التي يسقط فيها يوميًا ضحايا كثيرون، والتي يصعب الانتقال فيها من مكان إلى آخر من دون

استعمال المصفّحات. وأضاف: "لقد أتيتكم من جبهة النار والدم، من جبهة حرب قاسية وشاقّة من أجل التحرر القومي. فقد فرضت علينا الإمبريالية الأنكلوسكسونية حربًا دامية؛ فالإمبريالية تنظّم عصابات عربية في داخل البلاد وفي الدول العربية المجاورة بواسطة الرجعية العربية، فهي تنظّم زلم [فلادسلاف] أندرس البولندي[99]، وزلم [أدولف] هتلر والفاشيين البوسنيين، وكل من هبّ ودبّ من اللمم والخونة والقتلة، وتدفع بهم جميعًا ضدّ اليِيشوف اليهودي". كما قال ميكونِس: "إن حدود بلادي باتت مفتوحة لغزو مجموعات مسلّحة عميلة للإمبريالية من الدول المجاورة التي تزوّدها بالسلاح والعتاد"[100].
وفي سياق سعيه لمنح صفة معاداة الاستعمار للحركة الصهيونية وخلق تناقض وهميّ بين القوات العسكرية الصهيونية وبريطانيا أمام مستمعيه في المؤتمر، ادّعى ميكونِس في خطابه أن "قوات جيش بيفن وشرطته و[كليمنت] أتلي [101] [Clement Attlee]" تقوم بمصادرة السلاح من المنظمات العسكرية اليهودية وتعتقل وتقتل أفرادها، وتتجسّس على مواقع القوات العسكرية اليهودية في فلسطين، وتزوّد "العصابات العربية" بهذه المعلومات. ولم يكتفِ ميكونِس في خطابه بهذه الأكاذيب، بل استمر خياله ينسج الواحدة تلو الأخرى، فادّعى أن "الدبابات البريطانية تمنح المهاجمين العرب غطاءً، وتشكّل لهم درعًا واقيًا". واستطرد: "لقد فجّر البريطانيون عمارة مكوّنة من أربعة طوابق في شارع في تل أبيب، لكي يتمكّن قناصة عرب، تحت غطاء الشرطة البريطانية، من إطلاق النار على الشوارع المجاورة. وهذا هو المتّبع في حيفا والقدس، وكل مكان آخر"[102]. واستمر ميكونِس في طرح افتراءاته أمام المؤتمر، فقال إن الشرطة البريطانية كثيرًا ما تطلق النار على بلدة يهودية من منطقة عربية، وبالعكس، وذلك من أجل إدخال اليهود والعرب في دوامة من الدم. وأضاف أنه في حالات كثيرة، تعتقل السلطات البريطانية شبابًا يهودًا وتنقلهم في مجنزرة إلى منطقة عربية، وتسلّمهم إلى رعاع عرب الذين يقتلونهم، وتفعل الأمر نفسه أيضًا تجاه العرب الذين يلقون المصير نفسه.
ادّعى ميكونِس أيضًا في خطابه أن الحرب التي كان يخوضها اليِيشوف اليهودي ضدّ الشعب الفلسطيني للتخلّص منه و"التحرّر" من وجوده في فلسطين، ليتسنّى له إقامة الدولة اليهودية، هي حرب الشعب، وهي "حرب عادلة وتقدّمية، وضدّ مؤامرات الإمبريالية الأنكلوسكسونية وعملائها العرب". كما قال إن "الشعب مستعد للحرب ويريد تحقيق الانتصار". وفي ختام خطابه ناشد ميكونِس "معسكر السلام والديمقراطية" بقيادة الاتحاد السوفياتي التدخّل الفعّال وتقديم المساعدة لحرب اليِيشوف[103].
أجرى ميكونِس أثناء زيارته لرومانيا اتصالات مكثّفة مع قادتها من أجل تشجيع وتنظيم الهجرة اليهودية من رومانيا إلى فلسطين، ومن ثم إلى إسرائيل بعد إنشائها في أيار/مايو 1948، إذ بقي في رومانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية نحو 400 ألف يهودي. وبذل ميكونِس في تلك الفترة الحاسمة من الحرب في

فلسطين جلّ جهده للحصول على موافقة السلطات الرومانية والسماح لمواطنيها اليهود بالهجرة إلى فلسطين للمساهمة في الجهد العسكري الصهيوني في إقامة الدولة اليهودية، ولتوطينهم في القرى والمدن التي هُجّر الفلسطينيون منها. وقد تسنّى له ذلك من خلال العلاقات المتينة التي أقامها مع آنا باوكر (1893 - 1960)، وزيرة الخارجية الرومانية بين سنتي 1948 و1952، والتي كانت يهودية، ومحسوبة في الحزب الشيوعي الروماني على الخط السياسي الموالي لموسكو. ومن خلال علاقاته مع باوكر وقيادات رومانية أخرى، اجتمع ميكونِس مع القيادات اليهودية الرومانية، وعقد اجتماعات شعبية لليهود في المدن الرومانية، لحثّهم على الهجرة إلى فلسطين. وقد أقنع ميكونِس السلطات الرومانية أن تسمح للسفن استعمال ميناء كونستنتسا لنقل المهاجرين اليهود من دول أوروبا الشرقية إلى فلسطين، علمًا أن ذلك كان مناقضًا لقرار الأمم المتحدة الذي نصّ على تجميد الوضع القائم في فلسطين في تلك الفترة، بما في ذلك وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ونقل السلاح إلى الييشوف اليهودي.

وفي حزيران/يونيو 1949، استجابت باوكر لطلب ميكونِس فتح أبواب الهجرة ليهود رومانيا إلى إسرائيل، وأخبرته أن على اليهود الذين يرغبون بالهجرة إلى إسرائيل أن يسجّلوا أسماءهم في وزارة الخارجية الرومانية. نقل ميكونِس بدوره هذا الخبر المهم إلى قيادات اليهود في رومانيا، فهاجر عشرات آلاف اليهود إلى إسرائيل واستوطنوا في القرى والمدن التي هُجّر الفلسطينيون منها[(104)].

زيارة يوغسلافيا

في بداية آذار/مارس 1948، سافر ميكونِس من رومانيا إلى يوغسلافيا، حيث بذل جهودًا جمّة في شرح طبيعة الحرب في فلسطين للمسؤولين وللقيادات اليوغسلافية. وقد اجتمع ميكونِس في بلغراد مع إيهود أفرئيل[(105)]، مندوب منظمة الهاغاناه في أوروبا الشرقية، والذي أخبر ميكونِس عن حاجة الهاغاناه الماسّة إلى عشرة مدافع من عيار 120 ملم، من أجل دكّ واختراق أسوار القدس العربية. فطلب ميكونِس من السلطات اليوغسلافية تزويد الهاغاناه بهذه المدافع. وفي إثر هذا الجهد الذي بذله ميكونِس، اشترت يوغسلافيا عشرة مدافع من عيار 120 ملم من سويسرا وأعطتها للهاغاناه[(106)]. أشار ميكونِس أيضًا إلى أنه طلب من المسؤولين اليوغسلاف تزويد الييشوف بـ 400 عسكري يهودي يوغسلافي من ذوي الخبرة في الحرب، وقد رفض المسؤولون اليوغسلاف في البداية طلبه، بيد أنهم عادوا وقبلوه في حزيران/ يونيو 1948، فأرسلوا 400 عسكري يهودي إلى إسرائيل. إلى جانب ذلك، وبفضل الجهد الذي بذله ميكونِس، سمحت يوغسلافيا للهاغاناه، ومن ثم

للجيش الإسرائيلي، باستعمال أحد مطاراتها لنقل السلاح من تشيكوسلوفاكيا إلى إسرائيل، كما سنرى لاحقًا[107].

زيارة بلغاريا

سافر ميكونِس من يوغسلافيا إلى بلغاريا، وأجرى فيها اتصالات مع قادتها من أجل السماح للبلغار اليهود الهجرة إلى فلسطين والمشاركة في الحرب فيها. وعقد ميكونِس أثناء هذه الزيارة اجتماعات مع القادة البلغار اليهود، وألقى محاضرات في اجتماعات شعبية حثّ فيها اليهود على الهجرة إلى فلسطين في أسرع وقت للمشاركة في الحرب. وفي 8 نيسان/أبريل 1948، اجتمع ميكونِس مع جورجي ديميتروف (1882 - 1949)، زعيم الحزب الشيوعي البلغاري ورئيس الحكومة البلغارية بين سنتي 1946 و1949[108].
وذكر ميكونِس في شهادته أن ديميتروف كان متزوجًا من بلغارية يهودية، وأنه كان متعاطفًا للغاية في موضوعة إقامة دولة يهودية في فلسطين، وأنه وافق على الاجتماع مع ميكونِس، رغم مرضه الشديد، فخصّص له ربع ساعة للاجتماع، إلّا أنه استمر أكثر من ثلاث ساعات. وذكر ميكونِس أن ديميتروف قال له في هذا الاجتماع: "إنني أحسدك لأنك تشارك في حرب الاستقلال. ولو لم أكن رئيسًا لحكومة بلغاريا، لكنت ذهبت إليكم لأحارب إلى جانبكم في حرب استقلالكم". وأشار ميكونِس إلى أنه بحث مع ديميتروف في هذا الاجتماع هجرة يهود بلغاريا إلى فلسطين، وأنه طلب منه السماح ليهود بلغاريا بالهجرة إلى فلسطين في أسرع وقت، من أجل المساهمة في الحرب، وأن ديميتروف أبلغه موافقته على السماح لكل من يشاء من يهود بلغاريا بالهجرة إلى فلسطين[109]. وذكر ميكونِس أن ديميتروف أطلعه على برقيّتين وصلتا إليه من الإدارة الأميركية والحكومة البريطانية، تحتجّان فيهما على مساعدة ديميتروف في الهجرة اليهودية إلى فلسطين، لأنه بذلك يخرق حظر الأمم المتحدة الهجرة اليهودية إليها، وأن ديمتروف قال لميكونِس إنه تجاهلهما[110].

زيارة تشيكوسلوفاكيا

بعد أن أنهى مهماته في بلغاريا، سافر ميكونِس في منتصف نيسان/أبريل إلى تشيكوسلوفاكيا، وأجرى اتصالات مكثّفة في براغ مع المسؤولين التشيكوسلوفاكيين في شأن تزويد تشيكوسلوفاكيا الييشوف اليهودي بمختلف أنواع الأسلحة المتطوّرة، وإمداد اليیشوف اليهودي بالمقاتلين اليهود التشيكوسلوفاكيين الذين يمتلكون الخبرة والمهارات القتالية من جراء مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية. وقد أولى ميكونِس أهمية قصوى لتشيكوسلوفاكيا؛ لأنها كانت، كما ذكر، الدولة الوحيدة في أوروبا الشرقية - ما عدا الاتحاد السوفياتي - التي تصنع وتمتلك الأسلحة المتطوّرة، ويمكنها بيعها لمنظمة الهاغاناه، ومن ثم لإسرائيل، بعد تأسيسها في أيار/مايو 1948. وذكر ميكونِس أنه كان له دور مهم في إقناع القيادة التشيكوسلوفاكية بضرورة

تزويد منظمة الهاغاناه، ومن ثم إسرائيل، بمختلف أنواع الأسلحة المتطوّرة، كما كان له - لاحقًا - الدور الحاسم في إقناع القادة المسؤولين التشيكوسلوفاكيين بإقامة "الفيلق التشيكي" اليهودي وإرساله إلى إسرائيل للمشاركة في حرب 1948، من خلال اتصالاته المكثّفة بالقادة والمسؤولين التشيكوسلوفاكيين، وإسهابه في شرحه لهم عن طبيعة الحرب "المعادية للإمبريالية" التي يخوضها اليشوف اليهودي في فلسطين، وأنه كان له دور مهم للغاية في فتح الباب لممثّل الهاغاناه في أوروبا الشرقية، إيهود أفرئيل، لدى القادة التشيكوسلوفاكيين، وفي مقدّمتهم زعيم الحزب الشيوعي ورئيس الحكومة التشيكوسلوفاكية كليمنت غوتوالد (1896 - 1953)، ووزير الخارجية فلاديمير كلامنتيس، ولودفيك سفوبودا (1895 - 1979) الذي كان قائدًا لوحدات الجيش التشيكوسلوفاكي في الجيش السوفياتي خلال الحرب العالمية الثانية، كما كان رئيس منظمة المقاتلين القدامى الذين شاركوا في الفيلق الدولي في الحرب الأهلية الإسبانية (1936 - 1939)[111].

زيارة بولندا

في نيسان/أبريل 1948، سافر ميكونِس من براغ إلى بولندا واجتمع مع القادة البولنديين، وفي مقدمتهم فلاديسلاف غومولكا (1905 - 1982)، الزعيم البولندي وأمين عام الحزب الشيوعي البولندي الذي كان يُطلق عليه حزب العمّال البولندي الموحّد. وطلب ميكونِس من غومولكا أن تنظّم بولندا دورات عسكرية على أراضيها لتدريب ضباط بولنديين يهود، ومن ثم ترسلهم إلى اليشوف اليهودي، بعد اكتسابهم الخبرة العسكرية في القيادة وفنون الحرب؛ لأن الهاغاناه والبلماح تفتقران إلى الخبرة الكافية في هذه المجالات، وفق ما ذكر ميكونِس. وبالفعل، استجاب غومولكا لطلب ميكونِس، وجرى تدريب 60 ضابطًا بولنديًا يهوديًا في دورة عسكرية مكثّفة، وأرسلتهم بولندا إلى إسرائيل ليشاركوا في حرب 1948[112]. إلى جانب ذلك، التقى ميكونِس مع العديد من القادة والنشطاء البولنديين اليهود، وعقد اجتماعات شعبية في مدن بولندا، كما فعل في الدول الأخرى التي زارها، تحدث فيها عن حرب الاستقلال التي يخوضها اليشوف اليهودي، ودعا اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين وإلى تقديم مختلف أنواع الدعم لليشوف، وفي مقدمتها المقاتلين والهجرة اليهودية المقاتلة.

اجتماع ميكونِس مع بن غوريون

بقي شموئيل ميكونِس في أوروبا الشرقية حتى 12 أيار/مايو 1948، حين عاد إلى تل أبيب قبل يومين من إعلان دافيد بن غوريون قيام الدولة اليهودية في فلسطين. وبادر ميكونِس، بعد فترة وجيزة من وصوله إلى تل أبيب، إلى الاجتماع مع دافيد بن غوريون، رئيس الحكومة الإسرائيلية، وذكر أنه عندما رأى في 15 أيار/مايو 1948 طائرات مصرية تحلّق فوق تل أبيب بارتفاع

منخفض، وتطلق النار على محطة توليد الكهرباء فيها، اتصل فورًا بمساعد بن غوريون، نحمياه أرغوف، وطلب إليه الاجتماع مع بن غوريون. وقد رتّب له أرغوف اجتماعًا مع بن غوريون الذي كان مشغولًا جدًا في إدارة شؤون الحرب. وذكر ميكونِس في شهادته أنه في الاجتماع الذي عُقد في 24 أيار/مايو[113]، قال لبن غوريون: "لم أكن أتخيّل أنكم ضعفاء إلى هذا الحد! ألا يوجد لديكم شيء؟ كيف تسمحون للطائرات المصرية الطيران بحرية فوق تل أبيب وقصف محطة ريدينغ لتوليد الكهرباء من دون أي ردّ؟". فأجابه بن غوريون، وفق ما ذكر ميكونِس: "لا يوجد لديّ أي شيء"[114].

أشار ميكونِس إلى أن بن غوريون كان شديد الحرص على أن يعرف في هذا الاجتماع كل شيء عن نشاطه في أوروبا الشرقية في الأشهر الثلاثة السابقة، وعن تفاصيل اجتماعاته مع قادة دول أوروبا الشرقية. وأخبره ميكونِس أنه يعتزم العودة إلى أوروبا الشرقية، ولا سيما إلى تشيكوسلوفاكيا، من أجل جلب السلاح منها، وكذلك لجلب المقاتلين والهجرة اليهودية، ولا سيما الهجرة المقاتلة. كان ميكونِس شحيحًا جدًا في إعطاء تفاصيل في شهادته عن مضمون الاجتماع مع بن غوريون؛ إذ ادّعى فيها أنه لم يقدّم تقريرًا لبن غوريون عن نشاطه في أوروبا الشرقية، ولم يطلعه على تفاصيل الاتصالات التي أجراها هناك لجلب السلاح والمتطوّعين والهجرة اليهودية لليشوف اليهودي في فلسطين. ولكن يستشفّ مما كتبه بن غوريون في كتابه يوميات الحرب (1947 – 1949) أن ميكونِس قدّم له شرحًا وافيًا عن نشاطاته في زيارته لدول أوروبا الشرقية، وعن الاجتماعات التي عقدها مع قادة الدول التي زارها، وأيضًا عن اجتماعاته مع قادة الأحزاب الشيوعية فيها؛ إذ ذكر بن غوريون في كتابه أن ميكونِس جاء إليه في مكتبه، بعد ظهر 24 أيار/مايو 1948، بعد زيارته رومانيا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وبلغاريا، وقال: "تحدث مع قادتها عن تزويدنا بالسلاح؛ في بلغاريا مع ديميتروف، وفي يوغسلافيا مع [ألكسندر] رانكوفيتش، وفي رومانيا مع [فازيلي] لوكا، وفي تشيكوسلوفاكيا مع كلامنتيس، وفي بولندا مع [جاكوب] بيرمان ومودولوفسكي". وأضاف بن غوريون أن ميكونِس سأله عمّا نشرته في تلك الأيام صحيفة عال همشمار، لسان حال حزب مبام، بأن إسرائيل ترفض طلب المساعدة العسكرية من دول أوروبا الشرقية، فأجابه بن غوريون أن القائمين على الصحيفة يعرفون أن ما نشروه هو محض افتراء، وقال: "لقد توجّهنا وحصلنا فعلًا على مساعدة عسكرية من تشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا، حتى قبل تأسيس الدولة". وأضاف بن غوريون أن ميكونِس سأله إذا كان يقبل قدوم خبراء عسكريين شيوعيين من دول أوروبا الشرقية إلى إسرائيل، وأنه أجابه: "نقبلهم بكل ترحاب"[115].

وبعد اجتماعه مع بن غوريون، اجتمع ميكونِس وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الإسرائيلي، إستِر فيلنسكا[116]، مع غولدا مئير، وأخبراها أن ميكونِس يرغب في السفر، في أسرع وقت، إلى تشيكوسلوفاكيا، من أجل جلب السلاح والمقاتلين والهجرة اليهودية إلى إسرائيل. وقد رحّبت مئير بهذه الخطوة، واتخذت الإجراءات لتسهيل سفر ميكونِس إلى تشيكوسلوفاكيا[117].

وبالفعل، سافر ميكونِس إلى تشيكوسلوفاكيا في الأول من حزيران/يونيو 1948، واستأنف اتصالاته مع القادة والمسؤولين هناك، والتي كان قد بدأها في زيارته السابقة من أجل جلب السلاح والمتطوّعين للقتال إلى جانب إسرائيل في حرب 1948. كما اتصل ميكونِس فور وصوله إلى براغ بإيهود أفرئيل، مندوب الهاغاناه في أوروبا الشرقية الذي أصبح سفيرًا لإسرائيل في براغ بعد تأسيس إسرائيل، وسأله عن كمية الأسلحة ونوعيتها، والتي تحتاجها إسرائيل من تشيكوسلوفاكيا، فقال له أفرئيل إن إسرائيل تحتاج كل شيء. فعقد ميكونِس اجتماعات متتالية مع القادة والمسؤولين التشيكوسلوفاكيين لحضّهم على تزويد إسرائيل بمختلف أنواع الأسلحة التي تحتاجها في الحرب، وتسهيل عملية نقل السلاح التشيكوسلوفاكي إلى إسرائيل في أسرع وقت ممكن. ألحّ ميكونِس في لقاءاته مع المسؤولين التشيكوسلوفاكيين على ضرورة تخصيص مطار تشيكي بالقرب من براغ - كما كانت تطالب إسرائيل - لنقل مختلف الأسلحة التشيكوسلوفاكية إلى إسرائيل، وقد استجابت السلطات التشيكوسلوفاكية لهذا الطلب، وظلّ هذا المطار الذي أطلق عليه ميكونِس والسفارة الإسرائيلية في براغ مطار عتسيون، نقطة نقل للأسلحة إلى إسرائيل أشهرًا طويلة.

الحزب الشيوعي الإسرائيلي يبادر إلى إقامة الفيلق التشيكوسلوفاكي للمشاركة في الحرب

اقترح شموئيل ميكونِس، في اتصالاته مع المسؤولين التشيكوسلوفاكيين والنشطاء اليهود في براغ، إقامة قوة عسكرية تشيكوسلوفاكية منظّمة، مكوّنة من التشيكوسلوفاكيين اليهود ذوي الخبرة الحربية من جراء مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية، لتحارب إلى جانب إسرائيل في حربها ضدّ الشعب الفلسطيني والدول العربية في الحرب[118]. وفي سياق سعيه إلى تأمين مختلف أنواع الدعم التشيكوسلوفاكي، ولا سيما العسكري، اجتمع ميكونِس مع باول رييمان، أحد قادة القسم الدولي في الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، وطلب منه إقامة "فيلق تشيكوسلوفاكي" مكوّنٍ من تشيكوسلوفاكيين يهود، ليحارب إلى جانب إسرائيل في حرب 1948، ويكون شبيهًا بالفيلق الدولي الذي حارب إلى جانب القوى التقدّمية في الحرب الأهلية الإسبانية[119]. وقد أولى ميكونِس، كما يُستشفّ من شهادته، أهمية كبيرة لإقامة هذا الفيلق؛ لأنه بالإضافة إلى مردوده العسكري المحض،

سيعطي - وفق وجهة نظره - "صبغة تقدّمية" للحرب التي كانت تخوضها إسرائيل ضد الشعب العربي الفلسطيني والدول العربية، كما أن أفراد هذا الفيلق سيستوطنون في إسرائيل التي كانت بحاجة ماسة إلى الهجرة اليهودية وتوطين المهاجرين اليهود في المدن والقرى الفلسطينية التي كان الجيش الإسرائيلي يهجّر أصحابها العرب الفلسطينيين، ضمن عملية تهوديها ومنع عودتهم إليها.

وبعد موافقة السلطات التشيكوسلوفاكية على فكرة إنشاء الفيلق التي بادر إليها ميكونِس، أجرت هذه السلطات مفاوضات في شأن إقامة الفيلق مع إيهود أفرئيل وإقامة علاقات دبلوماسية بين براغ وتل أبيب[(120)]. وتوصّل الطرفان، بعد أسابيع عدة من المفاوضات، إلى اتفاق في شأن إقامة الفيلق. وتعهّدت الحكومة التشيكوسلوفاكية، بموجب هذا الاتفاق، بتزويد الفيلق بالسلاح الذي تموّله الحكومة الإسرائيلية، وبوضع معسكر تدريب بالقرب من براغ، تحت تصرّف متطوّعي الفيلق، وفيه يكون تجميعهم وتدريبهم، تمهيدًا لإرسالهم إلى إسرائيل. والتزمت الحكومة الإسرائيلية بنقل الفيلق إلى إسرائيل على حسابها، وكذلك التزمت بدفعة شهرية لكل عنصر في الفيلق، مقدارها 20 جنيهًا، إلى جانب 40 جنيهًا لأسرته[(121)]. وكان من المفروض - وفق تصوّر ميكونِس وأفرئيل - أن يبلغ عدد أفراد الفيلق نحو ثلاثة آلاف عسكري، بيد أن ذلك لم يتحقق، إذ وصل عدد أفراده إلى نحو 1500 عسكري فقط. وقد سافروا إلى إسرائيل مع أسلحتهم الخفيفة في ثلاث مجموعات؛ وصلت الأولى في كانون الأول/ديسمبر 1948، والثانية في كانون الثاني/يناير 1949، والثالثة في شباط/فبراير 1949[(122)]. وقد جرى دمج الفيلق التشيكوسلوفاكي في الجيش الإسرائيلي بناءً على أوامر بن غوريون، وزير الأمن ورئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك. وشكّل الفيلق التشيكوسلوفاكي ثلاث كتائب في الجيش الإسرائيلي: كتيبة دبابات، وكتيبة مدفعية، وكتيبة مشاة آلية[(123)].

استوطن أفراد الفيلق في إسرائيل بعد تسريحهم من الجيش الإسرائيلي، ووُطّن قسم كبير منهم، بمبادرة ميكونِس وقيادة الحزب الشيوعي الإسرائيلي، كما ذكر ميكونِس في شهادته، في قرية إجزم الفلسطينية جنوب حيفا، على سفح جبل الكرمل، والتي كانت قوات الهاغاناه والبلماح قد هجّرت أصحابها العرب الفلسطينيين[(124)] الذين كان عددهم نحو 3000 نسمة في أواخر تموز/يوليو 1948، بعد معركة استمرت ثلاثة أيام، ارتكب خلالها الجيش الإسرائيلي جرائم حرب ضد السكان الفلسطينيين. وذكر تقرير للمخابرات العسكرية الإسرائيلية أن قوات الجيش الإسرائيلي جمعت لدى احتلالها القرية "200 جثة، كثير منها لمدنيين قُتلوا جراء القصف الجوي"[(125)]. وقد أُطلق عليها بعد تهويدها كيرم مهرال. أما الباقون فجرى توطينهم في قرى وبلدات فلسطينية مهجّرة، من بينها الجاعونة التي أصبح اسمها روش بينا. وذكر

ميكونِس في شهادته أنه كان من الحزب الشيوعي الإسرائيلي نحو 500 جندي في الفيلق التشيكوسلوفاكي.

حلّ مشكلة النقص في سلاح اليishوف اليهودي

احتل النقص في السلاح والعتاد أهمية قصوى لدى قيادة اليishوف اليهودي في فلسطين في أواخر سنة 1947. ففي أعقاب إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947، واقتراب انتهاء الانتداب البريطاني والوجود العسكري البريطاني في فلسطين، وهو الذي كان يحمي اليishوف اليهودي منذ أن احتلت بريطانيا فلسطين في سنة 1918، أولت قيادة اليishوف اليهودي مسألة الحصول على السلاح الأهمية القصوى. وفي أواخر سنة 1947، كانت منظمة الهاغاناه تمتلك 10,073 بندقية، و1900 بندقية رشاشة، و444 مدفع رشاش خفيفًا، و186 مدفع رشاش متوسطًا، و800 مدفع هاون (أغلبيتها 2 إنش، والقليل منها 3 إنش)، ومليون رصاصة[126]. وظلّت كمية هذا السلاح بحوزة الهاغاناه من دون زيادة تذكر، حتى أواخر آذار/مارس 1948. وكانت قيادة اليishوف تدرك أن السلاح الذي كانت تمتلكه الهاغاناه يكفي تسليح 15 في المئة فقط من قوات اليishوف التي يمكن وضعها تحت السلاح، والتي كان يبلغ عددها في تلك الفترة 90 ألفًا من مجمل تعداد اليishوف الذي بلغ في ذلك الوقت 650 ألف نسمة[127].

في أواخر سنة 1947، أصبح شغل دافيد بن غوريون الشاغل كيفية تسليح قوات الهاغاناه بالسلاح والعتاد، فأوكل مهمة شراء السلاح وتزويد اليishوف اليهودي به إلى جهاز سُمي "الموساد للهجرة ب"، وهو الجهاز الذي كان مختصًّا بتهريب المهاجرين اليهود إلى فلسطين. وفي آذار/مارس 1948، عيّن بن غوريون شاؤول أفيغور رئيسًا لذلك الجهاز، والذي أصبح قائدًا لمجمل عملية تسليح اليishوف. وقد أنشأ أفيغور ثلاثة مكاتب أساسية لشراء وتهريب السلاح إلى الهاغاناه في كلٍ من براغ ونيويورك وجنيف، وعُيّن إيهود أفرئيل رئيسًا لمكتب براغ[128].

وفي إثر وصول شحنات السلاح، من تشيكوسلوفاكيا بشكل أساسي، تمكّنت قيادة اليishوف من زيادة وتيرة التجنيد لصفوف الهاغاناه، ومن ثم للجيش الإسرائيلي، مع وصول كل شحنة سلاح، تحديدًا منذ منتصف آذار/مارس 1948. ففي بداية كانون الثاني/يناير 1948 بلغ عدد مجندي الهاغاناه 10 آلاف مجندٍ، وفي بداية آذار/مارس 1948 وصل إلى 16 ألف مجند، وفي منتصف نيسان/أبريل وصل إلى 24 ألف مجند، وفي منتصف أيار/مايو 1948 وصل إلى 42 ألف مجند. وفي آب/أغسطس 1948 بلغ عدد المجندين في الجيش الإسرائيلي 75 ألف عسكري، وفي تشرين الأول/أكتوبر 1948 بلغ 88 ألف مجند، وفي كانون الأول/ديسمبر 1948 بلغ 108 ألف مجند[129]، وقد شمل ذلك 25 ألف عسكري

جرى تجنيدهم في النصف الثاني من سنة 1948 في أوروبا، الشرقية والغربية، وأميركا وبلدان أخرى[130].

كانت تشيكوسلوفاكيا مصدر الأغلبية العظمى من السلاح الذي حصلت عليه إسرائيل خلال سنة 1948. وقد تمكّنت إسرائيل، بفضل هذا السلاح، من تجنيد طاقاتها البشرية كلها، وضم كل من يستطيع حمل السلاح إلى الجيش الإسرائيلي. وقد بلغ دخل تشيكوسلوفاكيا من بيع السلاح لإسرائيل نحو الربع إلى الثلث من دخلها من العملة الصعبة[131]. وقد تمكّنت إسرائيل من دفع ثمن هذا السلاح بفضل حملة التبرّعات التي نظّمتها في الولايات المتحدة الأميركية أساسًا، حيث جمعت 80 مليون دولار في سنة 1948، وهو مبلغ ضخم في معايير تلك الفترة[132].

ساهم مندوبو الهاغاناه، والعديد من الأحزاب الصهيونية والحزب الشيوعي الإسرائيلي، في المساعي لشراء السلاح للهاغاناه، ومن ثم للجيش الإسرائيلي، من دول أوروبا الشرقية. ولكن ما ميّز دور الحزب الشيوعي في هذا المضمار هو علاقاته الرفاقية الحميمية مع قادة الأحزاب الشيوعية الحاكمة في أوروبا الشرقية في تلك الفترة.

كميات السلاح التشيكوسلوفاكي ومراحل وصوله إلى إسرائيل

تقسّم الفترة الزمنية التي حصلت فيها منظمة الهاغاناه، ومن ثم إسرائيل، على السلاح من تشيكوسلوفاكيا إلى مرحلتين أساسيتين: المرحلة الأولى امتدت من كانون الثاني/يناير 1948، حتى تأسيس إسرائيل في منتصف أيار/مايو 1948؛ أما المرحلة الثانية فامتدت منذ منتصف أيار/مايو 1948 وحتى شباط/فبراير 1949، وقد فاقت كميّته ونوعيّته ما اشترته منظمة الهاغاناه في المرحلة الأولى بدرجات.

بدأ ممثّلو المنظمة العسكرية الصهيونية (الهاغاناه) مفاوضات شراء السلاح من تشيكوسلوفاكيا في كانون الأول/ديسمبر 1947. وأجرى مندوب الهاغاناه إيهود أفرئيل خمس صفقات سلاح مع تشيكوسلوفاكيا في الفترة الممتدة من كانون الثاني/يناير وحتى منتصف أيار/مايو 1948، بلغت قيمتها 12,200,000 دولار، في حين بلغ ثمن السلاح الذي اشترته الهاغاناه في الفترة نفسها من دول العالم الأخرى سبعة ملايين دولار[133]. وشملت هذه الصفقات الخمس مع تشيكوسلوفاكيا في الفترة المذكورة، 24,500 بندقية حديثة، و5000 مدفع رشاش خفيف من نوع MG - 34، و200 مدفع رشاش متوسط من نوع "بزه" (B73)، و54 مليون رصاصة، و25 طائرة حربية بكامل أسلحتها وذخيرتها[134]، وقد نقلت هذه الطائرات جوًا بعد تفكيكها، وأُعيد تركيبها حال وصولها إلى إسرائيل بمساعدة الخبراء التشيكوسلوفاكيين.

وصلت الأغلبية العظمى من أسلحة الصفقات الخمس إلى فلسطين قبل منتصف أيار/مايو 1948. وجرى نقل الصفقة الأولى من تشيكوسلوفاكيا بطائرة

وسفينة، فوصلت الطائرة إلى مطار بيت دارس في النقب الذي كانت تحتله قوات الهاغاناه، في 31 آذار/مارس 1948، وحملت هذه الطائرة 200 بندقية حديثة و40 مدفع رشاش، بالإضافة إلى أسلحة أخرى وذخيرة[135]. جرى نقل الأغلبية العظمى من السلاح عن طريق البحر. ولما لم يكن لتشيكوسلوفاكيا منفَذًا بحريًا، كان لا بد للسلاح أن يمرّ من أراضي كلٍ من هنغاريا ويوغسلافيا اللتين لم توافقا في البداية على مرور السلاح من أراضيهما. وإزاء هذا الوضع، اجتمع موشيه شرتوك (شاريت)، رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، في 5 شباط/فبراير 1948 مع أندريه غروميكو في نيويورك، وأطلعه على شراء الهاغاناه السلاح من تشيكوسلوفاكيا، وشكا إليه مصاعب نقله بسبب رفض يوغسلافيا وهنغاريا مرور السلاح من أراضيهما[136]. ويبدو أنه في إثر تدخّل الاتحاد السوفياتي، غيّرت هنغاريا ويوغسلافيا موقفهما، وسمحتا بنقل السلاح عن طريق القطار من تشيكوسلوفاكيا إلى ميناء سيبنيك في يوغسلافيا، الواقع على البحر الأدرياتيكي.

وبالفعل، نقلت السلاح سفينة استأجرتها الهاغاناه من شركة ملاحة إيطالية، وأطلقت عليها اسم "نورا"، ووصلت في 1 نيسان/أبريل 1948 إلى تل أبيب، بعدما جرى نقل الأسلحة برًا من تشيكوسلوفاكيا عن طريق هنغاريا. وحملت هذه السفينة 4500 بندقية حديثة، و200 مدفع رشاش، وأكثر من خمسة ملايين رصاصة[137]. وقد نقل السلاح من السفينة والطائرة مباشرة، وبصناديقه التي أرسل بها، إلى قوات الهاغاناه في جبهات القتال، والتي كانت في انتظارها على أحرّ من الجمر، لتباشر تنفيذ عملية نحشون لفتح الطريق إلى القدس الغربية المحاصرة، ولتستهلّ بها خطة "دالت" الكبرى، القاضية باحتلال المدن والقرى والبلدات الفلسطينية وطرد الفلسطينيين منها. وساهم وصول الأسلحة التشيكية مساهمة أساسية وحاسمة في إحداث تحوّل جذري في مجريات الحرب، ولا سيما في القسطل في 8 نيسان/أبريل 1948 التي استشهد في معركتها عبد القادر الحسيني، والتي احتلتها الهاغاناه بفضل ذلك السلاح.

قطار جوي بين تشيكوسلوفاكيا وإسرائيل

في ضوء ازدياد بيع تشيكوسلوفاكيا مختلف أنواع الأسلحة لإسرائيل، واستمرار حظر الأمم المتحدة بيع الأسلحة للأطراف المتحاربة، خصّصت تشيكوسلوفاكيا مطار جاطتس، الواقع بالقرب من براغ، في إثر الجهد الذي بذله ميكونِس - كما ذُكر سابقًا - لتصدير السلاح التشيكوسلوفاكي من خلاله إلى إسرائيل، ولتدريب طيارين متطوّعين يهود، وغير يهود، من أوروبا الشرقية وغيرها، وكذلك طيارين إسرائيليين، كان من بينهم عيزر وايزمان الذي أصبح لاحقًا قائدًا لسلاح الجو الإسرائيلي.

وفي الفترة الممتدة من 20 أيار/مايو 1948 وحتى 11 آب/أغسطس 1948، زوّد هذا القطار الجوي إسرائيل بكميات كبيرة جدًا من الأسلحة الحديثة التي كان لها دور مهم وحاسم في حرب إسرائيل ضد الشعب العربي الفلسطيني وطرده من دياره، وفي ارتكاب المجازر بحقّه، كما في هزيمة الدول العربية في حرب 1948. وقد نقل هذا القطار الجوي خلال تلك الفترة أكثر من 350 طن من الأسلحة والذخيرة، بواسطة 95 نقلة جوية، وفق ما كانت تطلبه إسرائيل من الأسلحة الحديثة حينئذ. وشمل ذلك الأسلحة الخفيفة والمتوسطة[138]. واستخدمت تلك الطائرات في البداية مطارًا في كورسيكا للتزوّد بالوقود في طريقها إلى إسرائيل. وعندما توقفت فرنسا، في منتصف حزيران/يونيو 1948، عن السماح لطائرات القطار الجوي الهبوط في كورسيكا بسبب الضغط الدولي، سمحت يوغسلافيا، في 15 حزيران/يونيو 1948، استعمال طائرات القطار الجوي لأحد مطاراتها. واستمر نقل الأسلحة التشيكية جوًا إلى إسرائيل حتى منتصف تشرين الأول/أكتوبر 1948، وإن بوتيرة أقل[139].

وإلى جانب هذا القطار الجوي، نقلت إسرائيل الأسلحة التي اشترتها من تشيكوسلوفاكيا بواسطة السفن، ولا سيما الأسلحة الثقيلة والمتوسطة، وشملت الطائرات العسكرية وأسلحة ثقيلة أخرى. وقد بلغ مجمل عدد الطائرات الحربية التي اشترتها إسرائيل من تشيكوسلوفاكيا خلال الحرب 85 طائرة حربية. وقد شكّلت هذه الطائرات النواة الأولى لسلاح الجو الإسرائيلي، واستعملتها إسرائيل في حرب 1948، واستهلّت عملياتها بقصف أهداف مدنية في المدن والبلدات الفلسطينية وبقصف القاهرة وعمّان ودمشق.

أهمية السلاح التشيكوسلوفاكي في حسم نتائج الحرب

أشار كثير من المؤرخين والمختصّين والقادة الإسرائيليين إلى أهمية السلاح التشيكوسلوفاكي، ومختلف أشكال الدعم الأخرى التي حصلت عليها إسرائيل من أوروبا الشرقية، بقيادة الاتحاد السوفياتي، في حسم حرب 1948 لصالح إسرائيل. وأكّدوا أيضًا أنه من دون حصول إسرائيل على هذا السلاح، كان مشكوك في قدرة اليهود على تأسيس دولة إسرائيل والحفاظ على وجودها، فكتب مؤسس إسرائيل، دافيد بن غوريون، في مذكراته يوميات الحرب، في 4 نيسان/أبريل 1949: "في هذه الأيام مرّت سنة على عملية نحشون التي شكّلت تحوّلًا في مجريات الحرب"[140]. وفي خطابه في الكنيست في 29 حزيران/يونيو 1950، أشاد بن غوريون بالمساعدة العسكرية التشيكوسلوفاكية وقال: "إننا لن ننسى أبدًا مساعدة تشيكوسلوفاكيا التي قدّماها يان ماساريك وكلامنتيس. وقد ساعدنا ليس فقط هذان الرجلان اللذان اتصلنا بهما، وإنما ساعدتنا الحكومة التشيكوسلوفاكية باسم شعبها. وأنا أريد أن يعرف ويثمّن كل يهودي هذه المساعدة"[141].

أما رئيسة الحكومة الإسرائيلية، غولدا مئير، والتي جمعت في ربيع 1948 نحو 60 مليون دولار من يهود الولايات المتحدة - وهو مبلغ ضخم بمعايير تلك الفترة - لشراء الأسلحة لمنظمة الهاغاناه العسكرية، ومن ثم للجيش الإسرائيلي، وكانت أول من شغِل منصب سفير لإسرائيل في موسكو أثناء فترة "شهر العسل" بين موسكو وتل أبيب، والذي امتد نحو عامين، فأكدت في مذكراتها التي نشرتها في سنة 1975 أن إسرائيل اعتمدت أساسًا في حرب 1948 على الأسلحة التي اشترتها من تشيكوسلوفاكيا. وأضافت: "لولا الأسلحة والذخيرة التي تمكّنا من شرائها من تشيكوسلوفاكيا، ومرورها عن طريق يوغسلافيا ودول أخرى في البلقان. في تلك الأيام المظلمة من الحرب، لا أعرف إن كان بمقدورنا الصمود، إلى أن تغيّر الوضع في حزيران/يونيو 1948. في الستة أسابيع الأولى من حرب الاستقلال اعتمدنا أساسًا (ولكن ليس بالمطلق) على القذائف والأسلحة الرشاشة والرصاص، وحتى الطائرات التي تمكّنت الهاغاناه من شرائها من أوروبا الشرقية، في الوقت الذي أعلنت فيه حتى الولايات المتحدة عن حظر بيع وإرسال السلاح إلى الشرق الأوسط"[(142)].
أما يتسحاق رابين الذي كان قائد لواء في منطقة القدس في حرب 1948، عندما وصلت الأسلحة التشيكية في بداية شهر نيسان/أبريل 1948، في تلك الفترة الحاسمة، والذي أصبح لاحقًا رئيسًا لأركان الجيش الإسرائيلي ووزيرًا للأمن ورئيسًا للحكومة الإسرائيلية، فكتب في مذكراته: "مهما كان حساب دولة إسرائيل وحساب الشعب اليهودي مع العالم الشيوعي، فإنه ينبغي الكتابة على رأس الصفحة بأحرف بارزة وواضحة: من دون السلاح التشيكوسلوفاكي الذي من المؤكد أنه كان وفق تعليمات من الاتحاد السوفياتي، من المشكوك جدًا فيه إذا كان بقدرتنا الصمود في حرب استقلالنا، عندما أغلقت جميع دول الغرب مخازنها في وجهنا. وعندما حصلنا على البنادق والرشاشات والمدافع والطائرات من تشيكوسلوفاكيا، تمكّن جيش الدفاع الإسرائيلي من الصمود في المعركة الصعبة"[(143)].

(92) إلياهو غوجانسكي (1914 - 1948): وُلد في سانت بطرسبرغ بروسيا. انخرط منذ صغره في حركة هشومير هتسعير الصهيونية اليسارية، وهاجر من خلالها إلى فلسطين واستوطن فيها في سنة 1931. انضم إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني في أواسط الثلاثينيات، وأصبح أحد قادته وعضوًا في مكتبه السياسي، وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي. في سنة 1938، عمل مسّاحًا للأراضي في الجيش البريطاني في فلسطين. لقي حتفه في كانون الأول/ديسمبر 1948 في إثر حادثة سقوط طائرة فوق اليونان عند عودته إلى تل أبيب من زيارته إلى أوروبا الشرقية.

(93) روت لوبيتش (1906 - 2010): وُلدت في وارسو ببولندا. في سنة 1922 انضمت إلى حركة هشومير هتسعير الصهيونية اليسارية، وهاجرت من خلالها إلى فلسطين واستوطنت فيها في سنة 1929. في سنة 1931 انضمت إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني، وأصبحت عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي في سنة 1948، وعضوًا في مكتبه السياسي بين سنتي 1969 و1990.

(94) كول هعام، 3/2/1948.

(95) عن نشاط إلياهو غوجانسكي في أوروبا الشرقية، يُنظر: "الرفيق غوجانسكي في اجتماع شعبي في كلوج"، كول هعام، 9/2/1948.

(96) أرشيف معهد لافون، "شهادة ميكونِس"، رقم 104 - 151A - 85 - 1v، ص 63 (بالعبرية).

(97) جورج مارشال (1880 - 1959): رئيس أركان جيش الولايات المتحدة الأميركية بين سنتي 1939 و1945، ووزير الخارجية بين سنتي 1947 و1949.

(98) "تهنئة الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي لمؤتمر الوحدة بين الحزب الشيوعي الروماني والحزب الاشتراكي الروماني"، كول هعام، 25/2/1948.

(99) فلادسلاف أندرس (1892 - 1970): كان جنرالًا بولنديًا خلال الحرب العالمية الثانية، وعيّنته الحكومة البولندية في المنفى، في شباط/فبراير 1945، قائدًا عامًا للجيش البولندي. وكان معارضًا للحكومة البولندية الموالية للاتحاد السوفياتي في تلك الفترة.

(100) المرجع نفسه.

(101) كليمنت أتلي (1883 - 1967): زعيم حزب العمّال البريطاني بين سنتي 1935 و1955، وتولى رئاسة الحكومة البريطانية بين سنتي 1945 و1951.

(102) المرجع نفسه.

(103) المرجع نفسه.

(104) "شهادة ميكونس"، ص 110.

(105) إيهود أفرئيل (1917 - 1980): وُلد في فيينا وهاجر إلى فلسطين في سنة 1939 واستوطن فيها. نشِط خلال الحرب العالمية الثانية ضمن منظمة الهاغاناه في تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وشراء السلاح للمنظمة. في أعقاب الحرب العالمية الثانية، عيّنه دافيد بن غوريون مندوبًا للهاغاناه في أوروبا الشرقية من أجل شراء السلاح للمنظمة، ثم أصبح أول سفير لإسرائيل في براغ، ولاحقًا، عُيّن مديرًا لمكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية، بن غوريون.

(106) المرجع نفسه، ص 69.

(107) المرجع نفسه، ص 70.

(108) المرجع نفسه، ص 73؛ يُنظر أيضًا: "ميكونِس يلتقي ديميتروف"، كول هعام، 14/4/1948.

(109) "شهادة ميكونِس"، ص 73.

(110) المرجع نفسه، ص 53.

(111) المرجع نفسه، ص 65.

(112) المرجع نفسه، ص 80.

(113) "ميكونِس قابل د. بن غوريون"، كول هعام، 26/5/1948؛ يُنظر أيضًا: دافيد بن غوريون، يوميات الحرب: حرب الاستقلال 1947 – 1949، ج 2 (تل أبيب: وزارة الأمن، 1982)، ص 455 (بالعبرية).

(114) "شهادة ميكونِس"، ص 82.

(115) بن غوريون، يوميات الحرب، ج 2.

(116) إستِر فيلنسكا (1918 - 1975): وُلدت في مدينة فيلنا بليتوانيا. انضمت إلى حركة هشومير هتسعير الصهيونية اليسارية، وهاجرت من خلالها إلى فلسطين واستوطنت فيها. تزوّجا هي ومئير فلنر، وانفصلا لاحقًا، في سنة 1938. في سنة 1940، انضمت إلى الحزب الشيوعي الفلسطيني، وفي سنة 1944 أصبحت عضوًا في المكتب السياسي للحزب. لاحقًا، انضمت إلى جماعة شموئيل ميكونِس بعد الانشقاق الكبير الذي شهده الحزب الشيوعي الإسرائيلي في سنة 1965.

(117) "شهادة ميكونِس"، ص 91.

(118) أكّد ميكونِس مرارًا في شهادته المشار إليها سابقًا أنه هو الذي بادر إلى اقتراح تنظيم الفيلق التشيكوسلوفاكي وعمِل من أجل ذلك، فذكر مثلًا: "لقد سافرت إلى براغ في بداية [حزيران] يونيو لكي أحقق أمرين: الحصول على السلاح والمقاتلين، وجزء من هؤلاء المقاتلين يسكنون اليوم في مهرال [إجزم] بالقرب من حيفا. أنا أعرفهم، أعرفهم جميعهم؛ فإنني أنا الذي نظّم الفيلق"، في: "شهادة ميكونِس"، ص 62.

(119) يعقوب ماركوفيتسكي، "مؤامرة شيوعية أم مساعدة للأخوة: تجنيد البريغادا التشيكوسلوفاكية 1948 - 1949"، عيونيم بتكومات يسرائيل (دراسات في نهضة إسرائيل)، العدد 6 (1996)، ص 190 - 201 (بالعبرية).
(120) موشيه يغار، تشيكوسلوفاكيا والصهيونية وإسرائيل: تطوّر علاقات مركبة (تل أبيب: المكتبة الصهيونية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية، 1979)، ص 111 (بالعبرية). جرى تقديم أوراق اعتماد إيهود أفرئيل لرئيس تشيكوسلوفاكيا على عجل، ولم يمتلك أفرئيل معرفة في الأعراف الدبلوماسية، ولا في ما يُكتب في ورقة اعتماد السفير، فقدّم أفرئيل لرئيس تشيكوسلوفاكيا مغلفًا فارغًا بناء على اقتراح رجال البروتوكول في مكتب رئيس تشيكوسلوفاكيا، يُنظر: المرجع نفسه، ص 111 - 112.
(121) المرجع نفسه.
(122) يعقوب ماركوفيتسكي، الجمرة المقاتلة: التجنيد من خارج البلاد في حرب الاستقلال (تل أبيب: وزارة الأمن، 1995)، ص 190 - 191 (بالعبرية).
(123) ماركوفيتسكي، "مؤامرة شيوعية"، ص 199 - 200.
(124) "شهادة ميكونِس"، ص 54.
(125) إيلان بابِه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، ص 193.
(126) عميتسور إيلان، "موازين القوى والجهوزية للحرب: جيش الدفاع الإسرائيلي والجيوش العربية في سنة 1948"، في: حرب الاستقلال 1948 – 1949: بحث مجدد، ألون قديش (محرر)، ج 1 (تل أبيب: وزارة الأمن الدفاع، 2004)، ص 89 - 91 (بالعبرية).
(127) المرجع نفسه.
(128) المرجع نفسه، ص 91.
(129) المرجع نفسه، ص 84.
(130) للمزيد عن هذا الموضوع، يُنظر: ماركوفيتسكي، الجمرة المقاتلة، ص 13، 17 - 62.
(131) إيلان، ص 93.
(132) المرجع نفسه، ص 85.
(133) يغار، ص 86.
(134) المرجع نفسه. للمزيد عن صفقات الأسلحة بين تشيكوسلوفاكيا والهاغاناه قبل قيام دولة إسرائيل، يُنظر: يهودا سلوتسكي، كتاب تاريخ الهاغاناه، ج

2، مج 3 (تل أبيب: عام عوفيد، 1972)، ص 1526 (بالعبرية).
(135) يغار، ص 86 - 87.
(136) المرجع نفسه، ص 87.
(137) المرجع نفسه.
(138) المرجع نفسه، ص 102.
(139) المرجع نفسه.
(140) بن غوريون، يوميات الحرب، ج 3، ص 985.
(141) "يوم 31 أيار/مايو 1950"، في: محاضر الكنيست (القدس: المطبعة الحكومية، 1950)، ص 1587 - 1588 (بالعبرية).
(142) Golda Meir, *My Life* (Jerusalem/Tel Aviv: Steimatzky, 1975), pp. 188 - 189.
(143) يتسحاق رابين، دفتر مذكرات خدمة، مج 1 (تل أبيب: مكتبة معاريف، 1979)، ص 58 (بالعبرية).

الفصل الرابع: سعي الحزب الشيوعي للمشاركة في مؤسسات الأمن ومجلس الدولة اليهودية

شنّ الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي حملة واسعة ومستمرة لإشراكه في مؤسسات الأمن لليishوف اليهودي في فلسطين وفي مجلس الدولة اليهودية[144]. وفي بداية آذار/مارس 1948، أبلغت اللجنة القومية وإدارة الوكالة اليهودية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي موافقتها أن يكون للحزب ممثّلًا واحدًا في مجلس الشعب، وطلبت من اللجنة المركزية للحزب تسمية ممثّلٍ لها في هذا المجلس. وقد استجابت اللجنة فورًا، وعيّنت شموئيل ميكونِس، أمين عام الحزب الذي كان حينئذ في أوروبا الشرقية، ممثّلًا لها في مجلس الشعب. لم يكتفِ الحزب بذلك، واستمر في مطالبته من أجل إشراكه في قيادة قوى الأمن لليishوف[145].

ودعا مئير فلنر في مقال له، في ظل النقاش في اليishوف حول تركيبة مجلس الشعب وحجم القوى السياسية فيه، إلى تمثيل الحزب الشيوعي فيه بأكثر من عضو واحد، وبما يتناسب مع قوته الحقيقية في اليishوف اليهودي[146]. وناقش فلنر مَن طرحوا أن مجلس الشعب ينبغي أن يمثّل موازين القوى في "الشعب اليهودي في العالم"، وليس فقط في اليishوف اليهودي في فلسطين، وحاججهم بأن "موازين القوى في الشعب اليهودي في العالم" ليست في صالح اليمين، وأضاف أن القوى التقدّمية في صفوف الشعب اليهودي في العالم، وفي مقدمتهم الشيوعيون، يقفون بقوة إلى جانب إقامة الدولة اليهودية المستقلة والديمقراطية. ووضّح فلنر في مقاله أنه "حان الوقت لوضع حدٍ، مرة وإلى الأبد، للادّعاء الذي لا أساس له من الصحة بأن دعم حرب اليishوف اليهودي للاستقلال القومي ودعم حقّ اليهود في الهجرة والاستيطان، هو قضية تخصّ الحركة الصهيونية فقط"؛ لأنه "منذ اللحظة التي اتخذت فيها الحرب لإقامة الدولة اليهودية طابعًا معاديًا للإمبريالية"، وفق ما ادّعاه فلنر، باتت هذه المطالب مطالب ديمقراطية تقدّمية. وادّعى أنه لا يوجد أصلًا أي أساس لاعتبارها مطالب صهيونية[147].

واسترسل فلنر في محاولته إثبات أن الحزب الشيوعي يتمسّك بهذه المطالب أكثر من الحركة الصهيونية نفسها، فقال إنه بات واضحًا في هذه الأيام، وسيتضح ذلك أكثر في المستقبل، أنه توجد الآن قوى داخل المعسكر الصهيوني، وستزداد أكثر في المستقبل، والتي ستخون حرب استقلال الشعب اليهودي، انطلاقًا من علاقاتها مع الإمبريالية البريطانية والأميركية. وأضاف أنه في مقابل ذلك، توجد قوى كثيرة ذات وزن، والتي لا تنتمي للمعسكر الصهيوني، وتدعم، بلا هوادة ومن دون مساومات، حرب الاستقلال القومي لليishوف اليهودي في فلسطين.

وانتقد فلنر في مقاله تقصير قيادة الحركة الصهيونية في حشد وتجنيد مختلف الطاقات الكامنة في اليشوف واليهود في العالم، وادّعى أن اليشوف اليهودي مجنّد على نحو جزئي فقط، وينقصه السلاح والعتاد والذخيرة ووسائل النقل. وطالب بالإسراع في إقامة الحكومة المؤقتة، لكي تقوم بمهماتها ودورها باعتبارها مؤسسة "مقاتلة تجنّد جميع القوى الكامنة في اليشوف، وفي الشعب اليهودي في العالم" من أجل تحقيق الاستقلال[148]. وبدوره أشار إلياهو غوجانسكي في مقال له إلى أن اليشوف اليهودي يواجِه حربًا مصيرية وطويلة وقاسية، وأن ذلك يستدعي التعبئة والتجنيد الكامل للجبهة والعمق، وملاءمة العمق لاحتياجاتها، وتنظيم الاقتصاد والمجتمع ووسائل الإنتاج بالكامل لخدمة الحرب، بما في ذلك وضع قوانين طوارئ لخدمة الجهد الحربي[149].
وفي 13 آذار/مارس 1948، اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي وناقشت تردّي أوضاع اليشوف اليهودي، نتيجة النضال الفعّال الذي كان يخوضه الشعب الفلسطيني، واتخذت مجموعة من القرارات التي تخصّ الحرب وقراءة الحزب لها ولدوره فيها. وعالجت اللجنة المركزية أربعة مواضيع أساسية، وهي: وضع الأمن، ومسألة القضاء على التهرّب من الخدمة العسكرية، ومطلب الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية، ودور الحزب الشيوعي في الحرب[150]. ومن أهم ما جاء في هذه المواضيع التي عالجتها اللجنة المركزية: 1 - وضع الأمن: أكّدت اللجنة المركزية أن وضع الأمن لليشوف في

الشهر الأخير أصبح خطيرًا، واتّهمت الإمبريالية البريطانية بالتسبّب في ذلك، لأنها نظّمت - كما ادّعت اللجنة المركزية - الحرب ضدّ قرارات الأمم المتحدة. ومرّت هذه الحرب، وفق ادّعاء اللجنة المركزية، في ثلاث مراحل: في المرحلة الأولى "جنّدت الإمبريالية بمساعدة الهيئة العربية العليا عصابات من العناصر الضعيفة من السكان العرب" لتقاتل ضدّ اليشوف. وقد عارض ذلك، وفق ما ادّعته اللجنة المركزية، كثير من القرى العربية وطبقات واسعة من الشعب العربي، من عمّال وحرفيين وتجّار. ونتيجة لذلك، فشلت الإمبريالية البريطانية في إثارة أجزاء واسعة من الشعب الفلسطيني ضدّ اليشوف، فاضطرت إلى الانتقال للمرحلة الثانية، وهي "تجنيد عصابات من صفوف عناصر ظلامية من الدول العربية المجاورة ومن مناطق بعيدة". ولم تكتفِ اللجنة المركزية بهذه الافتراءات في سياق سعيها إلى تشويه النضال الفلسطيني، فأضافت افتراءً آخر لتسويقه، ليس فقط في فلسطين، وإنما أيضًا لدى الأحزاب الشيوعية والقوى التقدّمية في العالم، ولا سيما في أوروبا الشرقية التي عانت الأمرّين من الاحتلال النازي، فذكرت أن "الإمبريالية البريطانية تجنّد عشرات الضباط النازيين لهذه العصابات"، وذلك في الوقت الذي تزيد فيه من مصادرتها لسلاح اليشوف، ومن تنفيذ تفجيرات في مواقع للهاغاناه.

واستطردت اللجنة المركزية قائلة إنه "في ضوء الصمود الأسطوري لليیشوف اليهودي"، وفي ضوء معارضة الأغلبية العظمى من الشعب العربي في البلاد المشاركة في الهجوم على الييشوف اليهودي، انتقلت الإمبريالية البريطانية إلى المرحلة الثالثة، وهي وفق افترائها "المشاركة المباشرة للجيش والشرطة البريطانية في الهجوم على الييشوف". وأضافت اللجنة المركزية أن الجهة التي يواجهها الييشوف اليوم هي ليست جهة سياسية فحسب، وإنما أيضًا جهة عسكرية تشمل الإمبريالية البريطانية والرجعية العربية. واستخلصت اللجنة المركزية أنه من أجل تحسين إدارة "حربنا العسكرية" وإدارتها، فإنه يجب أن يكون لليیشوف اليهودي المقاتل جيش واحد فقط، وأنه ينبغي إلغاء اتفاق منظمة الهاغاناه مع منظمة إتسِل، ويجب إشراك جميع الأحزاب الديمقراطية اليهودية في قرارات الييشوف العسكرية والسياسية[(151)].

2 - القضاء على التهرّب من الخدمة والسمسرة: انتقدت اللجنة المركزية بشدة قيادة

الييشوف اليهودي لتقصيرها، وفق ما ادّعته، في مكافحة التهرّب في صفوف الييشوف من الخدمة العسكرية وفي التصدّي للسمسرة في الييشوف. وأبدت اللجنة المركزية في بيانها حرصها على أمن الييشوف وحربه أكثر من قيادة الييشوف، فأكّدت أنه في الوقت الذي يهدّد فيه "العدو الإمبريالي" الوجود الجسدي المادي لليیشوف اليهودي، فإن قيادة الييشوف لم تقم بتجنيد الييشوف وفقًا لمتطلّبات مواجهة الخطر المحدق به. وادّعت اللجنة المركزية أن قيادة الييشوف لم تتخذ الإجراءات الكافية ضدّ المتهرّبين من الخدمة العسكرية، ولا سيما ضدّ الأغنياء منهم وأصحاب رؤوس الأموال الذين اتّهمتهم اللجنة المركزية بالتهرّب من تأدية واجبهم، في الوقت الذي كان فيه الييشوف بأمسّ الحاجة إلى ملايين الليرات لشراء السلاح والذخيرة. ودعت اللجنة المركزية قيادة الييشوف إلى اتخاذ الإجراءات الصارمة ضدّ المتهرّبين من الخدمة العسكرية، وضدّ السماسرة والمضاربين بالأسعار، واعتبارهم خائنين للوطن[(152)].

3 - الحكومة المؤقتة: دعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي

قيادة الحركة الصهيونية إلى تشكيل الحكومة المؤقتة في أقرب وقت ممكن، وقبل انتهاء شهر آذار/مارس 1948. وطالبت أن تشمل هذه الحكومة الحزب الشيوعي وجميع الأحزاب الصهيونية العمّالية. وأكدت اللجنة المركزية أن على الحكومة المؤقتة عند تشكيلها الإعلان عن حالة الطوارئ، وتجنيد جميع المساعدات من "الشعب اليهودي في العالم"، والتوجّه إلى جميع الدول الديمقراطية ودعوتها إلى تقديم مختلف أشكال الدعم لليیشوف اليهودي ضدّ "العدوان الإمبريالي" و"العصابات العربية من الدول العربية المجاورة". ودعت اللجنة المركزية الحكومة المؤقتة، "في ضوء الحرب العلنية" التي تشنّها

الإمبريالية البريطانية ضدّ إقامة الدولة اليهودية، و"في ضوء التخريب المتعمّد" الذي تقوم به حكومة الولايات المتحدة، أن تستخلص العبر وأن تقف بشدة ضدّ التوصّل إلى أي حلٍ وسطٍ على حساب سيادة الدولة اليهودية، وأن تعلن أنها ستعتبر أن "أي محاولة خضوع للضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية للأعداء الإمبرياليين خيانة للوطن والشعب".

4 - دور الحزب الشيوعي: أكدت اللجنة المركزية مجددًا أن الحزب، بجميع كوادره

وأعضائه وأنصاره، مجنّدٌ لمصلحة "حرب اليشوف اليهودي للاستقلال"، إذ إن "الحرب من أجل الاستقلال وإخلاء الجيش الأجنبي ما زالت مستمرة، فالإمبريالية الأميركية والبريطانية تقوم بكل شيء، رغم الإعلانات، من أجل إبقاء الحكم الإمبريالي بشكل جديد". ودعت اللجنة المركزية "جميع أعضاء الحزب إلى الانخراط فورًا، في هذه الساعة الحاسمة لمستقبل اليشوف، في الصفوف الأمامية للمناضلين ضدّ أي حلٍ وسطٍ مع الإمبريالية، والتصدّي لكل هجوم عسكري أو سياسي أو اقتصادي ضدّ اليشوف اليهودي". وأكّدت اللجنة المركزية أنه يتحتم على أعضاء الحزب المنخرطين في صفوف قوات اليشوف العسكرية في الجليل والنقب، وفي مختلف خطوط التماس في المدن والمستوطنات، أن يشكّلوا أنموذجًا للمقاتلين من أجل الحرية. واختتمت اللجنة المركزية قراراتها بالشعار: "تجنيد كامل من أجل الاستقلال الكامل"[153].

الحزب الشيوعي ومطلب وضع فلسطين تحت الوصاية

حتى آذار/مارس 1948، كان العرب الفلسطينيون يسيطرون على معظم طرق المواصلات في فلسطين، ما مكّنهم من وضع التجمّعات اليهودية في حالة حصار، وإن لم يكن محكمًا، وخاصة في كلٍ من منطقة القدس، ومناطق الخليل في غوش عتسيون، والنقب والجليل. بلغت حينها خسائر اليشوف اليهودي حتى نهاية شباط/فبراير 1948 نحو ألف قتيل، وبدا أن الوضع العسكري العام في فلسطين يميل إلى صالح العرب الفلسطينيين. وقد أقلق هذا الأمر الولايات المتحدة الأميركية؛ ففي أعقاب خشيتها من عدم قدرة الحركة الصهيونية فرض الدولة اليهودية بقوة السلاح على الشعب الفلسطيني، أعلن مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة، في 19 آذار/مارس 1948 أن حكومة الولايات المتحدة سحبت تأييدها لمشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين، وأنها باتت تميل إلى فرض نظام الوصاية على فلسطين بديلًا لقرار التقسيم. كما اتخذت هذا الموقف أيضًا كلٌ من فرنسا وبريطانيا والصين، وأغلبية الدول الأعضاء في مجلس الأمن، ما عدا الاتحاد السوفياتي الذي ظلّ مصمّمًا على تنفيذ قرار التقسيم، ولا سيما الشطر المتعلّق بإقامة دولة يهودية في فلسطين[154]. لقد كان الاعتبار الرئيس للاتحاد السوفياتي هو انسحاب بريطانيا وتصفية نفوذها في الشرق الأوسط، مع تسرّب الوهم إلى

قياداته بأن المستقبل هو للنفوذ السوفياتي في فلسطين، بسبب قيادة الأحزاب العمّالية لليشوف، ووجود "عناصر تقدّمية" بين المستوطنين اليهود، وأصول معظمهم من روسيا وأوروبا الشرقية.
أجمعت المؤسسات والأحزاب الصهيونية على إدانة اقتراح الولايات المتحدة بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية بدل تقسيمها وإقامة دولة يهودية فيها، وبرز الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي في رفضه لهذا الاقتراح، ونعته بمختلف النعوت السلبية. لم ينطلق الحزب الشيوعي في رفضه هذا الاقتراح من منطلق احترام قرارات الأمم المتحدة؛ فالحزب كان يعلن أنه يقف ضدّ قرارات الأمم المتحدة ويعمل ضدها عندما كانت هذه القرارات تتناقض مع أهداف الحركة الصهيوينة، مثل تأييده لاحتلال أراضٍ عربية فلسطينية مخصّصة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم، وتأييده احتلال الجيش الإسرائيلي خلال حرب 1948 أراضٍ تابعة للدول العربية، والتي كانت خارج حدود الدولة اليهودية، وكذلك مثلٍ تنظيم جلب السلاح والهجرة اليهودية والمقاتلين اليهود من أوروبا الشرقية، خلافًا لقرارات الأمم المتحدة، كما رأينا سابقًا.
وقد شنّ الحزب حملة شعواء ضدّ اقتراح الوصاية المؤقتة على فلسطين. وفي هذا السياق، انتقدت صحيفة كول هعام هذا الاقتراح بشدة، وحمل عددها الصادر في 21 آذار/مارس 1948 عنوان "خيانة مخجلة لحكومة أميركا"، وصبّت فيه جامَ غضبها على الاقتراح الأميركي[155]. وفي افتتاحية العدد نفسه، كتبت كول هعام تحت عنوان "لن تنجح المؤامرة"، أن حكومة أميركا الإمبريالية أعلنت عن تخلّيها التام عن قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، وبذلك "تحوّل الآن التخريب الخفي الذي كانت تقوم به الولايات المتحدة إلى خيانة علنية". وأردفت كول هعام أن استقلال الييشوف غير مرتبط بالاعتبارات الإمبريالية الأميركية، و"لن يتأثر استقلالنا القومي بسبب هذه الخيانة الأميركية؛ فحريتنا مرتبطة بنا، الييشوف اليهودي، وبحلفائنا الحقيقيين". وأضافت أن الييشوف اليهودي حشد طاقاته كلها من أجل إقامة الدولة اليهودية وإفشال نظام الوصاية، وأنه ينبعي أن تتوجّه قيادة الييشوف فورًا إلى المعسكر الاشتراكي وتطلب المساعدات منه، لتمكين الييشوف من إقامة الدولة اليهودية[156].
وفي 22 آذار/مارس 1948، أصدر الحزب بيانًا تحت عنوان "لتشكّل الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية فورًا"، استهلّه بقوله: "أصبح التخريب الأميركي على قرارات الأمم المتحدة المتعلّقة بإقامة الدولة اليهودية خيانة مكشوفة"[157].
وأضاف: "إن استقلال الييشوف اليهودي لا يعتمد على الاعتبارات والمؤامرات الإمبريالية لمستعبدي الشعوب ومثيري الحروب في واشنطن ولندن. إن حريتنا تعتمد علينا، نحن الييشوف اليهودي، نستطيع الحصول على استقلالنا

القومي فقط من خلال الحرب". وأضاف البيان: "إننا لسنا معزولين، لنا حلفاء عظام؛ الاتحاد السوفياتي، وبلدان الديمقراطية الشعبية في شرق أوروبا، والشعب اليهودي كله، والقوى التقدّمية كلها في العالم تقف إلى جانبنا!
لنحارب ضدّ كل محاولة للاستسلام. لنجنّد الييشوف كله في معسكر مقاتل لإقامة دولتنا، ولنقاوم كل عملٍ عدائيٍ من جانب الإمبرياليين الغرباء وعصاباتهم العربية المأجورة". واختتم الحزب الشيوعي بيانه بدعوته قيادة الييشوف إلى إقامة الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية فورًا[158].
انتقد الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي بشدة موقف جمعية إيحود اليسارية اليهودية التي كان يقودها الدكتور يهودا ماغنس والبروفيسور مارتن بوبر، بعد إعلان قبولها بنظام الوصاية وبوقف إطلاق النار بين الفلسطينيين والييشوف، وفق ما اقترحه الرئيس الأميركي هاري ترومان (Harry S. Truman)[159]. وقد وضّحت جمعية إيحود عند قبولها نظام الوصاية أنها تهدف من وراء ذلك إلى أن تصبح فلسطين دولة ثنائية القومية أو دولة فدرالية، من دون أن يحكم طرف الطرف الآخر، وأن تستمر الهجرة اليهودية وتطوير البلاد. وأضافت أن وقف إطلاق النار ونظام الوصاية يمنح فرصة تاريخية لتحقيق السلام والتفاهم بين الطرفين، خاصة وأن نظام الوصاية سيكون مؤقتًا. وادّعت افتتاحية كول هعام أن اقتراح ترومان يحتوي جميع الشروط التي تشعل النيران مجددًا، وأن وقف إطلاق النار سيقود إلى هدوء مؤقت بدل السلام الحقيقي[160].
في تلك الفترة، كان موقف الحزب الشيوعي واضحًا للغاية في رفضه وقف إطلاق النار، وفي تمسّكه المطلق بالعمل لإقامة الدولة اليهودية بواسطة الحرب؛ فبينما شرعت منظمة الهاغاناه وقوّاتها الخاصة - البلماح (كتائب الانقضاض) في التمهيد لتنفيذ خطة "دالت" الكبرى لطرد الشعب العربي الفلسطيني من مدنه وقراه، ولا سيما من المنطقة الفلسطينية المخصّصة لإقامة الدولة اليهودية وفق قرار التقسيم، والتي شارك أعضاء وأنصار الحزب فيها من خلال انضمامهم أولًا إلى منظمة الهاغاناه، ومن ثم إلى الجيش الإسرائيلي، وفي الوقت الذي كانت ترتكب القوات العسكرية اليهودية المجازر بحقّ المدنيين الفلسطينيين، كتب مئير فلنر مقالًا مهمًا حمل عنوان "الحرب من أجل استقلالنا"، عبّر فيه عن توجّهات الحزب الشيوعي، في تلك الفترة، الداعية إلى الحرب ورفض وقف إطلاق النار ونظام الوصاية.
استهلّ فلنر مقاله بقوله: "إن حرب البطولة التي يخوضها شبابنا ستسجّل في التاريخ باعتبارها إحدى الصفحات الأكثر إشراقًا في الحرب من أجل الحرية للشعب اليهودي والإنسانية جمعاء"[161]. وأضاف فلنر أن جماهير الييشوف اليهودي صامدة ببطولة في الحرب، وهي مصمّمة على نيل الحرية والاستقلال القومي، و"تكره الطغاة البريطانيين الغرباء" و"عصابات المفتي التي

تساعدهم". وانتقد فلنر قيادة البيشوف اليهودي بشدة لأنها "قررت الخضوع لضغط مارشال وبيفن"، ولم تعلن قيام الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية[162].
ادّعى فلنر أن وجود البيشوف اليهودي في فلسطين في خطر، وأن الإمبريالية الأميركية "تمهّد إلى إبادة اليهود، تمامًا كما فعل هتلر"[163]. وأضاف فلنر أنه إذا ما نجحت السياسة الإمبريالية الأميركية في إثارة حرب عالمية جديدة، فإن الحملة التي تقوم بها الإمبريالية الأميركية ضدّ الاتحاد السوفياتي تنسجم مع الحملة الإمبريالية ضدّ اليهود من أجل إبادتهم. وادّعى أيضًا "أن خطة مارشال في ما يخصّ الشعب اليهودي لن تكون مختلفة عن خطة [هاينريش] هملر وخطة مايدانيك [Majdanek] وأوشفيتس وبابيار [Vaivara]، تمامًا كما أن عقيدة ترومان لا تختلف عن عقيدة كتاب كفاحي". وعلّل فلنر اتهاماته الخطيرة هذه -
وهي الاتهامات التي تقترب إلى الهلوسة وتبتعد عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض - بأن الولايات المتحدة تسعى إلى إبادة اليهود، لأنها تراجعت عن دعمها من أجل قيام دولة يهودية، واقترحت فرض الوصاية على فلسطين، فذكر فلنر "أن التراجع في موقف أميركا من القضية الفلسطينية ليس صدفة، وهو ليس مجرد تغيير في توقيت تحقيق إقامة الدولة اليهودية"؛ فهذا القرار "هو قرار تاريخي وينبع من رؤية الإمبريالية الأميركية الشاملة"، فالإمبريالية الأميركية التي تحضّر للحرب العالمية الثالثة ضدّ الاتحاد السوفياتي، لا تعدّ البيشوف اليهودي في فلسطين جزءًا من معسكر مناصريها في الشرق الأوسط؛ فالإمبريالية الأميركية، كما الإمبريالية البريطانية، وفق فلنر، "تعتقدان أنه حتى إنْ وُجد قادة يهود في البيشوف يخونون شعبهم ويناصرون الإمبريالية وينخرطون في قطار الهتلرية الأميركية والموسولونية الإنكليزية ضدّ السلم العالمي، فإن جماهير البيشوف اليهودي لن تسمح لهم بالقيام بهذه المهمة القذرة". واستخلص فلنر أن إمكانية خضوع البيشوف اليهودي إلى الوصاية تعني الانتحار[164].
وشدّد فلنر في مقاله على أن "الشعب اليهودي" ليس وحيدًا في حربه؛ فالمعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي يقف إلى جانبه، وما على البيشوف اليهودي إلّا الاستمرار في الحرب بلا هوادة، فاستمراره في الحرب يقود إلى حصوله على المساعدات من "جميع الشعوب المناضلة من أجل الحرية والسلام". وأما البديل من الاستمرار في الحرب، فهو "غيتو، وفقدان إمكانية الاستقلال، وخطر الإبادة". واتّهم فلنر قيادة الوكالة اليهودية بالتقصير في قيادة الحرب - وهو موقف متكرر في مقالات صادرة عن قيادات الحزب وبياناته، كما رأينا في توثيقها سابقًا - وبأنها تخشى الإمبريالية الأميركية والبريطانية وتتراجع أمامهما، وأنها تتردّد في إقامة الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية، لأنها ترغب "في الرقص على الحبلين". كما أنها تمنع التجنيد الكامل للبيشوف اليهودي، وتمنع كذلك حصول البيشوف في حربه الدائرة على

مساعدة القوى التقدّمية في العالم. وأضاف فلنر: "إننا نحذر قيادة الييشوف والأمم المتحدة: لن يكون وقفًا لإطلاق النار من دون استقلال الدولة اليهودية".
ومن أجل استمرار الييشوف اليهودي في الحرب، دعا فلنر إلى إقامة جبهة وطنية يشارك فيها الحزب الشيوعي مع جميع "القوى التقدّمية" و"القوى المعادية للإمبريالية"، بما في ذلك حزب مبام والهاغاناه، من أجل التصدّي لخطر خنوع قيادة الييشوف للإمبريالية[165].

خطة "دالت" ومجزرة دير ياسين

بذل قادة الييشوف اليهودي وقادة الهاغاناه جهدًا كبيرًا خلال العقد الذي سبق تأسيس إسرائيل في البحث في كيفية الوصول إلى أكبر قوة عسكرية ممكنة للييشوف، استعدادًا للحرب ضدّ الشعب العربي الفلسطيني وبقية العرب، وفرض إقامة الدولة اليهودية بقوة السلاح. ووضعت قيادتا الييشوف والهاغاناه خططًا استراتيجية شاملة في كيفية استخدام القوة العسكرية ضدّ الفلسطينيين. وفي بداية نيسان/أبريل 1948، أي قبل إعلان استقلال إسرائيل ودخول دول عربية في حرب معها، بدأت الهاغاناه في تنفيذ خطة "دالت"، وكان ذلك بعملية نحشون التي استهدفت احتلال منطقة فلسطينية واسعة تابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم، والتي تقع على طول امتداد الطريق من السهل الداخلي الفلسطيني إلى مدينة القدس. وشمل ذلك احتلال 73 بلدة وقرية فلسطينية في هذه المنطقة العربية، وطرد سكانها منها وتدميرها. وقد أيّد الحزب الشيوعي عملية نحشون، على الرغم من وقوعها في المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية، واعتبرها خطوة مهمة من أجل فتح الطريق إلى القدس[166].
في إثر وصول كميات كبيرة من الأسلحة المتطوّرة من تشيكوسلوفاكيا في بداية نيسان/أبريل 1948، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا، تمكّنت قوات الهاغاناه في عملية نحشون من تغيير سير المعارك والشروع في احتلال القرى الفسلطينية الواقعة في هذه المنطقة، وكان من ضمنها قرية القسطل ذات الأهمية الاستراتيجية التي استشهد فيها القائد الفلسطيني البارز عبد القادر الحسيني في 8 نيسان/أبريل 1948.
وفي فجر 9 نيسان/أبريل 1948، أي بعد سقوط القسطل بيوم واحد، شنّت منظمتا إتسِل وليحي هجومًا على قرية دير ياسين الواقعة بين القسطل والقدس، إلى الشمال الغربي من مدينة القدس، بعد أن أبلغتا قائد الهاغاناه في مدينة القدس، دافيد شالتئيل، وحصلتا على موافقته. شارك في ذلك الهجوم 120 عنصرًا، 80 منهم من إتسل و40 من ليحي، كانوا مزوّدين بالبنادق الرشاشة والمواد المتفجّرة. وقد واجهت القوة المهاجمة مقاومة شديدة في مداخل القرية، ولم تتمكّن من دخولها، وسقط من صفوفها أربعة قتلى و32 جريحًا. وإزاء هذا الوضع، توجّه قادة إتسِل وليحي إلى قائد الهاغاناه في

القدس، وطلبوا إليه مدّهم بالمقاتلين والذخيرة، فأرسل قائد الهاغاناه إليهم فورًا مجموعة من مقاتلي البلماح المزوّدين بالأسلحة الحديثة والذخيرة. وهاجم مقاتلو التنظيمات الثلاثة دير ياسين واحتلوها، وارتكبوا فيها أبشع المجازر؛ إذ قتلوا الرجال والنساء والشيوخ والأطفال بطرق مختلفة، فأوقفوهم صفوفًا وأطلقوا الرصاص عليهم، كما نسفوا البيوت على من فيها. وقد استمرت جرائم القتل والنسف إلى أن تحوّلت القرية إلى شبه أنقاض. بعد ذلك، جمع المهاجمون عددًا ممن بقوا من سكان القرية وساروا بهم في شوارع القدس اليهودية في ما يشبه موكب النصر، ليعودوا بهم ثانية إلى القرية ويعدموهم[167].

وفي الوقت الذي اعترفت فيه منظمتا إتسِل وليحي بارتكابهما المجزرة، واعتزّتا - كما ذكرتا في بيانيهما - بقتل 250 فلسطينيًا فيها، اعترفت الهاغاناه أن قواتها شاركت في احتلال القرية، ولكنها نفت أن تكون قد شاركت مع منظمتي إتسِل وليحي في ارتكاب المجزرة في القرية. وأصدرت الوكالة اليهودية بيانًا استنكرت فيه ما نفّذه في دير ياسين من أسمتهم في بيانها بـ "المنشقّين"[168].

لم يعلّق الحزب الشيوعي على المجزرة، لا في يوم حدوثها (الجمعة)، ولا في اليوم التالي. ولم تُشِر صحيفة كول هعام التي صدرت يوم الأحد، إلى المجزرة إطلاقًا، علمًا أن أخبار المجزرة كانت تتبوّأ أخبار الصحف العربية والعبرية في فلسطين وفي صحف العالم. وبعد مرور ثلاثة أيام على المجزرة، تناولتها كول هعام في افتتاحيتها. وعلى الرغم من اعتراف منظمتي إتسِل وليحي بارتكابهما المجزرة واعتزازهما بقتل 250 فلسطينيًا في دير ياسين، فإن افتتاحية كول هعام لم تعرّف هذه الجريمة بأنها مجزرة، كما أنها لم تدِنها؛ إذ ذكرت الصحيفة في افتتاحيتها: "إن هجوم إتسِل وليحي على القرية العربية دير ياسين كان أقرب إلى تعبير عن تظاهرة دعائية منها إلى عملية عسكرية المرتبطة بقضايا الأمن"[169]. وأضافت: "إن احتلال القرية العربية دير ياسين كان مرتبطًا بمداولات اجتماع اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، وبمحاولة الضغط عليها، ولم يكن مرتبطًا بضرورات الدفاع عن طريق القدس"، وأن إتسِل وليحي هاجمتا دير ياسين التي تحيطها قرى يهودية، وذلك على الرغم من أنها كانت قرية مسالمة ولم تسمح بدخول العصابات العربية إليها. واستطردت: "لقد احتُلت القرية وقُتل فلاحون كثيرون. إن الهجوم العدواني الذي نفّذتاه إتسِل وليحي في داخل القرية، والاعتداءات وقتل السكان واستعراض الأسرى في شوارع القدس، لا تساعد الأمن في المدينة، عاصمة بلادنا". كما أن الافتتاحية ذكرت: "لقد اعتبر الجمهور الواسع الهجوم على دير ياسين عملًا شائنًا يهدف إلى

الضغط على اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية من أجل المصادقة على الاتفاقية مع إتسِل، وليس للحفاظ على أمن القدس". وأضافت افتتاحية كول هعام أن راديو لندن "عمِل مما حدث في دير ياسين قضية، ليس فقط من ناحية الإثارة الصحفية، وإنما أيضًا لجهة الفائدة السياسية التي يجلبها مثل هذا العمل للحكومة البريطانية. وكذلك تعرف جيدًا الهيئة العربية ودوائر المفتي والرجعية الحسينية كيف تستغل الهجوم الشوفيني الذي قامت به إتسل وليحي لزيادة صفوف عصابات المشاغبين العرب". وعدّت كول هعام في افتتاحيتها أن "إدانة الوكالة اليهودية لعمليات الإجرام في دير ياسين"، وإطلاق الهاغاناه سراح الأسرى العرب، يعبّر عن معارضة أغلبية الييشوف اليهودي "لهجمات القتل ضد سكان عرب مسالمين، وعن إرادته القوية للدفاع عن أمنه بوسائل مجدية وبحكمة سياسية"[170]. نستدلّ من ذلك أن منطلق نقد صحيفة الحزب لِما جرى في دير ياسين هو أن ذلك لا يخدم أمن الييشوف ومصلحته.

وحرصت كول هعام على نشر تصريح لقائد الهاغاناه في القدس، في العدد نفسه، ادّعى فيه أن قوات الهاغاناه لم تشارك في الهجوم على دير ياسين، وأنه لم تكن قيمة عسكرية للهجوم على دير ياسين واحتلالها، وأن هجوم إتسِل وليحي عليها جاء لدوافع دعائية ضدّ قرية لم تشارك في الهجمات على القدس. وادّعى قائد الهاغاناه، وفق ما ذكرته كول هعام، أن إتسل وليحي توجّهتا إليه وطلبتا منه مساعدتهما من أجل إنقاذ الجرحى، وأن الهاغاناه قدّمت لهما المساعدة العسكرية. وأضاف أن ممثّل الصليب الأحمر زار في اليوم السابق دير ياسين، وتفاوض مع قوات إتسِل وليحي في القرية في شأن إخلاء القرية من الجرحى العرب، وأنه عُلم أنه يوجد في القرية 250 قتيلًا عربيًا[171].

إن مجزرة دير ياسين من أشهر المجازر التي ارتكبتها القوات العسكرية اليهودية بحقّ الفلسطينيين، وقد انتشرت أخبارها في معظم أرجاء العالم، وأثارت اهتمام الأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولي. وعلى الرغم من ذلك، فإن الحزب الشيوعي لم يعترف بها مجزرةً وتجاهلها، علمًا أن كثيرًا من التفاصيل الدقيقة لفظائعها كانت معروفة لقادة الأحزاب والتنظيمات العسكرية، ولكثيرين في الييشوف اليهودي في فلسطين. ولعلّ تجاهل الحزب للمجزرة وموقفه منها، وأسلوبه في الحديث عنها، في المرات القليلة التي تطرّق حينئذ إليها، كانت تؤشر إلى ذهنية قيادته في فترةٍ كان خلالها المئات من أعضائه وأنصاره منغمسين في القتال في صفوف البلماح والهاغاناه اللتين ارتكبتا مع الجيش الإسرائيلي، بعد تشكيله عند تأسيس إسرائيل، عشرات المجازر بحقّ الفلسطينيين. وقد كشفت صحيفة كول هعام، في 14 أيار/مايو

1948، أي بعد مرور أكثر من شهر على وقوع المجزرة، أنها لم تنشر الوصف الكامل لِما حدث في دير ياسين بسبب طلب "مؤسسات معيّنة" - وفق الصحيفة - في البيشوف من الحزب الشيوعي، مذرّعة ذلك بالقول: "كي لا نضيف إلى ما نشرته الصحف الصادرة في خارج البلاد، والتي لم تتمكّن من رؤية كل ما جرى في دير ياسين، في إثر إخفاء الأعمال الفظيعة"[172]. ومما يجدر ذكره أن الحزب الشيوعي الإسرائيلي لم يكن وحيدًا في تجاهله لمجزرة دير ياسين، في محاولاته الدؤوبة لرسم صورة وردية عن إسرائيل وحربها ضدّ الفلسطينيين، فقد تجاهلتها وسائل الإعلام في الاتحاد السوفياتي كلية، ولم تشر إليها لا من قريب ولا من بعيد، لا حين وقوعها، ولا في الأشهر التي تلته[173].

الحزب الشيوعي واحتلال المدن الفلسطينية وتطهيرها من العرب

في إثر نجاحها في عملية نحشون واحتلال منطقة واسعة خارج المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية وطرد العرب الفلسطينيين منها بعد ارتكاب المجازر بحقّهم، وخاصة بعد مجزرة دير ياسين وآثارها النفسية التي انتشرت أخبارها في أنحاء فلسطين، أعطت الهاغاناه الأولوية لاحتلال العديد من المدن المهمة في فلسطين وتطهيرها من سكانها العرب في سياق تنفيذ الهاغاناه لخطة "دالت"، تمهيدًا لإعلان الدولة اليهودية في فلسطين. وشملت خطة الهاغاناه مدن طبرية وحيفا ويافا وصفد وعكا وبيسان.

احتلال طبرية

كانت طبرية أول مدينة عربية استهدفتها قوات الهاغاناه لاحتلالها وطرد سكانها العرب، البالغ عددهم حينئذ نحو 5800 نسمة. ففي 12 نيسان/أبريل 1948، عزلت قوات الهاغاناه المدينة عن القرى العربية المحيطة بها، وارتكبت القوات اليهودية مجزرة في قرية ناصر الدين الواقعة إلى الغرب من طبرية، وهجّرت سكانها منها ودمّرت منازلها بهدف بثّ الرعب في سكان المنطقة العرب[174]. ثم شرعت قوات الهاغاناه التي تمركزت في الأحياء اليهودية الواقعة في الأماكن العلوية من المدينة في قصف الأحياء العربية، وأضافت إلى القصف دحرجة البراميل المتفجّرة باتجاهها. وفي 18 نيسان/أبريل 1948، احتلت قوات الهاغاناه المدينة العربية وهجّرت جميع سكانها العرب، بعد أن ارتكبت مجزرة بحقّهم، راح ضحيتها 80 عربيًا، من بينهم 18 امرأة[175].

تابعت صحيفة كول هعام باهتمام احتلال قوات الهاغاناه طبرية والمدن العربية الأخرى، وعدّته انتصارًا مهمًا يمهّد لإقامة الدولة اليهودية. فبعد سقوط طبرية بيوم واحد، ذكرت كول هعام، تحت عنوان "طبرية أُخليت بالكامل من سكانها العرب"، أن قوات الهاغاناه استكملت احتلال طبرية في عملية عسكرية كانت ذروتها احتلال فندق طبرية الذي كانت تستعمله العصابات العربية - كما

وصفتها الصحيفة - مقرًا لها. وأضافت الصحيفة أنه بعد احتلال الفندق، عند منتصف الليل، "سُمعت هتافات الفرح التي احتفت بالانتصار، ثم رُفع العلم الأزرق - الأبيض على الفندق". كما أشارت الصحيفة إلى أن عملية إخلاء المدينة من العرب استمرت أيامًا عدة، وإلى أن القوافل الأخيرة خرجت من المدينة في 18 نيسان/أبريل، ونقل السكان العرب في 30 حافلة إلى خارجها، بعد أن كان قد غادرها في اليوم السابق نحو 2000 عربي[176]. وفي 22 نيسان/أبريل 1948، ذكرت كول هعام أن قرية المجدل العربية الواقعة بالقرب من طبرية "أُخليت أمس بالكامل من سكانها العرب الذين جرى نقلهم منها في حافلات شركة إيغِد" اليهودية[177]. ولم تظهر كول هعام أي احتجاجٍ على طرد العرب من طبرية ومنطقتها.

احتلال حيفا

ابتدأت قوات الهاغاناه في كانون الأول/ديسمبر 1947 قصف الأحياء العربية في مدينة حيفا على شاطئ البحر. وكانت قوات الهاغاناه ترابط في الأحياء اليهودية الواقعة على سفوح جبل الكرمل، في الأماكن المرتفعة من المدينة. تواصل قصف الأحياء العربية في حيفا طيلة الأشهر الأولى من سنة 1948، واشتدّ مطلع نيسان/أبريل، وكان مصحوبًا بدحرجة البراميل المملوءة بالمتفجّرات على الأحياء العربية.

في 18 نيسان/أبريل 1948، أي في اليوم الذي سقطت فيه طبرية، أعلن قائد القوات البريطانية في الجليل أن قواته ستنسحب من مواقعها في منطقة خطّ التماس الفاصل بين الأحياء العربية واليهودية في حيفا. وكانت القوات البريطانية تشكّل حينئذ العقبة الأساسية أمام قوات الهاغاناه في شنّ هجوم على المدينة العربية واحتلالها. وفور سماعها هذا الخبر، نفّذت قيادة الهاغاناه خطتها لاحتلال المدينة العربية وطرد سكانها، وأطلقت على عملية طرد العرب من حيفا وتطهيرها من العرب عملية بيعور حَميتس، أي إزالة الخبز المختمر[178].

أوكَلَت قيادة الهاغاناه إلى لواء كرميلي الذي كان أحد ألوية الصفوة في قوات الهاغاناه، وبلغ تعداده 2000 جندي، إلى جانب قوات من البلماح، تنفيذ عملية بيعور حَميتس عشية عيد الفصح عند اليهود. وقد أمدّته قيادة الهاغاناه في تل أبيب، في 11 نيسان/أبريل، بشحنة أسلحة متطوّرة شملت بنادق تشيكية حديثة كانت قد وصلت قبل فترة وجيزة إلى تل أبيب من تشيكوسلوفاكيا[179].

وفي يوم وصول إمدادات الشحنة من السلاح، بدأت قوات لواء كرميلي والبلماح في الهجوم على الأحياء العربية لتنفيذ احتلالها وتطهيرها من العرب، وقصفت الأحياء العربية قصفًا مركّزًا استهدف أساسًا تجمّعات العرب المدنيين، ثم شنّت هجومًا شاملًا على المدينة العربية واحتلتها بشكل كامل في

22 نيسان/أبريل، وشرعت في عملية تطهير المدينة من العرب. لم يبقَ في مدينة حيفا من سكانها العرب الذين بلغ عددهم 75 ألف نسمة قبل الحرب، إلّا نحو 3500 نسمة، احتمى جزء منهم بالقوات البريطانية التي كانت لا تزال في منطقة الميناء.

في أعقاب احتلال المدن والبلدات والقرى العربية، درج الييشوف اليهودي في فلسطين تنفيذ عمليات سطو ونهب وسرقة ممتلكات العرب منها. وشارك في تلك العمليات للاستيلاء على الممتلكات العربية المنقولة وغير المنقولة أفراد المجتمع اليهودي، بمختلف أجيالهم وتوجّهاتهم السياسية، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، إلى جانب أفراد القوات اليهودية المسلّحة. وقد أشارت العديد من الأدبيات الإسرائيلية إلى هذه الظاهرة التي رافقت وأعقبت احتلال أي مدينة أو بلدة أو قرية عربية[180].

في حينه، نشرت الصحف الإسرائيلية عن ظاهرة النهب تلك، وقد استنكر العديد منها استيلاء أفراد يهود عليها، ورأت أن تستولي المؤسسات الصهيونية ومؤسسات الدولة اليهودية على هذه الممتلكات. ومن الملاحظ أن جميع الأحزاب والأصوات اليهودية التي استنكرت هذه الظاهرة، أيّدت بقوة احتلال القوات اليهودية للمدن والبلدات والقرى والمناطق العربية، بما في ذلك الحزب الشيوعي، سواء كانت تابعة للدولة اليهودية، أو للدولة العربية وفق قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة. وتجاهلت تلك الجهات المجازر التي ارتكبتها القوات اليهودية بحقّ الفلسطينيين، وعمليات الطرد المنظّم التي نفّذتها التنظيمات اليهودية المسلّحة، ومن بعدها الجيش الإسرائيلي، وأنكرت تنفيذ القوات المسلّحة اليهودية عمليات طرد العرب الفلسطينيين من مدنهم وقراهم، وادّعت أنهم غادروا ديارهم إما بمحض إرادتهم، أو استجابةً لدعوات بريطانيا والدول العربية والقيادة الفلسطينية إليهم من أجل تلطيخ سمعة الدولة اليهودية.

أولى الحزب الشيوعي أهمية كبرى لاحتلال قوات الهاغاناه مدينة حيفا وطرد سكانها العرب منها؛ ففي اليوم التالي لاحتلال قوات الهاغاناه المدينة، ذكرت صحيفة كول هعام في عنوانها الرئيس، "قوات الهاغاناه سيطرت على حيفا"، أن قوات الهاغاناه استكملت سيطرتها على حيفا، وأن "العرب قرروا مغادرة حيفا"، و"15 ألف عربي غادروا المدينة أمس"[181]. وأشارت كول هعام في افتتاحيتها، في اليوم نفسه، أن عملية احتلال الهاغاناه لحيفا أثارت الغبطة في الييشوف اليهودي، ولاحظت أن هذه العملية أظهرت أمرين، بدا أن كول هعام تتحفّظ منهما: أولهما أن الجيش البريطاني لا يزال يحدّد لقوات الهاغاناه الأماكن التي يمكنها أن تكون فيها في حيفا؛ وثانيهما ما وصفته الصحيفة باختفاء الحدود بين هزيمة "العصابات العربية" و"الهروب المذعور لآلاف

السكان العرب". ورأت أنه لم يكن ضروريًا أن يؤدي حكم قوات أمن الييشوف لمدينة حيفا إلى "مغادرة وهروب جماهيري للعرب من المدينة". واستطردت الصحيفة وقالت إنه على النقيض من ذلك، فمن أجل تعزيز الحكم والأمن العسكري والسياسي في الأيام القريبة والبعيدة، كان ينبغي أن يجعل الييشوف من استسلام العرب في حيفا خطوة تقود إلى عملية سلام مع العرب في حيفا ممن ينشدون السلام. وادّعت افتتاحية كول هعام أن "ترك عرب حيفا المنظّم" للمدينة جاء بناء على دعوة بريطانيا وعملائها في الشرق الأوسط، من أجل تعقيد الوضع وزيادة معسكر العناصر التي تكنّ للييشوف اليهودي العداء[182].

بعد يومين، عادت كول هعام وعالجت في افتتاحيتها مرة أخرى احتلال الهاغاناه لمدينة حيفا، وأكّدت أن احتلال حيفا، وهي المدينة الثانية في البلاد من حيث عدد السكان، هو حدث مهم وذو قيمة سياسية، ورأت أن الإخلاء الجماعي للمدينة من السكان العرب وعدم خروج الجيش البريطاني منها، يلقيان بظلالهما على عملية احتلال المدينة وعلى طابعها السياسي. وأضافت أن علاقات ودّية بين الهاغاناه والجيش البريطانيقد بدأت تتطوّر، بعد أربعة أشهر من الأحداث الدامية في حيفا التي "نظّمتها الحكومة البريطانية، ورعاها الجيش البريطاني". واتّهمت كول هعام الجيش البريطاني باتّباع سياسة مزدوجة، وادّعت أنه يدعم العرب في مناطق معيّنة من فلسطين، وفي الوقت نفسه، يقيم علاقات ودّية في حيفا مع الهاغاناه[183].

كما ادّعت الصحيفة في افتتاحيتها تلك أن "مغادرة عشرات آلاف السكان العرب مدينة حيفا يهدف إلى تشكيل مادة دعائية لتحريض العرب في فلسطين وفي الدول العربية المجاورة ضد اليهود". واستطردت بأن "سياسة الهاغاناه تجاه السكان العرب في حيفا ساعدت في هذا الهرب، ولم تحاول كسب أجزاء مسالمة من السكان العرب للعيش بسلام وجيرة مع اليهود". وأضافت أنه ينبغي أن تثبت الهاغاناه "أن بإمكان العرب الذين ينشدون السلام العيش تحت حكم يهودي وفي دولة يهودية". ورأت أنه "من غير المقبول الاكتفاء بإعلانات رسمية وبتهديدات وإنذارات، من دون القيام بمحاولة عملية وجدّية لكسب الأجزاء الديمقراطية والمسالمة من بين السكان العرب". وأكّدت أن استيلاء قوات أمن الييشوف على حيفا، وعلى مناطق أخرى من التي ستكون ضمن الدولة اليهودية، يجب أن يتّخذ شكل تطهيرها من عصابات المشاغبين العرب، وأن يضمن، في الوقت نفسه، جميع الحقوق للعرب المسالمين الذين ينشدون السلام[184].

وفي 25 نيسان/أبريل 1948، أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بيانًا حمل عنوان "إلى المدافعين! إلى الشبيبة! إلى جماهير الييشوف!"، أكدت فيه

أن "انتصارنا في حيفا هو إنجاز مهم لليشوف في الحرب من أجل استقلالنا القومي"[185]. وأشارت إلى أن هذا الانتصار، وكذلك فتح الطريق إلى القدس، يثبتان أنه بالإمكان إقامة الدولة اليهودية المستقلة، على الرغم من "التخريب البريطاني وتدخّل الدول العربية في فلسطين ومن التخريب الأميركي".
وعبّرت اللجنة المركزية عن قناعتها بأن "المغادرة الجماعية لعشرات آلاف السكان العرب من حيفا هدفت إلى منح عملاء بريطانيا في المنطقة مادة تحريضية من أجل إثارة العرب في أرض إسرائيل وفي الدول العربية ضد اليهود". وأكدت أن "معارضي الدولة اليهودية في الأمم المتحدة سيستعملون مغادرة العرب أماكن سكناهم مادةً تحريضيةً، وسيدّعون أننا لا نستطيع ضمان الحقوق الأساسية للأقلية العربية في دولتنا". ودعت اللجنة المركزية قيادة اليشوف اليهودي إلى "إظهار النضج السياسي، وإلى ضمان الدفاع عن السكان العرب الذين سيبقون في حيفا"، وأكدت أن "الحرب لاستقلالنا ستستمر حتى إخراج آخر جندي بريطاني من البلاد وتطهيرها من العصابات العربية"، متجاهلةً أن قوات الهاغاناه التي انخرط أعضاء الحزب الشيوعي فيها كانت تحارب الوجود الفلسطيني في فلسطين، ولم تطلق أي رصاصة ضدّ الجنود البريطانيين. واختتمت اللجنة المركزية بيانها بشعارات عدة، كان أبرزها: "المجد لمقاتلينا في حيفا"، و"عاشت الحرب من أجل الدولة اليهودية المستقلة والديمقراطية"[186].
وفي 6 أيار/مايو 1948، عادت كول هعام وعالجت في افتتاحيتها احتلال حيفا، فذكرت أن "الانتصارات التي حقّقتها قوات الدفاع اليهودية" في مناطق مختلفة من البلاد، وأساسًا في حيفا وطبرية، طرحت أمام اليشوف قضية السياسة التي يجب أن يتّبعها اليشوف تجاه السكان العرب. واتّهمت الصحيفة البريطانيين بأنهم هم الذين بادروا إلى إخلاء تل أبيب وحيفا وطبرية من الجماهير العربية، وأضافت أن استمرار إخلاء المناطق لا يمكن أن يتم دون ذنب لمؤسسات أمن اليشوف. وشرحت ذلك الذنب بقولها إن مجرد حقيقة أن البريطانيين نجحوا في تشريد العرب من المناطق التي احتلتها الهاغاناه، وفي الوقت نفسه "لم تنجح الهاغاناه في إعادتهم، فإن ذلك يقول الكثير". وركّزت الافتتاحية على ضرورة وقف أعمال السطو والسرقة لممتلكات العرب، وعلى ضرورة معاملة العرب الذين بقوا في حيفا بشكل جيد، ولكنها لم تطالب سلطات أمن اليشوف بالسماح للعرب الذين هُجّروا بالعودة إلى منازلهم[187].
في الأسبوع الثالث بعد احتلال مدينة حيفا، أرسلت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي مذكرة إلى قيادة الهاغاناه وإلى سكرتارية إدارة الشعب[188]، عالجت فيها الوضع في حيفا. واستهلّت المذكرة بقولها: "لقد شاركنا مع اليشوف بأكلمه في هذا النصر الذي حقّقته قوات أمن اليشوف

في حيفا"، وحذّرت المذكرة من أن ما جرى في حيفا "منذ تحريرها من العصابات قبل ثلاثة أسابيع" قد يقلب "انتصارنا العسكري إلى سقوط أخلاقي وسياسي"[189]. وجاء في المذكرة أنه بعد أن نجح من أطلقت عليهم المذكرة رجال العصابات العربية "في إدخال الفزع بين صفوف السكان العرب المسالمين، وبعد الهروب الجماعي لعرب حيفا من المدينة"، بدأت حملة سلب ونهب ممتلكات العرب بشكل فظيع تحت أعين سلطات الهاغاناه، وجرى تفريغ الأغلبية الساحقة للبيوت العربية من كل شيء فيها، بالإضافة إلى سرقة محتويات الدكاكين والمصانع والورش.

وأشارت المذكرة إلى أنه بقي في حيفا وبلد الشيخ أربعة آلاف عربي فقط، في حين كان تعداد سكانهما يصل إلى تسعين ألف عربي قبل الحرب. ونبّهت إلى أن قادة الوكالة اليهودية وقادة معظم الأحزاب في الييشوف اليهودي، بما في ذلك الحزب الشيوعي، كانوا قد ذكروا مرارًا أن قلة ضئيلة فقط من العرب انضمت إلى من أسمتها العصابات العربية وتعاونت معها، وأن الأغلبية العظمى من العرب في فلسطين تريد الحياة بسلام "والتخلّص من العصابات المأجورة". وأكّدت المذكرة أن هذا ينطبق تمامًا على سكان حيفا العرب، وخاصة ممن بقوا في المدينة. واستخلصت المذكرة أنه لذلك السبب ينبغي عدم معاملة العرب الذين بقوا في المدينة بوصفهم أعداء يعيشون في منطقة محتلة، وإنما باعتبارهم سكانًا متساوين في الحقوق في الدولة اليهودية.

وادّعت المذكرة أن "المغادرة الجماهيرية لعرب حيفا للمدينة نُظّمت عن قصد بأيدي أعدائنا لإلحاق الأذى بمكانة اليیشوف اليهودي، لإعطاء ذرائع للذين يكرهوننا في البلاد، وفي الشرق الأدنى، والحلبة الدولية".

وأشارت المذكرة إلى أن "السلوك الفاسد لعناصر غير مسؤولة" تجاه عرب حيفا وممتلكاتهم، وعدم اتخاذ سلطات اليیشوف أي خطوة ضدّ اللصوص اليهود، سيدفع فئات إضافية من العرب إلى أحضان "العصابات" العربية، وسيعزّز الحكم البريطاني الذي سيستعمل ذلك في الرأي العالمي ضدّ اليیشوف. ورأت المذكرة أن إحدى "النتائج المحزنة" لهذا الوضع كانت أن السكان العرب باتوا يشعرون بالأمن في الجزء من مدينة حيفا الذي يسيطر عليه الجيش البريطاني، أكثر من مناطق المدينة التي تحت الحكم العسكري للهاغاناه. وقدّمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في ختام المذكرة مجموعة من المطالب لإدارة الشعب وقيادة الهاغاناه من أجل تحسين أوضاع الأربعة آلاف عربي الذين بقوا في مدينة حيفا تحت حكم الهاغاناه، بيد أنها لم تطالب بإعادة سكان حيفا العرب الذين هُجّروا منها إلى مدينتهم[190]، كما هي الحال في افتتاحية صحيفة الحزب، كول هعام، كما ذكرنا سابقًا.

احتلال صفد والجليل الشرقي

صفد، مدينة في الجليل الشرقي، كان يقطنها نحو 12 ألف عربي و1500 من اليهود، كانت أغلبيتهم من المتديّنين الحريديم. وفي سياق تنفيذها لخطة "دالت"، قررت الهاغاناه بعد احتلال طبرية في 18 نيسان/أبريل، واحتلال حيفا في 22 الشهر نفسه، تنفيذ عملية عسكرية أطلقت عليها عملية يفتاح لاحتلال المنطقة الممتدة من مستوطنة المطلّة في الشمال، إلى شاطئ بحيرة طبرية في الجنوب، وطرد سكانها العرب منها وتدمير جميع القرى العربية فيها، وشملت هذه المنطقة مدينة صفد وعشرات القرى العربية. قاد عملية يفتاح قائد البلماح حينئذ، يغآل ألون، واحتلت قوات البلماح، ضمن عملية مطاطي (المكنسة)، جميع القرى والتجمّعات العربية في المنطقة الممتدة من شاطئ بحيرة طبرية إلى روش بينا (الجاعونة)، وطردت سكانها العرب منها ودمرت بيوتها وأشعلت النيران فيها[191].

اهتم الحزب الشيوعي بالعمليات العسكرية التي نفّذتها قوات البلماح والهاغاناه في الجليل الشرقي، واعتبرها انتصارًا مهمًا. فبعد عملية "المكنسة" المُشار إليها، كتبت كول هعام في 6 أيار/مايو 1948، تحت عنوان "تطهير الجليل على أيدي الهاغاناه": "اتصل الجليل الأعلى والجليل الأسفل ببعضهما البعض وأصبحا منطقة يهودية متواصلة بفضل عملية التطهير الكبيرة التي قامت بها قوات الهاغاناه، منذ ساعات الصباح، ضدّ العصابات العربية، في منطقة واسعة تمتد من جنوبي أييلت هشاحر وحتى شاطئ بحيرة طبرية، ومن شارع طبرية - روش بينا شرقًا وحتى نهر الأردن". وذكرت كول هعام أن قوات الهاغاناه احتلت في هذه العملية أيضًا ثماني قرى عربية مهمة، وكذلك مضارب عشائر بدوية كان لها دور فعّال "في أعمال الشغب التي قام بها العرب في هذه المنطقة"، وأضرمت قوات الهاغاناه النار فيها و"طردت رجال العصابات السورية والمحلية الذين لاذوا بالفرار إلى شرق الأردن، هم وعرب هذه المنطقة كلها، أمام قوات الهاغاناه"[192].

أوضحت كول هعام أن احتلال الهاغاناه لهذه المنطقة من الجليل الأسفل و"تطهيرها من العرب"، ذو أهمية حاسمة في شأن أي معركة قادمة في الجليل الأعلى؛ "لأنه يضمن طرق وصولنا من داخل البلاد إلى أقصى الشمال الشرقي". وذكرت كول هعام أن قوات البلماح استعدّت سلفًا، فتقدّمت قوة واحدة منها نحو قرى عرب الزنغرية وعرب سلطانة التي تقطن في مفارق طرق مهمة في جنوب شرق روش بينا، واحتلتها بعد مقاومة خفيفة و"فرّ العرب منها". وأضافت كول هعام أن قوة أخرى تابعة للهاغاناه احتلت قرية الطابغة "بعد مقاومة عنيفة من العدو"، والتي تقع على الشاطئ الشمالي الغربي لبحيرة طبرية، و"تتميّز ببيوتها القوية المبنيّة من الحجر"، بيد أن "هذه

البيوت تحوّلت بعد هجوم قوات الهاغاناه عليها إلى تلال من الخراب البائس"، كما جاء في وصف كول هعام. وأضافت أن قوات الهاغاناه احتلت جميع القرى العربية الواقعة على شاطئ بحيرة طبرية، حتى مصب نهر الأردن، وهدمت بيوتها وأخذت غنائم كثيرة[193].

وتمهيدًا لاحتلال مدينة صفد، حيث المئات من المقاتلين الفلسطينيين وقوات من جيش الإنقاذ، احتلت قوات البلماح بقيادة موشيه كالمان، في 1 أيار/مايو 1948، قرية عين الزيتون التي تبعد عن صفد نحو كيلومترين، ويقطنها نحو 900 فلسطيني، وقرية بيريا المحاذية لها، والتي كان يقطنها نحو 300 فلسطيني. وارتكبت قوات البلماح مجزرة فظيعة في عين الزيتون، لترويع الفلسطينيين في المنطقة وبثّ الرعب في قلوبهم، لحملهم على الهجرة. فبعد أن قصفت قوات البلماح القريتين بالمدفعية، احتلتهما ودمّرت بيوتهما وأشعلت النار فيها. وجمعت قوات البلماح عددًا كبيرًا من الرجال في عين الزيتون، وربطت أيديهم وأرجلهم وألقت بهم في الوادي بالقرب من القرية. وبقوا على حالتهم هذه أكثر من يومين، إلى أن قتلهم جميعًا اثنان من عناصر البلماح بأمر من قائد البلماح، كالمان، وهم مربوطي الأيدي والأرجل[194]. وفي 6 أيار/مايو من ذلك العام، بدأت قوات البلماح هجومها على صفد، وتمكّنت من احتلالها في 10 أيار/مايو، وطردت جميع سكانها العرب منها.

تجاهل الحزب الشيوعي المجزرة التي ارتكبتها قوات البلماح في عين الزيتون، وتجاهل كذلك تدمير البيوت وحرقها، كما في بيريا المجاورة لها، وتجاهل أيضًا قتل قوات الهاغاناه للمدنيين خلال وبعد احتلال صفد وطرد سكانها العرب منها. واكتفت كول هعام بالقول إن الهاغاناه أعلنت أن "قواتنا احتلت أمس قلعة صفد بعد معارك شديدة مع العدو الذي كان محصّنًا فيها. واحتلت أيضًا محطة الشرطة في المدينة، وقرية عكبرة الواقعة جنوب صفد. سقط في المعركة ثمانية رجال من قوات الهاغاناه، وكانت خسائر العصابات كثيرة في الرجال والسلاح"[195].

وصلت أخبار المجزرة التي ارتكبتها قوات البلماح في عين الزيتون، سواء قتل عشرات المدنيين في القرية، أو قتل أكثر من سبعين "أسيرًا" عربيًا وهم مربوطي الأيدي والأرجل، إلى جهات عدة في الييشوف. فبعد مرور أيام على المجزرة، نشرت صحيفة عال همشمار، لسان حال حزب مبام، أنه "قُتل في عين الزيتون وبيريا 50 من رجال العصابات". وفي 20 حزيران/يونيو ذكرت مجلة بمحنيه التي تصدرها منظمة الهاغاناه أن أكثر من مئة من سكان عين الزيتون قُتلوا عند احتلال القرية[196].

ومن المرجّح أن قيادة الحزب الشيوعي قد عرفت بالمجزرة عند وقوعها، سواء من التسريبات عنها في وسائل الإعلام، أو عن طريق أعضاء الحزب الشيوعي في صفوف البلماح والهاغاناه. وقد جاء على لسان هانس ليبرخت، عضو الحزب الشيوعي الإسرائيلي حينئذ، والذي كان يخدم في تلك الفترة في صفوف الهاغاناه ومن ثم في الجيش الإسرائيلي: "في أواخر أيار/مايو 1948، أمرتني قيادة الوحدة العسكرية في جيش الدفاع الإسرائيلي التي كنت أخدم فيها ببناء محطة ضخّ مؤقتة، وتحويل مجرى جدول 'القرية المهجورة' عين الزيتون، من أجل تزويد الكتيبة بالمياه. وكانت القرية مدمّرة كليًا، وكانت لا تزال هناك جثث كثيرة. ووجدنا، بشكل خاص، كثيرًا من جثث النساء والأطفال الرضّع بالقرب من الجامع. وقبل أن أبدأ بتنفيذ المهمة، أقنعتُ قيادة الوحدة العسكرية بإصدار أمر بإحراق الجثث المنتفخة التي كانت الكلاب قد أكلت أجزاء من بعضها، ودفن رمادها"[197]. وأضاف ليبرخت أنه على الرغم من احتلال القرية قبل وصوله بنحو أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، فإن سكان صفد اليهود استمروا في المجيء إلى قرية عين الزيتون من أجل السلب والنهب. وقد أخبره العديد منهم أن قوات البلماح التي احتلت قرية عين الزيتون جمعت نحو 180 من سكانها في الطابق العلوي من مسجد القرية، وكان بينهم شيوخ ونساء وأطفال. ثم عبّأت قوات البلماح الطابق السفلي من المسجد بالقش، حتى امتلأ، وأشعلت به النار، وأطلقت الرصاص على كل من قفز من الشبابيك وقتلته من دون رحمة[198].

احتلال يافا وقضائها

كانت مدينة يافا من أكبر المدن العربية الفلسطينية وأغناها، وزاد عدد سكانها العرب عشية حرب 1948 على سبعين ألفًا. شمل قضاؤها 23 بلدة وقرية عربية، وبلغ عدد سكانه العرب في سنة 1945 نحو 110 آلاف نسمة[199]. كانت مدينة يافا ضمن الدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة. ضمّت المدينة مجموعة من الأحياء العربية، كان من بينها: حي العجمي، والجبلية (غفعات علياه اليوم)، وأبو كبير، والبصة (بلومفيلد اليوم)، وتل الريش (تل غيبوريم اليوم)، والمنشية (يقع فيه اليوم سوق الكرمل والـ "دولفيناريوم")، وكانت في محاذاة يافا بلدات وقرى عربية منها: سلمة (كفار شليم اليوم)، ويازور (أزور اليوم)، وخيرية (رمات إفعال اليوم - أقاموا بمحاذاتها مكبّ نفايات كبير للمنطقة، وحمل الاسم نفسه)، وساقية (أور يهودا اليوم)، وكفر عانة (نفيه منسون اليوم)، والعباسية (يهود اليوم)، وبيت دجن (بيت دغان اليوم)، والسافرية (تسيبوريه اليوم).

شنّت القوات العسكرية الصهيونية 60 هجمة عسكرية على مدينة يافا في الفترة الممتدة من 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947 حتى 25 نيسان/أبريل 1948، من بينها نفّذت الهاغاناه 49 هجمة، وأربع هجمات نفّذتها قوات ليحي، وثلاث هِجمات نفّذتها إتسل، وهجمة واحدة مشتركة نفّذتها الهاغاناه وإتسل[200].

أولت قيادة الهاغاناه أهمية كبيرة لمدينة يافا وقضائها، ولاحتلالهما وضمّهما للدولة اليهودية وطرد سكانهما، وذلك لوقوعهما في قلب المنطقة التي جرى تهويدها خلال فترة الانتداب البريطاني. ففي نهاية شباط/فبراير 1948، قدّم يغآل يدين، رئيس شعبة العمليات في الهاغاناه، إلى دافيد بن غوريون مشروع خطة "دالت" الذي أقرّته قيادة الهاغاناه، في 10 آذار/مارس 1948، أشار فيه إلى المدينة تحت عنوان "حصار مدن العدو". وتقرر، وفق هذه الخطة، فرض حصار كامل من البرّ والبحر على المدينة من خلال عزل واحتلال بعض أحيائها، واحتلال جميع البلدات والقرى العربية المجاورة لها، وإغلاق جميع الطرق والمنافذ المؤدية إليها، من أجل فرض الاستسلام عليها. وشمل ذلك احتلال أحياء المنشية وأبو كبير وتل الريش والجبلية، وبلدات سلمة ويازور والقرى الأخرى القريبة من يافا[201]. ولكن قيادة الهاغاناه عدّلت في الخطة "دالت" المتعلّقة بمدينة يافا في 28 نيسان/أبريل 1948، لأنها ما عادت تكتفي بحصارها فقط، إذ قررت، وفق هذا التعديل، تنفيذ عمليات عسكرية تهدف إلى "تخفيف مقاومة التحصينات الداخلية في مدينة يافا واختراقها، وكذلك تنفيذ عمليات لتطهير خط التحصينات الخارجي على طول طرق الدخول الرئيسة ليافا، بهدف إرغام المدينة على الاستسلام، أو لتحضير الأرضية لاحتلالها احتلالًا كاملًا"[202].

وفي 25 نيسان/أبريل 1948، هاجمت قوات تابعة لمنظمة إتسِل، بلغ عددها 840 عنصرًا، حي المنشية بمحاذاة شاطئ البحر شمال يافا، والذي كانت تحيط به تل أبيب من الشرق والشمال[203]. فشل ذلك الهجوم بسبب المقاومة العربية العنيفة، ولكن قوات إتسل عادت وهاجمت الحي بعد ثلاثة أيام، بدعم من قوات الهاغاناه هذه المرة، واحتلته وطردت جميع سكانه العرب. كما هاجمت الهاغاناه أحياء أخرى من يافا، وكذلك البلدات والقرى القريبة منها، واحتلتها وطردت سكانها منها وأحكمت الحصار على المدينة. وفي الوقت نفسه، شددت الهاغاناه، وكذلك إتسل، القصف المدفعي المكثّف على مختلف أحياء مدينة يافا التي كان لا يزال فيها، حتى تاريخ 25 نيسان/أبريل 1948، نحو 50 ألفًا. وقد أدى القصف الذي استهدف المدنيين، لإرهابهم وبثّ الرعب في قلوبهم، إلى سقوط كثير منهم بين قتلى وجرحى. وعندما اقترب موعد إخلاء يافا من القوات البريطانية، واتضح أنها لن تمنع القوات العسكرية الصهيونية من احتلال المدينة، شكّل السكان لجنة للتفاوض مع الهاغاناه على شروط استسلام المدينة. وقد استسلمت المدينة في 13 أيار/مايو 1948 لقوات الهاغاناه التي استكملت طرد سكانها وسكان جميع القرى والبلدات في قضائها، ولم يبقَ فيها إلّا نحو ثلاثة آلاف نسمة، من أصل 110 آلاف نسمة قبل حرب 1948.

كانت يافا، كما ذكرنا سابقًا، تابعة للدولة العربية وفق قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة. وعلى رغم من ذلك، لم يجد الحزب الشيوعي صعوبة في

تبرير احتلال قوات الهاغاناه لأكبر مدينة عربية تابعة للدولة العربية وضمّها للدولة اليهودية. وفي 29 نيسان/أبريل 1948، ذكرت صحيفة كول هعام أن قوات الهاغاناه شاركت في هجوم إتسل على مدينة يافا، وأضافت الصحيفة أن إتسل أعلنت أن قواتها تعمل بتنسيق كامل مع قوات الهاغاناه، وأن قوات إتسل أكملت احتلال حي المنشية[204]. وكتبت كول هعام في افتتاحيتها في العدد نفسه، تحت عنوان "الهجوم على يافا"، أن هجوم الهاغاناه على يافا جاء تحت ضغط اليمين في الييشوف، ونتيجة للاتفاق الذي أُبرم مؤخرًا بين الهاغاناه وإتسل. وأضافت: "لا نريد هنا بحث الجانب العسكري للقضية، فالحرب ضدّ العصابات التابعة للحكم البريطاني، وللجامعة العربية والمفتي، يجب أن تُدار بحزم"[205]. واستطردت قائلة إنه من السخف السياسي مماهاة الشعب العربي مع "العصابات" العربية، خاصة في ضوء أن أغلبية "العصابات" جُنّدت على أيدي البريطانيين في خارج البلاد، وفق ما ذكرته كول هعام. واستخلصت الصحيفة أنه "من واجبنا، والحال كهذه، اتّباع السياسة التي تسهّل على الجماهير العربية التحرر من ضغط إرهاب العصابات، وتساعد في تعزيز قوى عربية ديمقراطية محبّة للسلام ولاتفاق يهودي - عربي".

ورأت افتتاحية كول هعام أنه ينبغي تعزيز الانتصارات العسكرية التي حقّقتها القوات العسكرية الصهيونية في يافا بانتصارات سياسية. ورأت أن تحقيق هذا الأمر يعتمد على الييشوف بشكل كبير، إذ إنه "من الممكن احتلال يافا من أجل تطهيرها من العصابات التي تهاجم تل أبيب، ولكن بإمكان احتلال يافا من أجل السيطرة السياسية عليها، مثلما تفعل إتسل التي تساعد الإمبرياليتين الأميركية والبريطانية في حربهما ضدّ قرارات الأمم المتحدة في شأن إقامة دولتين مستقلتين في أرض إسرائيل، يهودية وعربية". ووضّحت الصحيفة أن "حربنا في الحالة الأولى تكون حرب تحرّرية وعادلة، وفي الحالة الثانية تكون حربًا للسيطرة على شعب آخر، والتي تكون نتائجها بالضرورة فقدان استقلالنا". كما أكدت أنه "علينا المجيء إلى المناطق التي تحصّنت فيها العصابات، باعتبارنا جيشًا محرّرًا، وعلينا اتّباع سياسية تحررية تجاه السكان العرب". واستطردت بالقول إن قصيري النظر فقط هم من "يفرحون من مغادرة عرب حيفا، أو من إخلاء يافا من السكان العرب المسالمين؛ فالمصلحة القومية تستوجب أن تبقى الجماهير العربية في أماكن سكنهم".

ونبّهت افتتاحية كول هعام إلى أن الوكالة اليهودية أدركت ضرورة التوصّل إلى اتفاق مع العرب، بيد أنها "لم تتوجّه إلى الممثّلين الديمقراطيين العرب الذين يعارضون الهيئة العربية العليا وحربها الإجرامية ضدّ الييشوف، إذ توجّهت الوكالة اليهودية إلى عميل بريطانيا، الملك عبد الله"[206].

أيّد الحزب الشيوعي احتلال القوات العسكرية الصهيونية لمدينة يافا، وعدّه جزءًا من حرب تحرّرية عادلة، وعارض طرد السكان العرب من حيفا ويافا نظريًا، وبرّره عمليًا. كما اعتبر مقاومي الاحتلال عصابات، وافترض وجود عرب لا يعارضون الدولة اليهودية، وسمّاهم عربًا ديمقراطيين. كما أن الحزب تبنّى موقف قيادة الييشوف اليهودي بأن القوات العسكرية اليهودية لم تطرد العرب من مدينة يافا ولا من قضائها، ليس هذا فحسب، بل أيضًا عدّ الحزب الشيوعي اضطرار نحو ثلاثة آلاف عربي بقوا في يافا إلى الاستسلام، في 13 أيار/مايو 1948، من خلال اللجنة التي شكّلوها للاتصال مع قوات الهاغاناه والحديث معها عن شروط الاستسلام، بأنها "مفاوضات" بين الجانبين؛ إذ ذكرت صحيفة كول هعام في التاريخ نفسه أنه جرت مفاوضات بين لجنة الطوارئ لمدينة يافا، والتي أُحضرت إلى مدينة تل أبيب بمجنزرة عسكرية يهودية، وبين قائد الهاغاناه في مدينة تل أبيب، وحضره حاكم القضاء وممثّل عن إدارة الشعب. وذكرت الصحيفة في الخبر نفسه أن رئيس بلدية تل أبيب، يسرائيل روكاح، أعلن أن بلدية تل أبيب مستعدة أن تجعل مدينة يافا تحت إشرافها، وأنها أعدّت عمّال البلدية لإصلاح الأضرار التي لحقت بالمدينة من جراء القصف، وأنها ستنشر في مساء اليوم نفسه بيانًا خاصًا لسكان مدينة يافا عن وضعها تحت إشرافها[207].

كما علّقت كول هعام في افتتاحيتها في ذلك اليوم على احتلال يافا، فكتبت تحت عنوان "سياستنا تجاه يافا": "بدأت مفاوضات مع ممثّلي يافا. والمفاوضات تجري بعد أن منِيت العصابات بالهزيمة، وبعد أن تركت الأغلبية العظمى من القيادة الرجعية المعركة". وأضافت: "هذه هي المرة الأولى خلال الأحداث الدموية تجري فيها مفاوضات بين ممثّلين يهود وعرب بشكل مباشر، من دون تدخّل وتوسّط بريطاني". وأكدت أن "هذه المفاوضات تعني هزيمة عسكرية وسياسية لعصابات المفتي التي تحصّنت أشهرًا طويلةً في يافا، وقصفت منها تل أبيب. وهي تعني أيضًا وجود إرادة لدى السكان العرب الذين بقوا في يافا للعيش بسلام مع تل أبيب". وأردفت: "لقد طهّرت قوات الدفاع اليهودية في حربها البطولية وكثيرة التضحيات يافا من العصابات، وبذلك خلقت وضعًا آمنًا في تل أبيب". وعبّرت عن موقفها بأنه ينبغي أن تتّبع الهاغاناه سياسة ديمقراطية تجاه يافا، والتي تحترم حقوق سكانها وتساعدهم في التحرّر من الخوف من العصابات. وتناست أنه لم يبقَ في مدينة يافا وقضائها إلّا ثلاثة آلاف نسمة من أصل 110 آلاف قبل الحرب، وكما هي الحال عند احتلال حيفا وغيرها من المدن، لم تدعُ كول هعام قيادة الهاغاناه وقيادة الييشوف إلى السماح لسكان يافا بالعودة إلى ديارهم.

وفي 14 أيار/مايو 1948 ذكرت كول هعام تحت عنوان "يافا استسلمت لقوات الهاغاناه"، أنه جرى التوصّل إلى اتفاق الاستسلام بين لجنة الطوارئ والهاغاناه، وأن قائدَي الهاغاناه ولجنة الطوارئ وقّعا على هذا الاتفاق[208]. وأضافت الصحيفة أن الاتفاق شمل وثيقتين؛ الأولى تفاصيل الاستسلام، والثانية تعليمات من لجنة الطوارئ لسكان يافا. وقد التزمت لجنة الطوارئ لمدينة يافا، وفق اتفاق الاستسلام، بتسليم جميع الأسلحة والذخيرة والممتلكات العسكرية للهاغاناه، والتزمت كذلك بإبلاغ الهاغاناه بما لديها من معلومات متعلّقة بمواقع الألغام والمتفجرات ...إلخ. ونصّ الاتفاق على أن الهاغاناه ستقوم بالتحقّق من هوية جميع الرجال العرب الموجودين في يافا، وأن من حقّ الهاغاناه اعتقال أيّ شخص تعتبره يشكّل، أو سيشكّل، خطرًا على سلم المدينة وأمنها، وأن الهاغاناه ستقوم بفحص كل من يدخل ويخرج من المدينة، كما أنه سيدير المدينة ممثّل عن الهاغاناه[209].

بعد احتلال يافا، بدأت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بتهويد مدينة يافا العربية وقراها وبلداتها، وشرعت في توطين المهاجرين اليهود الجدد في بيوتها، وقد ساهم الحزب الشيوعي مساهمة مهمة، إن لم تكن أساسية، في تسهيل وتنظيم تهجيرهم من أوروبا الشرقية إلى إسرائيل. كانت مدينة يافا من أغنى مدن فلسطين وأكثرها تطوّرًا، وكانت معظم بيوتها حديثة وجميلة، وقد جرى توطين عشرات آلاف المهاجرين اليهود الجدد من أوروبا الشرقية في سنة 1948 في كثير منها. ومن الملاحظ أن الحزب الشيوعي، كما معظم الأحزاب الإسرائيلية الأخرى، احتجّ على نهب اليهود، بمختلف توجّهاتهم السياسية، محتويات هذه البيوت، ويعود ذلك إلى أن تلك الأحزاب، بما فيها الحزب الشيوعي، كانت ترى أن تستولي الدولة اليهودية بشكل منظّم على هذه الممتلكات. ولكن الحزب الشيوعي لم يحتج على توطين المهاجرين اليهود الجدد، والقدامى أيضًا، في هذه البيوت العربية وتملكهم لها، بل على النقيض من ذلك، وعلى الرغم من حساسية الموقف، فإن الحزب الشيوعي أشار باعتزاز إلى توطين المهاجرين اليهود الجدد في البيوت العربية، كما اعتزّ وتباهى بجلب المهاجرين الجدد من أوروبا الشرقية. ففي اليوم نفسه الذي استسلمت فيه يافا، ذكرت صحيفة كول هعام أنه "سيتم إسكان 400 عائلة من اللاجئين اليهود في قرية سلمة العربية خلال الأسابيع القادمة، بعد إكمال الترميمات في البلدة. وبالإضافة إلى [هؤلاء] اللاجئين، سيتم تسكين عائلات مهاجرين جدد في القرية وصلوا للتوّ من قبرص"[210].

احتلال بيسان

في اليوم نفسه الذي استسلمت فيه مدينة يافا، استسلمت أيضًا مدينة بيسان. ومن الملاحظ أن الحزب الشيوعي قد تبنّى الرواية الصهيونية لما حدث في

بيسان، ولم يحتج أيضًا على طرد العرب منها؛ إذ ذكرت صحيفة كول هعام أن مدينة بيسان استسلمت لقوات الهاغاناه عند ظهر 13 أيار/مايو 1948، وأضافت أن الهاغاناه كانت قد طلبت من أهالي بيسان الاستسلام قبل أيام عدة، ولكنهم رفضوا. وذكرت كول هعام أنه بقي في مدينة بيسان بعد استسلامها 1500 عربي من مجموع سكانها الذين بلغ عددهم قبل الحرب 6000 نسمة. وأضافت الصحيفة أن شروط الاستسلام شملت "إخراج جميع الغرباء" وتسليم السلاح ومحطة الشرطة، وأنه تم تنفيذ هذه الشروط، وأن الهاغاناه عيّنت حاكمًا عسكريًا على المدينة. واستطردت قائلة إنه "جرى إعلام العرب أن كل من يرغب في البقاء في المدينة والاستمرار في العيش بسلام، فإن بإمكانه فعل ذلك"[211]. بيد أن الحزب الشيوعي وصحيفته كول هعام لم يشيرا إلى قيام الهاغاناه بطرد جميع سكان بيسان العرب منها، وأنها شرعت فورًا في تهويدها وتوطين المهاجرين اليهود الجدد في المدينة.

(144) "الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي يطالب بإشراكه في مؤسسات الأمن ومجلس الحكومة"، كول هعام، 3/3/1948.

(145) إستِر فيلنسكا، "ليتم إشراك الشيوعيين في قيادة قوات الأمن"، كول هعام، 5/3/1948.

(146) مئير فلنر، "الحزب الشيوعي ومجلس الحكومة المؤقت"، كول هعام، 12/3/1948.

(147) المرجع نفسه.

(148) المرجع نفسه.

(149) إلياهو غوجانسكي، "من أجل جهد حربي مجد"، كول هعام، 16/3/1948.

(150) "من قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي في اجتماعها في 13/3/1948"، كول هعام، 18/3/1948.

(151) المرجع نفسه.

(152) المرجع نفسه.

(153) المرجع نفسه.

(154) عارف العارف، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود: 1947 – 1952، ج 1 (صيدا: منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، [1956] - 1962)، ص 136.

(155) "خيانة مخجلة لحكومة أميركا"، كول هعام، 21/3/1948.

(156) "لن تنجح المؤامرة"، افتتاحية كول هعام، 21/3/1948.

(157) "لتشكل الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية فورًا: بيان الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي"، كول هعام، 22/3/1948. للمزيد، يُنظر الملحق (3).

(158) المرجع نفسه.

(159) "إيحود إلى أين؟"، افتتاحية كول هعام، 30/3/1948.

(160) المرجع نفسه.

(161) مئير فلنر، "الحرب من أجل استقلالنا"، كول هعام، 2/4/1948.

(162) المرجع نفسه.

(163) المرجع نفسه.

(164) المرجع نفسه.

(165) المرجع نفسه.

(166) "إلى المدافعين! إلى الشبيبة! إلى جماهير الييشوف! بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي"، كول هعام، 26/4/1948.

(167) عبد الحفيظ محارب، هاغاناه، إتسل، ليحي: العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة 1937 – 1948 (بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1981)، ص 348 - 349.

(168) المرجع نفسه، ص 150.

(169) "دير ياسين"، افتتاحية كول هعام، 12/4/1948.

(170) المرجع نفسه.

(171) "قائد الهاغاناه في ما يتعلّق باحتلال إتسل وليحي لدير ياسين: القرية لم تشارك في الهجمات على القدس"، كول هعام، 12/4/1948.

(172) "دير ياسين واليونان"، كول هعام، 14/5/1948.

(173) بنيامين بينكوس، علاقات خاصة: الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه وعلاقاتهم مع الشعب اليهودي والصهيونية ودولة إسرائيل 1939 – 1959 (القدس: معهد بن غوريون لبحث إسرائيل والصهيونية؛ كريات سديه بوكير؛ جامعة بن غوريون، 2007)، ص 228 (بالعبرية).

(174) إيلان بابِه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، ص 103.

(175) بيني موريس، 1948: تاريخ الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى (تل أبيب، عام عوفيد، 2010)، ص 161 (بالعبرية).

(176) "طبرية أخليت بالكامل من سكانها العرب"، كول هعام، 19/4/1948.

(177) "المجدل العربية أخليت من سكانها العرب"، كول هعام، 22/4/1948.

(178) يشير هذا المصطلح إلى الفريضة الدينية اليهودية القاضية بتطهير البيوت من أي أثر للخميرة في الخبز وغيره، ويكون ذلك عشية عيد الفصح عند اليهود، نظرًا إلى الاعتقاد الديني لديهم بتحريم تناول الخبز أو أي منتجات أخرى تحتوي على الخميرة خلال فترة الصوم.

(179) موريس، ص 164.

(180) يُنظر مثلًا: آدم راز، نهب الممتلكات العربية خلال حرب الاستقلال (حيفا: كرمل، 2020) (بالعبرية).

(181) "قوات الهاغاناه سيطرت على حيفا"، كول هعام، 23/4/1948.

(182) "الامتحان في حيفا"، كول هعام، 23/4/1948.

(183) "درس احتلال حيفا"، كول هعام، 25/4/1948.

(184) المرجع نفسه.

(185) "إلى المقاتلين! إلى الشبيبة! إلى جماهير الييشوف!"، كول هعام، 26/4/1948.

(186) المرجع نفسه.

(187) "أمننا يتطلّب سياسة ديمقراطية تجاه السكان العرب"، كول هعام، 6/5/1948.

(188) بالعبرية "منهيلت هعام"، وكانت بمنزلة الحكومة المؤقتة للييشوف اليهودي في فلسطين.

(189) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي إلى سكرتارية إدارة الشعب وقيادة الهاغاناه، بعنوان: "الوضع في حيفا"، كول هعام، 13/5/1948.

(190) المرجع نفسه.

(191) موريس، ص 178.

(192) "تطهير الجليل على أيدي الهاغاناه"، كول هعام، 6/5/1948.

(193) المرجع نفسه.

(194) يئير أورون، الكارثة والنهضة والنكبة (تل أبيب: ريسلينغ، 2013)، ص 170 (بالعبرية).

(195) "الهاغاناه احتلت صفد"، كول هعام، 11/5/1948.

(196) أورون، ص 173.

(197) هانس ليبررخت، الفلسطينيون: ماضٍ وحاضر (تل أبيب: مفعليم أونيفرسيتاييم، 1987)، ص 176 - 177 (بالعبرية).

(198) المرجع نفسه، ص 177.

(199) مصطفى الدباغ، موسوعة بلادنا فلسطين: الجزء الرابع (القسم الثاني): في الديار اليافية (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، [1965 - 1976])، ص 92 - 94.

(200) يعقوب بيلِغ، "المعركة على يافا ومنطقتها"، في: حرب الاستقلال 1948 – 1949: بحث مجدد، ألون قديش (محرر)، ج 1 (تل أبيب: وزارة الأمن، 2004)، ص 395 (بالعبرية).

(201) المرجع نفسه، ص 396.

(202) المرجع نفسه. للاطّلاع على كيفية الدفاع عن يافا، ودور حامية يافا العسكري في الدفاع عن المدينة، يُنظر: بلال محمد شلش، يافا.. دمٌ على حجر: حامية يافا وفعلها العسكري: دراسة ووثائق، ج 1 (الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019).

(203) بيلِغ، ص 403.

(204) "قوات الهاغاناه انضمت إلى هجوم إتسل على يافا"، كول هعام، 29/4/1948.

(205) "الهجوم على يافا"، كول هعام، 29/4/1948.

(206) المرجع نفسه.

(207) "في اجتماع مباشر بتل أبيب مع ممثلي يافا قُدّمت شروط الهاغاناه للمدينة العربية"، كول هعام، 13/5/1948.

(208) "يافا استسلمت لقوات الهاغاناه"، كول هعام، 14/5/1948. للمزيد عن ظروف وشروط الاستسلام، يُنظر: العارف، ص 264 - 268.

(209) المرجع نفسه.

(210) "في سلمة العربية سيتم إسكان 400 عائلة من اللاجئين"، كول هعام، 13/5/1948.

(211) "بيسان استسلمت للهاغاناه"، كول هعام، 13/5/1948.

الفصل الخامس: انتهاء الانتداب البريطاني والإعلان عن تأسيس إسرائيل

في 14 أيار/مايو 1948، انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين، وفي اليوم نفسه، أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي بيانًا بمناسبة انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين. تجاهل هذا البيان التحالف المتين بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني، وتجاهل وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين على حساب أصحابها الشرعيين، كما تجاهل أن صكّ الانتداب على فلسطين شمل تنفيذ وعد بلفور. وادّعى البيان أن الانتداب البريطاني على فلسطين زال "بفضل حرب الييشوف البطولية من أجل الاستقلال، وبفضل المساعدة التي قدّمها الاتحاد السوفياتي، وكل القوى التقدّمية في العالم"[212]، وتجاهل أن قوات الهاغاناه لم تطلق أي رصاصة ضدّ الجيش البريطاني، وإنما ضدّ المدن والبلدات والقرى الفلسطينية بهدف تهجير الفلسطينيين منها. وأكّد البيان على أن "المعركة من أجل الاستقلال لم تنتهِ بعد"، وأنه "كما أُنهي الانتداب بواسطة حرب التحرير التي خاضها الييشوف، فإن استقلالنا سوف يتحقّق بواسطة تجنيد قواه في الحرب من أجل حريتنا. إن الشعب اليهودي بأكمله يقف إلى جانبنا، وكذلك قوى التقدّم كلها. إننا سنحارب وسننتصر"[213].

وفي فجر 15 أيار/مايو 1948، وفور انتهاء أمد الانتداب البريطاني على فلسطين، أعلن دافيد بن غوريون تأسيس دولة يهودية في فلسطين، هي إسرائيل. وقّع على وثيقة إعلان الدولة اليهودية في فلسطين، والتي يُطلق عليها وثيقة الاستقلال، سبعة وثلاثون شخصًا يمثّلون مختلف الأحزاب اليهودية، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وكانوا جميعًا مستوطنين كولونياليين غرباء عن فلسطين، وُلدوا خارجها، باستثناء شخص واحد وُلد في فلسطين لأبوين هاجرا من المغرب. وكان من بين الذين وقّعوا على هذه الوثيقة ممثّل الحزب الشيوعي الإسرائيلي، مئير فلنر.

لم يتحفّظ فلنر على الرواية التاريخية لوثيقة الاستقلال المحشوّة بالمغالطات التاريخية، والمنسجمة مع القراءة الصهيونية المخطئة لتاريخ اليهود، والمعتمدة على أساطير دينية خرافية، لكنه طالب بإضافة كلمتَي "المستقلة وذات السيادة"[214] إلى الدولة اليهودية، في محاولة منه لإظهار مدى حرصه وحرص حزبه على استقلال دولة إسرائيل.

وأصدرت اللجنة المركزية للحزب بيانًا بمناسبة الإعلان عن تأسيس إسرائيل، غيّرت وفقه اسم الحزب من الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي[215]. وأكّدت فيه أن دولة إسرائيل قامت "بفضل الحرب البطولية لأفضل أبنائنا وبناتنا، وبمساعدة القوى الديمقراطية في العالم"، وأعلنت أن الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي كان دومًا حزبًا أمميًا، وأنه يعدّ

نفسه "من الآن فصاعدًا حزبًا شيوعيًا لدولة إسرائيل"، وأنه سيكون مفتوحًا لجميع عمّالها الذين يقبلون أسس الماركسية اللينينية، بغضّ النظر عن القومية والدين والجنس. وأضافت اللجنة المركزية أن الحزب الشيوعي "سيرفع من الآن فصاعدًا علم دولة إسرائيل، وأنه سينشد من الآن فصاعدًا، إلى جانب نشيد الطبقة العاملة، نشيد الدولة في المراسيم والاجتماعات الرسمية للحزب"[(216)].

"شهر العسل" بين الاتحاد السوفياتي وإسرائيل

منذ أواخر سنة 1947 وحتى مطلع ربيع 1949، سادت علاقات ودّية للغاية بين الاتحاد السوفياتي والوكالة اليهودية وإسرائيل. ففي أعقاب تصريح مندوب الاتحاد السوفياتي، سميون تسربكين، في 13 تشرين الأول/أكتوبر 1947، والذي دعم فيه توصية الأغلبية للجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (يونسكوب)، وَضَع الاتحاد السوفياتي ثقله لاستصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة يتبنّى توصية الأغلبية في هذه اللجنة، والقاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين؛ واحدة يهودية وأخرى عربية، ويضع مدينة القدس ومنطقتها تحت الوصاية الدولية. وفي إثر ذلك، بدأت تسود علاقات ودّية للغاية بين الاتحاد السوفياتي والوكالة اليهودية.

في هذا السياق، جرت اتصالات ولقاءات كثيرة عشية صدور قرار التقسيم، وحتى الإعلان عن تأسيس إسرائيل في 15 أيار/مايو 1948، بين مندوبي الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة وممثّلي الوكالة اليهودية، وفي مقدّمتهم رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، موشيه شاريت، والذي قاد مع بن غوريون نشاط الوكالة اليهودية السياسي للحصول على مختلف أنواع الدعم الدولي لإقامة دولة يهودية في فلسطين[(217)].

يبدو أن مجموعة من العوامل ساهمت في تخلّي الاتحاد السوفياتي في تلك الفترة عن موقفه التاريخي المعادي للصهيونية ومشروعها لإقامة دولة يهودية في فلسطين، ليتحوّل إلى مؤيد لها، وكان أهمها: أولًا: اعتقاده أن ذلك يساهم في إضعاف الوجود الاستعماري البريطاني في الشرق الأوسط.

ثانيًا: محاولته دقّ أسافين بين الدولتين الاستعماريتين، وهما: بريطانيا التي كانت تسعى إلى إطالة انتدابها على فلسطين، والولايات المتحدة التي كانت تدعم بقوة إنشاء دولة يهودية في فلسطين وإنهاء الانتداب البريطاني عليها.

ثالثًا: رهانه بأنه سيكون للاتحاد السوفياتي نفوذ في إسرائيل بسبب تبوّء الأحزاب العمّالية الصهيونية قيادة الييشوف اليهودي في فلسطين الذي كانت أغلبيتهم قد هاجرت إلى فلسطين من روسيا وأوروبا الشرقية.

رابعًا: اعتقاده أن دعمه إنشاء دولة يهودية في فلسطين يُكسِبه تأييد يهود

العالم، ولا سيما يهود الولايات المتحدة، لتصوّره أنهم يتمتّعون بنفوذ في الولايات المتحدة وبتأثير في سياستها الخارجية[218].
منذ اتخاذه قرار دعم إنشاء دولة يهودية في فلسطين، في تشرين الأول/ أكتوبر 1947، شرع الاتحاد السوفياتي في دعم مواقف الوكالة اليهودية وإسرائيل، وتقديم المساعدات المختلفة لها لتحقيق هذا الهدف. وقد انعكس ذلك في القضايا التالية[219]: أولًا: كان الاتحاد السوفياتي أول دولة تعترف

بإسرائيل عند تأسيسها اعترافًا كاملًا ورسميًا، في حين كانت الولايات المتحدة أول دولة في العالم تعترف بإسرائيل اعترافًا فعليًا فقط (De Facto) وليس رسميًا (De Jure). وبعد اعتراف الاتحاد السوفياتي بإسرائيل، أسرعت دول أوروبا الشرقية واعترفت بها أيضًا.
ثانيًا: عارض الاتحاد السوفياتي بشدة دخول جيوش الدول العربية إلى فلسطين

في 15 أيار/مايو 1948، مساندًا بذلك الموقف الإسرائيلي.
ثالثًا: دعم الاتحاد السوفياتي إسرائيل في رفضها لخطة الكونت [فولك

برنادوت (Folke Bernadotte) لحلّ القضية الفلسطينية التي قدّمها للأمم المتحدة، كما رفضها مندوبوه في الأمم المتحدة.
رابعًا: تخلّى الاتحاد السوفياتي عن تدويل القدس ووضْعها تحت وصاية دولية،

وفق قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، ودعم، في صيف 1948، سياسة إسرائيل تجاه القدس والتوسّع الإسرائيلي فيها.
خامسًا: تسامح الاتحاد السوفياتي مع التوسّع الإسرائيلي في المنطقة

المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية، ولم يطالب إسرائيل في حينه بالانسحاب من المناطق التي احتلّها، وكانت تابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم.
سادسًا: في النصف الثاني من سنة 1948، أيّد الاتحاد السوفياتي موقف إسرائيل

من اللاجئين الفلسطينيين، وحمّل مندوبه في الأمم المتحدة، ياكوف مالك، كلًا من بريطانيا والدول العربية والولايات المتحدة مسؤولية تهجير الفلسطينيين من فلسطين، متماهيًا بذلك مع الموقف الإسرائيلي. وكذلك دعم الاتحاد السوفياتي موقف إسرائيل من حلّ قضية اللاجئين الفلسطينيين الذي أكد بأن حلّ قضيتهم يكون من خلال حلّ الصراع العربي - الإسرائيلي بواسطة المفاوضات المباشرة بين إسرائيل والدول العربية. ومما تجدر الإشارة إليه أن وسائل الإعلام السوفياتية تجاهلت في تلك الفترة قضية اللاجئين الفلسطينيين

بشكل كامل، ولم تتطرّق إليها ولا إلى مجزرة دير ياسين إطلاقًا، والتي ملأت أخبارها معظم وسائل الإعلام العالمية[220]، كما تجاهلت أيضًا غيرها من المجازر.

سابعًا: صوّت الاتحاد السوفياتي، في كانون الأول/ديسمبر 1948، لصالح قبول

إسرائيل في الأمم المتحدة، وذلك على الرغم من احتلال إسرائيل أراضٍ واسعة من المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية، وطردها نحوً 800 ألف فلسطيني من ديارهم؛ ففي خطابه، في 2 كانون الأول/ديسمبر 1948، أعلن مالك، مندوب الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة، في سياق محاولته إقناع مجلس الأمن بقبول إسرائيل في الأمم المتحدة، أن "كل العالم يعرف جيدًا المصاعب التي واجهتها هذه الدولة منذ الأيام الأولى لتأسيسها؛ إذ حاولت قوى خارجية التعرّض لها، ولكن هذه الدولة أثبتت، على الرغم من ذلك كله، قوتها في الحياة، وقدرتها على تنفيذ التزاماتها الدولية الكاملة، خاصة تلك الالتزامات التي تفرضها الأمم المتحدة ومجلس الأمن"[221]. بيد أن إسرائيل فشلت حينئذ في الحصول على عضوية الأمم المتحدة لعدم حصولها على دعم سبعة دول أعضاء في مجلس الأمن، المطلوب حينئذ لقبولها في الأمم المتحدة، إذ صوّتت لصالحها خمس دول فقط، هي: الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وأوكرانيا والأرجنتين وكولومبيا، وفقط في 5 آذار/مارس 1949 قبِل مجلس الأمن عضويتها في الأمم المتحدة[222].

ثامنًا: وجّه الاتحاد السوفياتي تشيكوسلوفاكيا، في الفترة الممتدة منذ سنة

1948 وحتى شباط/فبراير 1949، لتزويد إسرائيل بالأسلحة الحديثة، والتي كان لها دور حاسم في في تغيير مسار الحرب لصالح إسرائيل، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا.

تاسعًا: في الوقت الذي عارض فيه الاتحاد السوفياتي بشدة هجرة مواطنيه

اليهود إلى إسرائيل أثناء وبُعيد حرب 1948، وافق الاتحاد السوفياتي وشجّع دول أوروبا الشرقية على السماح بالهجرة اليهودية، ولا سيما هجرة المقاتلين والخبراء، إلى إسرائيل. لقد كانت إسرائيل خلال حرب 1948 بأمسّ الحاجة إلى الهجرة اليهودية، ولا سيما هجرة المقاتلين، لسببين رئيسين، وهما: أولًا، حاجتها للمقاتلين اليهود ممن لديهم خبرة عسكرية من جراء خدمتهم في جيوش دولهم في الحرب العالمية الثانية في حربها ضدّ الشعب العربي الفلسطيني والدول العربية؛ ثانيًا، حاجتها الماسة إلى أعدادٍ كافية من المهاجرين لملءِ مكان السكان الفلسطينيين في المدن والقرى التي هجّروا منها، وذلك بهدف خلق أمر واقع يمنع عودة الفلسطينيين إلى بيوتهم.

وبالفعل، ونتيجة للجهود المكثّفة التي بذلتها إسرائيل، والجهود التي بذلها الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي كان يتمتّع بعلاقات مميّزة مع الأحزاب

الشيوعية الحاكمة في دول أوروبا الشرقية، هاجر إلى إسرائيل من رومانيا وبولندا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ويوغسلافيا، منذ سنة 1945 وحتى أواخر سنة 1949، وتحديدًا بين سنتي 1948 و1949، نحو 250 ألف يهودي[223]. وشكّلت هذه الهجرة اليهودية العامل الأساسي في تهويد المدن والبلدات الفلسطينية وإقامة المستوطنات لهؤلاء المهاجرين اليهود الجدد على أنقاض عشرات القرى الفلسطينية التي كانت القوات العسكرية الإسرائيلية قد هجّرت أصحابها الفلسطينيين منها. وجرى توطين هؤلاء المهاجرين اليهود في يافا وحيفا والقدس وصفد وبيسان وعكا واللد والرملة وبئر السبع والمجدل، وفي عشرات البلدات والقرى الفلسطينية، مثل العباسية وبلد الشيخ والجاعونة وإجزم وعين كارم[224].

وقد ساهم الحزب الشيوعي الإسرائيلي، مثل الحركات الصهيونية الأخرى، في عملية توطين أنصاره وغيرهم من المهاجرين اليهود في المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، بما فيها تلك التابعة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. ولم يرَ الحزب أي مشكلة أخلاقية أو سياسية في ذلك، كما لم يرَ أي مشكلة أخلاقية أو سياسية في إقامة مستوطنة يهودية على أنقاض قرية دير ياسين التي ارتكبت بها منظمتا إتسل وليحي بمساعدة الهاغاناه مجزرة مروّعة، والتي كانت خارج المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية وفق قرار التقسيم. ومما يجدر ذكره هنا، أن إقامة مستوطنة يهودية على أنقاض قرية دير ياسين أثارت حينئذ معارضة نفر من المفكّرين اليهود لأسباب أخلاقية، وبذلك خرجوا في موقفهم هذا عن الإجماع الإسرائيلي. فقد أرسل مارتن بوبر وإرنست سيمون ودافيد سنطور رسالة إلى دافيد بن غوريون، رئيس الحكومة الإسرائيلية، في شباط/فبراير 1949، أعربوا فيها عن معارضتهم لعزم الحكومة الإسرائيلية "توطين مهاجرين يهود جدد في قرية دير ياسين، في سياق عملية الاستيطان اليهودي في القرى المهجورة". وأعربوا فيها عن قناعتهم بأنه "لم يحن الوقت بعد لاتخاذ قرار في شأن إقامة مستوطنة يهودية في هذه القرية، فقد قُتل في دير ياسين مئات الأشخاص، ومن الأفضل في هذه الفترة إبقاء أراضي دير ياسين من دون استعمال، وإبقاء بيوتها غير مأهولة، بدل القيام بعمل مردوده الرمزي السلبي أكثر بكثير من فائدته العملية"[225]. بيد أن بن غوريون لم يستجب لهذه الرسالة، ومضى قدمًا في إقامة مستوطنة يهودية على أنقاض القرية[226].

الجولة الأولى من الحرب

بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، دخل عدد قليل من المجنّدين في جيوش دول عربية عدة إلى فلسطين. وقد دارت جولات من المواجهات العسكرية مع قوات الهاغاناه، ومن ثم مع الجيش الإسرائيلي، واستمرت الجولة الأولى من الحرب منذ 15 أيار/مايو حتى 11 حزيران/يونيو 1948. أعقب

الجولة الأولى من الحرب اتفاق وقف إطلاق النار الذي استمر 28 يومًا، من 11 حزيران/يونيو وحتى 8 تموز/يوليو 1948. وابتدأت الجولة الثانية من الحرب في 9 تموز/يوليو 1948 واستمرت حتى 18 منه.
خلال فترة الجولة الأولى من الحرب، وحتى التوصّل إلى اتفاق وقف إطلاق النار، احتل الجيش الإسرائيلي المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية وفق قرار التقسيم، باستثناء 300 كيلومترٍ، ومناطق واسعة من النقب. واحتل المدن والبلدات والقرى الواقعة في تلك المنطقة وطرد سكانها العرب منها، وكذلك احتل الجيش الإسرائيلي 700 كيلومترٍ مربعٍ من المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، وطرد سكانها الفلسطينيين منها. وعند انتهاء فترة وقف إطلاق النار، بادر الجيش الإسرائيلي، في 9 تموز/يوليو 1948، في الجولة الثانية من الحرب، إلى توسيع حدود الدولة اليهودية في المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية، واحتل المزيد من المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، وطرد سكانها العرب منها. واستمرت الجولة الثانية من الحرب عشرة أيام، إلى حين التوصّل إلى اتفاق ثانٍ لوقف إطلاق النار في 18 تموز/يوليو. خرقت إسرائيل خلال الأشهر التالية اتفاق وقف إطلاق النار مرارًا وتكرارًا، واحتلت مزيدًا من الأراضي العربية، ووسّعت حدود الدولة اليهودية على حساب المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، واحتلت 78 في المئة من مساحة فلسطين، في حين كان مخصّصًا لها 54 في المئة وفق قرار التقسيم. ووقّعت إسرائيل اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية المجاورة لفلسطين في سنة 1949؛ إذ وقّعت اتفاقية الهدنة مع مصر في 24 شباط/فبراير، ومع لبنان في 23 آذار/مارس، ومع الأردن في 3 نيسان/أبريل، ومع سورية في 20 تموز/يوليو 1949.
أيّد الحزب الشيوعي الإسرائيلي بقوة توسيع حدود الدولة اليهودية في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، وأيّد بحزم ووضوح احتلال الهاغاناه والجيش الإسرائيلي للمدن والبلدات والقرى الفلسطينية الواقعة في المنطقة المخصّصة للدولة العربية، وتجاهل عمليات الطرد المنهجي والمنظّم التي نفّذتها الهاغاناه، ومن ثم الجيش الإسرائيلي، بحقّ العرب الفلسطينيين من المدن والبلدات والقرى التي احتلتها الهاغاناه والجيش الإسرائيلي، كما تجاهل المجازر الكثيرة في طول فلسطين وعرضها خلال سنة 1948. ومن الملاحظ أن الحزب لم يقف إلى جانب توسيع حدود إسرائيل فحسب، وإنما أيّد أيضًا استعمال القوة العسكرية الإسرائيلية، من دون تحفّظ، ضدّ المدن والبلدات والقرى الفلسطينية الواقعة خارج المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية، لاحتلالها وضمّها للدولة اليهودية، على الرغم من أن قسمًا كبيرًا من هذه المدن والبلدات والقرى لم يكن مسلّحًا، وفق ما ذكر الحزب مرارًا، ولم يشكّل خطرًا على إقامة الدولة اليهودية وفق قرار التقسيم.

وقد شدّدت صحيفة كول هعام على أهمية القوة العسكرية للهاغاناه وللجيش الإسرائيلي في احتلال المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، وأبرزت بشكل خاص دور سلاح الجو الإسرائيلي الذي ساهم الحزب الشيوعي من خلال جهود أمينه العام، شموئيل ميكونِس، في تسهيل تزويده بالطائرات العسكرية من تشيكوسلوفاكيا. وقد أبرزت كول هعام، منذ الأسبوع الأخير لشهر أيار/مايو 1948 وطيلة فترة الحرب، الغارات التي شنّتها هذه الطائرات الإسرائيلية على المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، وعلى المدن والبلدات في الدول العربية المجاورة، والتي قصفت أساسًا أهدافًا مدنية في هجومها؛ ففي 13 أيار/مايو 1948، ذكرت الصحيفة في رأس صفحتها الأولى أن "سلاح الجو الإسرائيلي قصف تجمّعات العدو في القدس وغور الأردن وغزة"[227].
وفي اليوم التالي ذكرت في عنوانها الرئيس: "طائراتنا قصفت أهدافًا عسكرية في سورية"، وكان من بينها مدينة القنيطرة[228]. وفي عددها الصادر في 1 حزيران/يونيو، ذكرت الصحيفة أن طائرات سلاح الجو الإسرائيلي قصفت "العدو في طولكرم، وفي مدينتي اللد والرملة"[229]. وفي اليوم التالي ذكرت تحت عنوان "طائراتنا تضرب العدو في البلاد وخارجها" أن الطائرات الإسرائيلية قصفت عمّان والبطيحة بالقرب من طبرية، وبانياس السوريّة، ودير أيوب وعمواس ويالو في وسط فلسطين[230]. واستمرت كول هعام في إبراز قصف الطائرات الإسرائيلية لأهداف مدنية بحماسة وبروح مؤيدة لهذه الاعتداءات؛ ففي 10 حزيران/يونيو 1948 ذكرت أن طائرات سلاح الجو الإسرائيلي قصفت بنت جبيل ورأس العين في جنوب لبنان، والنبي صموئيل وبدّو في فلسطين[231].

احتلال الجليل الغربي

خلال هذه الجولة من الحرب احتل الجيش الإسرائيلي أجزاءً واسعة من الجليل الغربي. وقد عدّ الحزب احتلال الجيش الإسرائيلي للجليل الغربي تحريرًا، على الرغم من وقوعه في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، إذ نشرت صحيفة كول هعام، في 2 حزيران/يونيو 1948، تقريرًا تحت عنوان "في الجليل الغربي المحرر"، وصفت فيه عملية "تحرير" الجليل الغربي ومجّدت قوات الجيش الإسرائيلي التي احتلت القرى والبلدات العربية الفلسطينية فيه[232]. ومن الملاحظ أن الحزب الشيوعي الإسرائيلي قد أيّد توسيع الدولة اليهودية في المناطق المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم ليس في الجليل الغربي فحسب، وإنما في كل مكانٍ في فلسطين تتمكّن قوات الجيش الإسرائيلي من احتلاله؛ إذ أيّد الحزب مثلًا احتلال الجيش الإسرائيلي مدينة جنين التي تقع أيضًا في المنطقة المخصّصة للدولة العربية

وفق قرار التقسيم، ووقف بشكل واضح ضدّ تحرير الجيش العراقي للمدينة من الجيش الإسرائيلي الذي احتلها فترة قصيرة؛ ففي 4 حزيران/يونيو 1948، ذكرت صحيفة كول هعام في عنوانها الرئيس "جيش الدفاع في جنين" أن المعركة قد بدأت على مدينة جنين، وأن تعزيزات وصلت للجيش العراقي الموجود في جنوب المدينة، وأن "العدو حاول، بمساعدة الطائرات والمدفعية، احتلال الاستحكامات التي احتلها جنودنا في اليوم الماضي في معركة صعبة استمرت 14 ساعة"[233]. وأضافت الصحيفة: "لقد قصفت مدافعنا قلب مدينة جنين بقوة وبدقة، ودارت معارك عنيفة طيلة ساعات اليوم على كل شبر على حدود المدينة، وفي جزئها الشمالي الغربي". واستطردت قائلة إنه "رغم شدة هجوم العدو، فإن قواتنا تمكّنت من تحسين مواقعها في العديد من الأماكن المحيطة بالمدينة"[234].

تمجيد الجيش الإسرائيلي

بينما كان الجيش الإسرائيلي يطرد الفلسطينيين من مدنهم وبلداتهم وقراهم بشكل منهجي ومنظّم، ويرتكب بحقّهم المجزرة تلو الأخرى، نشر إلياهو غوجانسكي، في 4 حزيران/يونيو 1948، مقالًا بمناسبة تأسيس الجيش الإسرائيلي تحت عنوان "مع إقامة الجيش الإسرائيلي"، مجّد فيها الجيش و"روح التضحية السائدة فيه" و"انتصاراته المهمة" التي حقّقها على "العصابات المأجورة التابعة للهيئة العربية العليا"، وعلى "سبعة جيوش عربية"، وادّعى أن "جيشنا صمد وانتصر ضدّ قوات أكبر منه عددًا"[235]. وأشار غوجانسكي إلى أن تحويل الهاغاناه إلى جيش نظامي لدولة إسرائيل هو حدث مهم للغاية، وإلى أنه جرى بناء الجيش الإسرائيلي من خلال المعارك الصعبة التي خاضها في مناطق مختلفة من البلاد، فشدّت عوده. وأضاف: "لقد نشأ جيشنا وترعرع من داخل الطبقة العاملة، من داخل شبيبتنا، من داخل جماهير الشعب المتعطّش للتحرر من النير الإمبريالي الذي يسعى بقوة إلى إقامة وطن مستقل وحرّ"[236].

وفي محاولة منه لشرح إعطاء الجيش الإسرائيلي الأولوية القصوى للحرب ضدّ العرب الفلسطينيين واحتلال مدنهم وقراهم، وعدم مواجهته في أي مرحلة من مراحل الحرب جيش "الإمبريالية البريطانية"، وعدم إطلاقه أيّ رصاصه ضدّه، ذكر غوجانسكي أن "التقاليد الشوفينية التي يتبنّاها الجزء الرجعي في قيادة الييشوف وسمت نضالنا الذي هو في مضمونه نضال ضدّ الإمبريالية بصبغة نضال ضدّ العرب. في حيفا وصفد ويافا - إذا لم نتحدث عن دير ياسين - انتصر عمليًا [إرنست] بيفن. فإذا لم تنجح العصابات والحكم البريطاني في دفع جماهير الشعب العربي ضدّنا، فإن سياسة القمع وطرق الاحتلال التي اتّبعها قادة الييشوف والهاغاناه نجحت في ذلك". أي إنه وفق غوجانسكي ليس احتلال الجيش الإسرائيلي للمدن والبلدات والقرى

الفلسطينية في المنطقة المخصّصة للدولة العربية هو المشكلة، وليس طرد العرب الفلسطينيين من ديارهم هو المشكلة التي حمّل الحزب الشيوعي مسؤوليتها للاستعمار البريطاني والقيادات العربية والفلسطينية، ولكن تكمن المشكلة في طريقة احتلال الجيش الإسرائيلي للمدن والبلدات والقرى الفلسطينية، وفي سياسة القمع التي اتّبعها ضدّ القلة التي بقيت. وشرح ذلك بقوله: "لو أن قوات الهاغاناه دخلت إلى المدن والقرى العربية باعتبارها جيش تحرير، لاستخلص العرب أن هذا الجيش يجلب لهم عمليًا ورسميًا مساواة في الحقوق وظروف حياة إنسانية، وتحرير من نير الاستعمار ومن عصابات الإرهاب العربية، ولكن عمليًا لم يكن الأمر هكذا؛ المعاملة القاسية مثل معاملة مجرمي الحرب، السطو الجماهيري ونظام الاحتلال، دفع بهم إلى أحضان البريطانيين والعصابات"[237].

وعلى الرغم من رفعه شعار "الموت للغزاة والسلام للشعوب"، فإن الحزب الشيوعي الإسرائيلي لم يوضّح كيف يتماشى رفعه شعار السلام للشعوب مع تجاهله تنفيذ الهاغاناه، ومن بعدها الجيش الإسرائيلي، اللذين انخرط في صفوفهما أعضاء وأنصار الحزب الشيوعي الإسرائيلي، عمليات طرد الشعب الفلسطيني من مدنه وبلداته وقراه، ومع حقيقة أنه لم يطالب بعودة اللاجئين الفلسطينيين الذين طردهم الجيش الإسرائيلي إلى ديارهم.

أثناء الحرب، أولى الحزب الشيوعي الإسرائيلي أهمية كبيرة للجيش الإسرائيلي، وأبرز انخراط أعضائه وأنصاره فيه؛ ففي احتفال نظّمه الحزب في تل أبيب بمناسبة قبول أعضاء جدد فيه، حرصت القيادة على إبراز دور أعضاء الحزب المجنّدين في الجيش خلال الحرب[238]. وذكرت صحيفة كول هعام في هذا السياق أن "الرفيق ريبنو الذي كان من أوائل المجنّدين وشارك في معارك كثيرة، رحّب بأعضاء الحزب الجدد باسم الشيوعيين كلهم في صفوف الجيش ممن يقومون بمهمات شاقّة، ليست عسكرية فحسب، وإنما أيضًا سياسية، كي يكون الجيش ديمقراطيًا، وكي تنتهي الحرب بانتصار كامل وتحقيق الاستقلال الكامل والديمقراطية الحقيقية"[239]. وفي هذا السياق أيضًا، أصدرت اللجنة المركزية للحزب بيانًا بمناسبة يوم قسم الولاء للجيش أشارت فيه إلى أن جنود جيش الدفاع الإسرائيلي يؤدون قسم الولاء في هذا اليوم للدولة وللشعب، وأن قسَمهم هذا يأتي في الفترة التي تخوض فيها إسرائيل الحرب على مجرد وجودها وسيادتها. وحيّت اللجنة المركزية في بيانها "أعضاء الحزب والشبيبة الشيوعية الذين يحاربون في الصفوف الأولى لجيش إسرائيل من أجل انتصار كامل واستقلال حقيقي"[240].

دعم التوسّع الإسرائيلي في القدس

على الرغم من أن القدس كانت تقع خارج المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية وفق قرار التقسيم، فإن الحزب الشيوعي الإسرائيلي اتّخذ موقفًا متشددًا

للغاية في دعوته إلى أن تكون القدس جزءًا من دولة إسرائيل، وأيّد احتلال الهاغاناه والجيش الإسرائيلي لها وللأحياء العربية فيها، مثل القطمون والبقعة والطالبية والمصرارة، وللقرى العربية في محيطها، مثل المالحة ولفتا والشيخ بدر وعين كارم. وفي النقاش الذي جرى في أواخر حزيران/يونيو 1948 في مجلس الشعب عن الوضع في القدس، قال مئير فلنر: "ينبغي أن نعدّ القدس جزءًا من دولة إسرائيل"[241]. وحاجج فلنر بأن "القدس لم تكن مجرد جبهة لدولة إسرائيل، وإنما كانت هي الجبهة التي أنقذت تل أبيب بدرجة كبيرة، فقد أرغمت معركة القدس العدو على تخصيص قوات عسكرية كبيرة لها. لذلك من غير المفهوم لماذا تنازلنا عن الطريق الثانية التي تصلنا بالقدس!". وأضاف فلنر أن المشكلة لا تقتصر على القدس فحسب، وإنما هي مرتبطة بسياسة الحكومة الإسرائيلية التي تسعى إلى الارتباط بالولايات المتحدة والغرب، والتي بدورها تلحِق ضررًا بالجهود العسكرية الإسرائيلية، وذلك بدل تعزيز العلاقات مع المعسكر الاشتراكي الذي يقدّم المساعدات لإسرائيل، وفق ما ذكره فلنر[242].

كان الحزب الشيوعي الإسرائيلي يبذل جلّ جهده من أجل دفع إسرائيل إلى تعزيز علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي وسائر دول المعسكر الاشتراكي. وفي هذا السياق، دعا فلنر، في مقال له بمناسبة عقد الاجتماع الأول لمجلس حزب مبام، إلى إقامة جبهة بين الحزب الشيوعي وحزب مبام الذي كان يضم حزبي هشومير هتسعير وأحدوت هعفوداه. واقترح فلنر أن تستند هذه الجبهة إلى برنامج مشترك يضمن النقاط الآتية[243]: - تجنيد جميع القوى في الشعب والعالم "لحربنا"، من أجل وجود دولة إسرائيل وسيادتها.

- استقلال كامل وحقيقي لدولة إسرائيل، وضدّ أي تقليص لحدودها، وضدّ القواعد العسكرية الأجنبية على "أرضنا"، وضدّ إعطاء الأجزاء العربية من "أرض - إسرائيل" إلى عبد الله، "عبد بريطانيا".

- حرية الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، وضدّ فرض برنادوت أي قيد على إسرائيل.

- تطوير اقتصاد إسرائيل والحفاظ على سيادتها.

- عقد حلف صداقة مع حلفائنا المخلصين؛ الاتحاد السوفياتي والدول الديمقراطية الشعبية.

- اتّباع سياسة ديمقراطية تجاه الأقلية العربية في دولة إسرائيل، وضدّ السطو والنهب[244].

من الملاحظ أن الخطوط العريضة التي اقترحها فلنر على حزب مبام لم تشمل تطبيق قرار التقسيم للأمم المتحدة، ولم تدعُ إلى انسحاب الجيش الإسرائيلي من المناطق التي احتلها من الأراضي التابعة للدولة العربية

الفلسطينية وفق قرار التقسيم، بل دعت، على النقيض من ذلك وبشكل صريح، إلى عدم انسحاب الجيش الإسرائيلي منها. كما أنها لم تدعُ إلى إقامة دولة عربية فلسطينية في الجزء العربي من فلسطين، في الوقت الذي أكّدت فيه معارضتها إعطاء الأجزاء العربية من فلسطين إلى الملك عبد الله، وهو ما يفتح السؤال حول سبب عدم إشارة فلنر إلى ضرورة قيام دولة فلسطينية.
كما لم تشمل هذه الخطوط العريضة دعوة إلى عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي شُرّدوا منها، في الوقت الذي أكّدت حرية الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، والذي كان يعني في تلك الفترة توطين المهاجرين اليهود في المدن والبلدات والقرى الفلسطينية التي هُجّر منها الفلسطينيون.

موقف الحزب من مقترحات الكونت برنادوت

في 14 أيار/مايو 1948، فوّضت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى لجنة مشكّلة من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن تعيين وسيطٍ أممي في فلسطين. وبناء على توصية اللجنة، عيّنت الأمم المتحدة، في العشرين من الشهر نفسه، السويدي الكونت فولك برنادوت لتلك المهمة. واستطاع برنادوت أن يتوصّل إلى الهدنة الأولى بين الجانبين في فلسطين، في 11 حزيران/يونيو 1948، واستأنف نشاطه لتحقيق مهمته التي أوكلتها إليه الأمم المتحدة.
بعد اتصالاته المكثّفة مع الطرفين، قدّم برنادوت مجموعة من المقترحات حول مستقبل فلسطين إلى الأمم المتحدة، في 27 حزيران/يونيو، وإجراء مفاوضات في شأن مقترحاته بين الطرفين في رودس. وشملت هذه المقترحات إجراء تعديلات على قرار التقسيم في الحدود بين الجانبين، أبرزها: ضمّ منطقة النقب بأكملها، أو جزء منها، إلى أراضي الدولة العربية؛ ضمّ منطقة الجليل الغربي بأكملها، أو جزء منها، إلى الدولة اليهودية؛ إعادة النظر في وضع مدينة يافا؛ ضمّ مدينة القدس إلى الدولة العربية، ومنح اليهود فيها استقلالًا ذاتيًا؛ إنشاء ميناء حرّ في حيفا، على أن تشمل منطقة الميناء مصانع تكرير البترول؛ إنشاء ميناء جوي حرّ في مطار اللد؛ تحديد الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ووضعها تحت إشراف دولي؛ حقّ اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم دون قيد أو شرط، واسترجاع ممتلكاتهم.
من الملاحظ أن موقف الحزب الشيوعي في رفضه متقرحات برنادوت كان أكثر تطرّفًا من موقف الحكومة الإسرائيلية. وانتقد الحزب الحكومة الإسرائيلية بشدّة لعدم اتخاذها موقفًا رافضًا حاسمًا لتلك المقترحات، ودعا الحكومة الإسرائيلية إلى عدم الذهاب إلى رودس لإجراء مفاوضات مع الدول العربية[245]، كما انتقد الحكومة لأنها، وفق ما ذكر، "ستبتّ في مقترحات برنادوت من دون العودة إلى مجلس الشعب"، وحذّر الحكومة من مغبّة الخضوع لـ "العدو الإمبريالي". وأكّد الحزب أن "الطبقة العاملة والشبيبة والشعب كله مستعد للحرب وللتضحية والمعاناة"، ولكنه "غير مستعد أن

يعطي الاستعمار وخدَمَه ثمار النصر"؛ فالشعب "يطالب بعدم الذهاب إلى رودس، وعدم التخلّي عن القدس والنقب، وعدم التخلّي عن استقلال إسرائيل"[246].

وقد شنّ الحزب حملة شعواء على برنادوت ومقترحاته طيلة الأشهر التالية، تمامًا كما شنّت مختلف الأحزاب الصهيونية الإسرائيلية حملة ضدّه، ووصف برنادوت في إعلامه بأنه "عميل الإمبريالية البريطانية الأميركية الذي يدّعي أنه يمثّل الأمم المتحدة"، وأنه "رجل ميونيخ" الذي "توسّط بين الحلفاء وألمانيا النازية"، والذي اقترح تغيير أدولف هتلر بهاينريش هملر من أجل التوصّل إلى سلام مع ألمانيا النازية[247]. وادّعى الحزب الشيوعي الإسرائيلي أن "الإمبريالية تسعى بواسطة برنادوت إلى تحقيق مكاسب سياسية، بعد أن فشل خدمها وعملاؤها في ميدان القتال" من تحقيق تلك المكاسب[248].

دعم الحزب الشيوعي للتوسّع الإسرائيلي في الجولة الثانية من الحرب

بعد انتهاء فترة اتفاق وقف إطلاق النار الأول، في 9 تموز/يوليو 1948، شنّ الجيش الإسرائيلي هجمات كبيرة على مدن وبلدات وقرى فلسطينية كثيرة في مناطق واسعة تابعة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، واحتلها وطرد سكانها الفلسطينيين منها. وقد أيّد الحزب الشيوعي بقوة احتلال الجيش لهذه الأراضي التابعة للدولة العربية وتوسيع حدود إسرائيل، وشارك أعضاء الحزب وأنصاره الذين انخرطوا في صفوف الجيش في هذا الاحتلال، من دون تحفّظ.

وفي 11 تموز/يوليو 1948، ذكرت كول هعام في عنوانها الرئيس، وبروح مؤيدة ومتحمّسة، أن الجيش يهاجم ويحتل[249]، وأشارت إلى أنه تقدّم واحتل مناطق عدة، منها بلدة العباسية ومطار اللد وولهلما ودير طريف، وأنه يهاجم القوات المصرية في جنوب فلسطين، والقوات السورية في شمالها. ووصفت الصحيفة كيفية احتلال مطار اللد، فذكرت أن سلاح الدبابات تقدّم القوة المهاجمة، وتلته عشرات المجنزرات والمدفعية. وبعد معركة استمرت ساعتين، احتلت القوات الإسرائيلية المطار، "فاحتفل الجنود في المطار وتعانقوا، وشرعوا يهتفون فرحًا وبهجةً بالإنجاز الكبير"[250].

في هذه الأجواء، عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي اجتماعًا مطوّلًا في يومي 10 و11 تموز/يوليو 1948، حضره شموئيل ميكونِس، أمين عام الحزب الذي كان قد عاد حينها من جولة في أوروبا الشرقية، لتجنيد مختلف أشكال الدعم للمجهود الحربي. وقد اتّخذت اللجنة المركزية مجموعة من القرارات، كان بعضها يخصّ جولة ميكونِس في أوروبا الشرقية ومسألة تعزيز الحكومة المؤقتة.

انتقدت اللجنة المركزية للحزب الحكومة المؤقتة بشدّة، ورأت أن سياسة الحكومة "لا تتناسب مع حرب الاستقلال لجماهير الشعب، ولا تعبّر بالدرجة

المطلوبة عن روح ومصالح الجبهة والعمق"، وأنها تعتمد على "المهادنة مع الإمبريالية الأنكلو - أميركية، الأمر الذي يعرّض بالضرورة سيادة دولة إسرائيل للخطر"، وأن سياستها "تتحفّظ من معسكر السلام والديمقراطية والمدافعين عن الاستقلال القومي بزعامة الاتحاد السوفياتي الذي يقف إلى جانبنا بكلّ الصدق والتصميم، ويقدّم الكثير لتعزيز صمودنا في ساحة الحرب"[251]. وعلى الرغم من ذلك، اعتبرت اللجنة المركزية أن "ثمة ضرورة عاجلة لتعزيز الحكومة المؤقتة، من خلال إضافة قوى تقدمية وانضمام الحزب الشيوعي إليها"[252].

أما في ما يخصّ مهمة ميكونِس في أوروبا الشرقية، فقد صادقت اللجنة المركزية تقرير ميكونِس حول زيارته لأوروبا الشرقية في مهمته "لتجنيد مساعدة شاملة لجبهة الحرب لدولة إسرائيل"، وعبّرت عن رضاها عن الإنجازات المهمة التي حقّقتها، وباركت مهمته "الجذرية والسريعة من أجل زيادة تسليح جيش الدفاع، ومن أجل تجنيد خبراء عسكريين، ومن أجل إقامة كتائب قطرية لشبيبة يهودية مقاتلة ووطنية على قاعدة عريضة من الأحزاب والتيارات الديمقراطية كلها، وتدريبها السريع، تمهيدًا لاشتراكها في جبهة حرب الاستقلال"[253].

احتلال اللد والرملة

كانت مدينتا اللد والرملة وقضاؤهما ضمن المنطقة المخصّصة لإقامة الدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم. وقد بلغ عدد سكان المدينتين عشية احتلالهما نحو 70 ألفًا، من جراء لجوء أكثر من 30 ألف فلسطيني إليهما من يافا ومنطقتها، ومن القرى العربية المجاورة لهما.

أولى دافيد بن غوريون أهمية كبيرة للغاية لاحتلال مدينتي اللد والرملة، والسهل الداخلي الفلسطيني الممتد من رأس العين شمالًا وحتى قرية اللطرون جنوبًا. ووضع الجيش الإسرائيلي خطة عسكرية طموحة لاحتلال السهل الداخلي كله والتوسّع شرقًا واحتلال مدينة رام الله، أطلق عليها عملية داني، مع بدء الجولة الثانية من الحرب في 9 تموز/يوليو 1948، وعيّن بن غوريون في 7 تموز/يوليو 1948 يغآل ألون قائدًا عسكريًا لهذه العملية. أعدّ الجيش قوة عسكرية كبيرة جدًا لتنفيذ هذه العملية العسكرية، شملت الدبابات والمجنزرات والمدفعية، شارك فيها 9000 جنديٍ، وتشكّلت من لوائين وأربع كتائب، كانت إحداها تابعة لقوات البلماح[254].

كانت عملية داني أكبر العمليات التي ينفّذها الجيش الإسرائيلي في تلك الفترة، من حيث عدد الجنود المشاركين فيها وكمية الأسلحة الحديثة ونوعيتها، والتي وصلت من تشيكوسلوفاكيا. وقد كانت القوة العسكرية الإسرائيلية أكبر عددًا وأفضل عتادًا من القوة العربية المدافعة عن المنطقة التي كان يعتزم الجيش الإسرائيلي احتلالها[255]. بدأت العملية في 10 تموز/يوليو 1948، فشنّت

الطائرات الإسرائيلية التي وصلت حديثًا من تشيكوسلوفاكيا الغارات المتتالية على مدينتي اللد والرملة، واحتل الجيش المدينتين خلال أقل من ثلاثة أيام، وارتكب مجزرة مروّعة في مدينة اللد، بلغ عدد ضحاياها 426 من الرجال والنساء والأطفال[256]، فقتلت قوات الاحتلال 176 فلسطينيًا بدمٍ باردٍ في جامع دهمش، وقُتل في شوارع المدينة وفي بيوتها 250 فلسطينيًا، من بينهم نساء وأطفال[257]. ونفّذت طرد سكان المدينتين الذين كان يبلغ عددهم نحو 70 ألف نسمة، باستثناء 700 شخص في اللد، و500 شخص في الرملة. وكذلك طردت جميع الفلسطينيين من القرى الفلسطينية التي احتلتها في قضائي اللد (29 قرية) والرملة (31 قرية)[258].

أيّد الحزب الشيوعي الإسرائيلي احتلال مدينتي اللد والرملة وقراهما ومعظم أراضي السهل الداخلي الفلسطيني بشكل واضح، وذلك على الرغم من وقوعها في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم[259]. وتجاهل الحزب، في الوقت نفسه، المجزرة التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في اللد، منسجمًا بذلك مع موقفه الثابت في تجاهل جميع المجازر التي ارتُكبت في حرب 1948، على الرغم من أخبار هذه المجزرة المروّعة التي كانت معروفة حينئذ. ونفى الحزب كذلك أن يكون الجيش الإسرائيلي قد طرد الفلسطينيين من اللد والرملة وقراهما، وتبنّى الرواية الرسمية في ما يخصّ مصير سكان المدينتين وقضائيهما. وفي سياق تبنّيه الرواية الإسرائيلية الرسمية لما حدث في اللد، نشرت صحيفة كول هعام، في 29 تموز/يوليو 1948، أي بعد أسبوعين من احتلالها، تقريرًا عن الوضع في المدينة، جاء فيه أن مكتب المعلومات للحكومة الإسرائيلية ذكر أن وزير الأقليات، بخور شيطريت، زار قبل يومين مدينة اللد ورافقه مدير عام مكتبه، غاد مخنيس. وأشار التقرير إلى أن الوزير ومدير مكتبه اجتمعا مع الحاكم العسكري لمدينة اللد الذي أطلعهما على أوضاع سكان اللد أثناء وبعد احتلالها، والذي أخبرهما أيضًا "أن أغلبية سكان اللد غادروها قبل وأثناء وبعد احتلالها، وبقي فقط 700 نسمة"[260].

وذكر التقرير أن معظم سكان مدينة اللد متجمعون في قسم من المدينة، في حين يسكن نحو 100 منهم في حيّ محطة القطار. وادّعى التقرير أن الوضع الصحي في المدينة جيد إلى حدٍ ما، وأنه يوجد مستشفى في الكنيسة يعمل فيه طبيبان، وأن شبكة المياه في المدينة تضرّرت على أيدي العرب أثناء انسحابهم، وأن الحاكم العسكري للمدينة يتابع إصلاحها. وأضاف التقرير أن سكان اللد العرب، وكذلك العرب الذين لجؤوا إليها أثناء الحرب، "هربوا بسرعة بسبب الخوف فقط". وذكر التقرير أن السكان العرب الذين بقوا في المدينة أعربوا عن رضاهم من الإجراءات التي اتّخذها قائد المدينة الذي "يهتم بإسكانهم وتزويدهم بالمياه وبمعالجة وضعهم الاقتصادي"، وأن كل ما يريدونه هو السلام فحسب. وأضاف التقرير أن الوزير تفقّد المدينة ووضع السكان

العرب فيها، وهي تبدو مدينة متروكة، وأنه أصدر تعليماته بالاهتمام بأمن سكان المدينة الذين بقوا فيها، وكذلك الاهتمام باقتصادهم وصحتهم، والسماح لهم في عيش حياة عادية[261].

كان الحزب، قبل ذلك بفترة وجيزة، قد تجاهل مجزرة الطنطورة التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي، وتبنّى الرواية الإسرائيلية في شأنها؛ ففي 22 أيار/مايو 1948، احتل الجيش الإسرائيلي قرية الطنطورة التي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، إلى الجنوب من مدينة حيفا، والتي بلغ عدد سكانها حينئذ 1500 نسمة. وقد ارتكبت قوات الاحتلال فيها مجزرة أودت بحياة 230 فلسطينيًا[262]. وذكرت صحيفة كول هعام تحت عنوان "أُخذ مئات الأسرى في الطنطورة"، أن "قرية الطنطورة الواقعة بالقرب من زخرون يعقوب أصبحت في الفترة الأخيرة قاعدة بحرية للعدو الذي كان يهرّب عن طريقها أسلحة ورجالًا إلى أرض إسرائيل. وقد طوّقت قواتنا هذه الليلة القرية واحتلتها بعد معركة قاسية، وأسر مئات من رجال العصابات ووقع بأيدينا سلاح كثير"[263]. ولم يتحدّث الحزب عن المجزرة الكبيرة التي ارتكبتها قوات الاحتلال في الطنطورة، ولا عن طردها جميع سكانها الفلسطينيين منها.

منذ بدء الجولة الثانية من الحرب، في 9 تموز/يوليو 1948، اتّخذ الحزب موقفًا مؤيدًا لتوسيع حدود الدولة اليهودية في المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم. وادّعى مئير فلنر، في اجتماع شعبي عقده في تل أبيب في اليوم الأول من الجولة الثانية من الحرب، أن "هذه الحرب هي حرب تحرير"، وأكّد أن السلاح الذي حصل عليه الجيش هو الذي يحدّد مصير الحرب، وطالب القيادة الإسرائيلية بعدم المهادنة وعدم التساوق مع الاستعمار، والاستمرار في الحرب وعدم قبول وقف إطلاق النار[264].

وفي 14 تموز/يوليو 1948، نشر مردخاي أبرهامي مقالًا في كول هعام حمل عنوان "الاحتلالات الجديدة لجيش الدفاع"، عبّر فيه عن موقف الحزب المؤيّد لتوسيع حدود إسرائيل في المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية، وكذلك عبّر عن المزاج السائد في الحزب الذي كان يدفع بكل قوة نحو التوسّع. استهلّ أبرهامي مقاله بقوله إن الجيش الإسرائيلي احتل في الأيام الأخيرة مدينتي اللد والرملة، ومجدل صادق وقرى كثيرة أخرى، ولم يشر إلى طرد سكانها الفلسطينيين وارتكاب العديد من المجازر، وخاصة مجزرة اللد. وأضاف الكاتب أنه "في ضوء هذه الانتصارات، فإن النقاش ينتهي من تلقاء نفسه في شأن سياسة حكومتنا المؤقتة التي خضعت للمخرب الأنكلو - أميركي، الكونت برنادوت، ووافقت عمليًا على تقليص الحدود"، لأنها لم تعطِ جوابًا بعد على اقتراح برنادوت بسلخ النقب عن دولة إسرائيل، وفق ما ذهب إليه الكاتب[265]. وأضاف: "أجاب جيش الدفاع الإسرائيلي الإجابة الأكثر ملاءمة

على مرتزقة الإمبريالية الغزاة، وعلى اقتراحات برنادوت، مبعوث ترومان وييفن، وعلى سياسة حكومة إسرائيل الخارجية الفاسدة" بهذه الانتصارات التي حقّقها في الأيام الأخيرة. وأضاف أن الإرادة الصادقة والسلاح الثقيل الجديد هما اللذان مكّنا الجيش الإسرائيلي من الانتصار في مراكز عربية كبيرة، مثل اللد والرملة. واستطرد أبرهامي: "ليكن مباركًا السلاح ومرسلوه، أصدقاء إسرائيل المستقلة ذات السيادة، دول الديمقراطية الشعبية التي اعترفت بنا من دون شرط، وقدّمت، وما انفكت تقدّم، لنا مساعدات كثيرة من السلاح الخفيف والسلاح الثقيل المطلوب لنا في الجبهات وفي العمق".
ولم يكتفِ الكاتب بالدعوة إلى مباركة السلاح ومرسليه، والذي مكّن الجيش الإسرائيلي من احتلال مدينتي اللد والرملة ومناطق واسعة أخرى وطرد سكانها الفلسطينيين، وارتكاب مجزرة مروّعة في مدينة اللد، وإنما أضاف: "ليبارَك الذين استعملوا هذا السلاح واستغلّوه؛ الجنود الأبطال في عملهم، في تصفية أوكار الغزاة والعصابات"[(266)].
واعتقد الكاتب أن هذه الانتصارات الكبيرة للجيش الإسرائيلي ودخوله إلى مناطق ومدن عربية مأهولة، يثير مجددًا مسألة الحكم العسكري الإسرائيلي وسياسته تجاه العرب الذين تمكّنوا من البقاء في المناطق التي احتلها الجيش الإسرائيلي. وأشار إلى سياسة الحكم العسكري الإسرائيلي السيئة في الأشهر الأخيرة تجاه القلة الضئيلة من العرب الذين تمكّنوا من البقاء في المناطق التي احتلها الجيش الإسرائيلي. وبرّأ الكاتب الجيش الإسرائيلي من تهجير العرب، وعاد وكرّر ادّعاء الحزب أن الجيش البريطاني وضباطه مسؤولون عن تهجير العرب الفلسطينيين من المناطق التي احتلها الجيش الإسرائيلي. ودعا الكاتب إلى ضرورة تغيير سياسة الحكم العسكري ووسائله في المناطق العربية التي احتلها، وذلك "كي يشكّل الاحتلال تحريرًا للسكان العرب المسالمين من نير عصابات المشاغبين والغزاة الغرباء". وأضاف الكاتب: "احتلال الرملة واللد من دون ضحايا، جاء بسبب الشلل الكامل الذي ساد في هاتين المدينتين. وإن هذا الاحتلال لمراكز التخطيط وقيادة العصابات يثبت عدم رغبة السكان العرب الفلسطينيين بالاستمرار في الحرب الدموية لصالح عملاء الإمبريالية"[(267)].
وضّح مئير فلنر، مرة أخرى، موقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي المؤيد لاحتلال مناطق واسعة تابعة للدولة العربية وفق قرار التقسيم في الجولة الثانية من الحرب، حين ذكر في مقال له نُشر في 16 تموز/يوليو 1948 أنه "مرّ أسبوع منذ تجدّد المعارك التي بادرت إليها دول الجامعة العربية، وحقّق جيش الدفاع الإسرائيلي فيها انتصارات كبيرة للغاية؛ فانهارت كليةً الجبهة الوسطى: اللد والرملة ومجدل صادق وولهلما والعباسية ورأس العين، ومواقع كثيرة أخرى"[(268)]. وأضاف فلنر: "لقد كسر جيشنا هجوم [فوزي] القاوقجي في جبهة الشجرة، وألحق هزيمة بالجيش المصري في نغبا بالنقب. وبدأت القدس في

كسر الحصار الذي عانته إبان الحرب وأثناء الهدنة، وجرى احتلال قرى عربية أخرى لها أهمية استراتيجية في منطقة القدس"[269]. وأكّد فلنر أن الهجمات التي كان يشنّها الجيش السوري في الشمال لا تغيّر الصورة العامة، وهي أنه في الأسبوع الأول من انتهاء وقف إطلاق النار "انتقلت المبادرة إلى جيش الدفاع الإسرائيلي وتغيّر الوضع العسكري بشكل جدي ضدّ العدو"[270]. وعبّر فلنر عن قناعته بأن هذه الانتصارات العسكرية التي حقّقها الجيش الإسرائيلي جاءت "نتيجة لتجنيد طاقاتنا الذاتية ولروح التضحية عند شبابنا، ونتيجة للمساعدات الكبيرة التي نحصل عليها من أصدقائنا الصادقين والمخلصين في أوروبا الشرقية". وأكّد فلنر في مقاله أنه يجب تطوير علاقات إسرائيل مع دول أوروبا الشرقية والحفاظ عليها، "مثل حفاظنا على بؤبؤ العين"، وأن إسرائيل بحاجة إلى عقد حلف مع دول أوروبا الشرقية، مثل "حاجة النبتة إلى الماء"، وأنه من بدون هذا الحلف، فإن الدول الإمبريالية ستنتقص من استقلالها وتقيم قواعد عسكرية فيها وتقيّد اقتصادها. وعدّ فلنر أن هذه هي المشكلة المركزية التي تواجهها إسرائيل، وليس التوصّل إلى وقف إطلاق النار أو عدمه مع الدول العربية. وأكّد فلنر وقوف الحزب ضدّ مقترحات برنادوت جملةً وتفصيلًا، وعدّ أن هذه المقترحات ما هي إلّا غطاء دبلوماسيًا لإخراج مناطق ومدن أساسية من دولة إسرائيل. وأضاف فلنر أن بريطانيا والولايات المتحدة حاولتا "تليين موقف دولة إسرائيل" بواسطة "هجوم الغزاة العرب" في الجولة الثانية من القتال، ولكنّ هذه المحاولة فشلت، ولذلك فإنهما تحاولان، وفق فلنر، تحقيق ما تريدانه "بواسطة الابتزاز والضغط السياسي". واستخلص فلنر أن "انتصاراتنا العسكرية والغليان في أوساط الجماهير العربية ضدّ الحرب والدعم الكبير الذي نحصل عليه من الاتحاد السوفياتي ودول الديمقراطية الشعبية، ذلك كله يمكّن إسرائيل من إحراز الانتصار الكامل". وأكّد أن أيّ محاولة من الحكومة للخضوع للضغط الأنكلو - أميركي، في ما يخصّ ميناء حيفا والهجرة اليهودية والنقب، فإنها ستكون "إضاعة لإنجازاتنا العسكرية والسياسية"[271].

واكب الحزب الشيوعي الإسرائيلي، خلال الجولة الثانية من القتال، استمرار التوسّع في المناطق التابعة للدولة العربية وفق قرار التقسيم وفي القدس ومنطقتها وأيّده. ودأبت صحيفة كول هعام على متابعة التوسّع الإسرائيلي، ونقلت بروح مؤيدة وبحماسة ملحوظة احتلال الجيش للمدن والبلدات والقرى الفلسطينية الواحدة تلو الأخرى، والواقعة في المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم. وفي هذا السياق، ذكرت كول هعام تحت عنوان "الجيش الإسرائيلي في الناصرة"، أن الجيش احتل الناصرة ومنطقتها في ليلة 17 تموز/يوليو 1948، وبذلك أصبحت الناصرة وحيفا تحت حكمه[272].

وفي هذه الأجواء من توسيع إسرائيل لحدودها في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفي القدس، عقد الحزب اجتماعين شعبيين في تل أبيب وحيفا، وألقى فيهما شموئيل ميكونِس خطابين، تحدث فيهما عن جولته في دول أوروبا الشرقية، وعن تجنيده مختلف أشكال الدعم لخدمة جبهة الحرب التي تخوضها إسرائيل. وقد حضر الاجتماعين كثير من الجنود من أعضاء الحزب، وفق ما ذكرت كول هعام. وقد اتُّخذت في هذين المؤتمرين الشعبيين قرارات عدة، قرأها أحد الجنود من أعضاء الحزب في ختام المؤتمر الشعبي الذي عُقد في تل أبيب[273]، ونصّت على ما يلي: 1 - يشيد الاجتماع بالانتصارات التي حقّقها جيش الدفاع الإسرائيلي لضمان استقلالنا القومي، ويحيّي ويشجع الجنود والضباط في جميع جبهات القتال. ويعبّر الاجتماع عن تقديره وشكره لمعسكر السلام والديمقراطية، بقيادة الاتحاد السوفياتي ودول الديمقراطية الشعبية، على مساعدته السياسية والأخلاقية والمادية لحرب استقلالنا القومي.

2 - يحيّي الاجتماع الشباب اليهودي في دول أوروبا الذي يتجنّد كي ينضم في أقرب وقت إلى جبهة حرب الشعب.

3 - يؤكد الاجتماع موقفه المعارض لأيّ محاولة لإيجاد حلٍ وسط، ولأي محاولة للتساوق مع الدول الإمبريالية الأنكلو - أميركية من خلال عميلها برنادوت، والتي تسعى إلى تقليص حدودنا وتخريب استقلالنا وسيادة الدولة.

4 - يطالب الاجتماع بتعزيز الحكومة المؤقتة بواسطة زيادة ممثّلي العمال، وضمّ ممثّل عن الحزب الشيوعي الإسرائيلي إليها، من أجل تعزيز الوحدة الوطنية الديمقراطية وضمان الاستقلال الكامل، وتحقيق التجنيد الكامل والشامل في البلاد وخارجها.

5 - يشيد الاجتماع بالنضال البطولي الذي تخوضه القوى التقدّمية العربية، وفي مقدمتها الشيوعيون العرب، ضدّ الجيوش العربية الغازية[274].

وبينما كانت كول هعام تشيد بانتصارات الجيش الإسرائيلي وتوسيعه لحدود الدولة اليهودية، نشرت مقالًا لمراسلها حمل عنوان "بجرأة وحماسة يسير جنودنا إلى الأمام"، عالج احتلال مدينة الرملة. وذكر المراسل أن مدينة الرملة استسلمت من دون أي شرط، وأضاف أن "التجديد في الهجوم على اللد والرملة كان استعمال القوات المدرّعة التي ظهرت هنا بأعداد كبيرة جدًا للمرة الأولى، وللمرة الأولى أيضًا كان هناك تنسيق بين أسلحة الجيش المختلفة؛ الدبابات والمدفعية والطائرات التي فتحت الطريق لجيش المشاة للتقدّم"[275]. وأضاف مراسل كول هعام: "أنا أسير على طول طريق النصر، وألتقي بوجوه مبتهجة وهي تسير في الشارع الرئيس لمدينة الرملة، يظهر فيها السرور والمرح والفرح والافتخار بالنصر". وأضاف أنه تحدّث مع أحد

الضباط الذين شاركوا في احتلال الرملة، فقال له الضابط: "أطلقت مدفعيتنا ودباباتنا وابلًا من النيران القوية التي لم يرَها العرب من قبل". وأضاف الضابط أن معركة احتلال الرملة قد انتهت، وأن السيارات العسكرية والمجنزرات تجوب الشارع الرئيس لمدينة الرملة الضاج بالأناشيد التي تخرج من حناجر الجنود الإسرائيليين المبتهجين بالنصر. وذكر المراسل: "إن جنودنا يسيرون بجرأة وحماسة إلى الأمام لتحقيق الهدف النهائي الواحد في الميدانين العسكري والسياسي، وهو القضاء على الغزاة وتحرير البلاد من أعدائها"[276].

ونشرت كول هعام في العدد نفسه تقريرًا لمراسلها العسكري تحت عنوان "الحرب على مرج أيالون"، مجّد فيه الانتصارات العسكرية التي حقّقها الجيش الإسرائيلي وتوسيعه لحدود إسرائيل على حساب الدولة العربية وفق قرار التقسيم. وذكر التقرير أن المعارك في هذا المرج هي جزء من عملية عسكرية كبيرة، كانت بدايتها احتلال الجيش الإسرائيلي القرى العربية في المنطقة الشرقية من مدينتي اللد والرملة، والتي باتت تشكّل قاعدة انطلاق "لتقدّم قواتنا إلى عمق مرج أيالون، حتى تلال منطقة اللطرون"[277].

ولاحظ مراسل كول هعام أنه "في حين تغمر جماهير اللاجئين العرب الطرقات، مثل سيل عارم لا يتوقف، وتجرف معها سكان القرى التي تمرّ فيها، فإن قوات البلماح تستمر في تقدّمها" وتحتل القرية تلو الأخرى. وأضاف أن "عملية الاحتلال هذه، هي إحدى العمليات المثالية لجيشنا في هذه الحرب، فقد اندمجت بشكل واسع في هذه العملية العسكرية العظيمة التجربة القتالية الكبيرة لقوات البلماح ومناورات سلاح القوات المحمولة ومساندة المدفعية". ثم قال المراسل إنه لأمر جميل متابعة تقدّم الجيش الإسرائيلي في احتلال هذه المنطقة، ووصف بابتهاجٍ احتلال الجيش الإسرائيلي للقرى والبلدات العربية الواحدة تلو الأخرى، من قرية بيت جيز، مرورًا بقرى القباب وعنابة وجمزو وبيت نبالا، وحتى دير طريف وقولة وبرفيليا[278]. وأضاف أن الجيش الإسرائيلي تقدّم مثل سيل عارم لا يمكن وقفه من السهل الداخلي وحتى مداخل جبال القدس، فحقّق انتصارًا مهمًا للغاية، من الصعب تقييمه لكثرة التفاصيل، باحتلاله منطقة مساحتها 350 كيلومترًا مربعًا في الجبهة الوسطى. وأضاف: "إذا ما ذكرنا المدن والبلدات ومفارق الطرق التي احتُلت، فإننا ندرك الأهمية الاستراتيجية والسياسية الناجمة عن هذه الانتصارات؛ فمن وادي الصرار إلى الوادي الكبير، ومن اللد والرملة إلى اللطرون، ومن صرعة وصوبا في الجنوب وحتى رأس العين في الشمال، باتت الآن تمتد منطقة يهودية متّصلة"، أي إن هذه المنطقة التي احتُلت أصبحت يهودية نتيجة طرد الجيش الإسرائيلي لسكانها الفلسطينيين. وعبّر مراسل كول هعام عن قناعته بأنه "في

الأيام الستة الأخيرة، أظهر جيشنا قوة وقدرة لا يمكن وصفهما. وبفضل مبادرته الهجومية والمرونة والتكتيك العملياتي، وبفضل بطولة جيش الدفاع الإسرائيلي وإخلاصه بلا حدود، وصلنا إلى هذه الأرض"[279].

من الملاحظ أن الحزب الشيوعي كان يؤيّد علنًا وبوضوح توسيع حدود الدولة اليهودية على حساب المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار الأمم المتحدة، وعلى حساب القدس. وكان يلتقي في موقفه هذا مع موقف دافيد بن غوريون الذي كان يقود الييشوف، ويقود عملية توسيع حدود إسرائيل في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفي منطقة القدس التي تقع تحت الوصاية الدولية وفق قرار التقسيم، ويقود عملية تطهيرهما من السكان العرب. وفي هذا السياق، نشرت صحيفة كول هعام خطاب بن غوريون الذي ألقاه يوم 27 تموز/يوليو 1948، في العرض العسكري في تل أبيب بمناسبة "يوم الدولة"[280].

ووضّح بن غوريون في خطابه سياسة إسرائيل التوسّعية في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، وفي منطقة القدس. فذكرت صحيفة كول هعام أن بن غوريون تحدّث في خطابه عن ثيودور هرتسل، وقدّم عرضًا تاريخيًا عن "العلاقة بين الشعب اليهودي وأرض إسرائيل"[281]. ثم تحدّث بن غوريون في خطابه، وفق ما ذكرت كول هعام، عن الوضع الراهن، فقال إن الحرب لم تنتهِ بعد، وإن الجيش الإسرائيلي انتصر في المعارك التي خاضها حتى الآن، ولم يتمكّن من احتلال الأغلبية العظمى من المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية وفق قرار التقسيم فحسب، وإنما احتل مناطق واسعة خارج المنطقة المخصصة لها. وأشار بن غوريون في هذا السياق إلى أن "الهاغاناه، ومن ثم الجيش الإسرائيلي، استوليا على جميع الأحياء العربية والقرى في القدس الجديدة، روميما ولفتا والشيخ بدر والقطمون والبقعة والمصرارة وأحياء أخرى، وأن القدس أصبحت، باستثناء المدينة القديمة، مدينة عبرية للمرة الأولى منذ خراب البيت الثاني".

وأضاف بن غوريون: "لقد احتللنا صفد وطبرية وحيفا وعكا، ووصل جيشنا إلى حدود لبنان في الجليل الغربي بعدما استولينا على الزيب والبصة ونقاط أخرى في الطريق". وأضاف: "احتللنا القسطل وبيت محسير وصوبا وسريس والمالحة وعين كارم وبيت جيز وبيت سوسين وصرعة، وكذلك يبنا والقبيبة والمسمية وصميل وزيتا. واحتللنا يافا وضواحيها؛ سلمة ويازور وبيت دجن والسافرية وكفر عانة والعباسية. وكذلك احتللنا اللد والرملة وبيت نبالا ورأس العين والقباب وبرفيليا وبير معين والبرج ومطار اللد ومحطة قطار اللد، ووصلنا إلى موديعين، موطن الحشمونائيم. واحتللنا في مرج ابن عامر: نورس

والمزار وبيسان والجلبوع. وكذلك احتللنا شفاعمرو وصفورية والناصرة وكفر كنا ولوبيا وحطين في الجليل المركزي. وكذلك احتللنا عين حوض وجبع والطيرة في الطريق إلى حيفا. وقصف سلاحنا الجوي عمّان ودمشق والقاهرة". وشدّد بن غوريون في خطابه أن الأمر الأهم هو تحقيق الانتصار في المعركة الأخيرة[282].

استعرضت كول هعام خطاب بن غوريون بروح مؤيّدة، باستثناء قضية واحدة؛ إذ

اختتمت تقريرها عن خطاب بن غوريون بقولها: استهجن كثيرون من الذين استمعوا إلى خطاب بن غوريون من عدم ذكره "المساعدة الكبيرة التي قدّمها ويقدّمها الاتحاد السوفياتي ودول الديمقراطية الشعبية لدولة إسرائيل في حرب استقلالها"[283].

ميكونِس: "لقد حررنا القدس وستبقى لنا" هي وجميع المناطق التي احتلها الجيش الإسرائيلي

في 18 تموز/يوليو 1948، اتُفق على وقف إطلاق النار بين الدول العربية وإسرائيل. وقد عارض الحزب الشيوعي وقف إطلاق النار، وانتقد الحكومة لقبولها إياه، في الوقت الذي كان فيه الجيش يتقدّم ويحتل المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، ويتوسّع خارج حدود الدولة اليهودية في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم.

وفي خطابه في 29 تموز/يوليو 1948 في مجلس الدولة، أوضح شموئيل ميكونِس أسباب معارضة حزبه وقف إطلاق النار، فقال: "إننا ننتقد الحكومة لأنها تسرّعت في قبول وقف إطلاق النار من دون شروط، ومن دون تحديد موعد لإنهائه"[284]. وأكّد ميكونِس أن قرار الحكومة قبول وقف إطلاق النار لم يكن صائبًا، "في ظلّ وضعنا في الجبهات والقوة التي جمعناها والانتصارات التي حقّقناها بالدم وبالحرب البطولية لخيرة أبنائنا وبناتنا، وبمساعدة الشعب اليهودي كله، والاتحاد السوفياتي والدول الديمقراطية الشعبية"، فقبول وقف إطلاق النار، وفق ما ذكره ميكونِس، من دون شروط ومن دون تحديد موعد لإنهائه، ومن دون أن تحدّد إسرائيل ماذا تريد مقابله، "يمكّن العدو من زيادة قوّته، ومن البحث عن طرق لإفشال استقلالنا وسيادتنا القومية". وانتقد ميكونِس بشدة الحكومة لأنها لم تطالب بعودة "الغزاة" العرب إلى بلادهم شرطًا لموافقتها على وقف إطلاق النار، ولم تطالب بفرض عقوبات على "الدول العربية الغازية". وأضاف أنه ما كان ينبغي على الحكومة الإسرائيلية رفض شروط الدول العربية لوقف إطلاق النار كلاميًا فحسب، وخاصة مطالبتها بوقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، وإنما كان يجب مرافقة هذا الرفض بالعمل و"إدخال عشرات آلاف من الشباب اليهودي إلى شواطئ البلاد"[285].

واستطرد ميكونِس قائلًا إن الحكومة تدرك أن أميركا وبريطانيا تسعيان إلى إيجاد "حلٍ نهائي" من شأنه أن يشكّل خطرًا على مستقبل إسرائيل السياسي، وتسعيان كذلك إلى تقليص حدود إسرائيل وسيادتها وانتزاع القدس منها.
وأعرب ميكونِس عن معارضته لنزع السلاح من اليهود في القدس ورفضه تدويلها، متذرّعًا بأن تدويلها يعني تسليمها إلى أميركا وبريطانيا. ووضّح موقفه بالنسبة لمصير القدس بقوله: "لقد حرّرنا القدس وستبقى لنا"، وأكّد أنه "علينا القول للشعب اليهودي وللعالم كله: القدس لنا وستبقى لنا". وأضاف أن بريطانيا وأميركا تريدان القدس مقدمةً لانتزاع ميناء حيفا ولانتزاع النقب من الدولة اليهودية تحت غطاء تبادل الأراضي. ثم قال إن الحزب الشيوعي الإسرائيلي يطالب "بتنفيذ قرار الأمم المتحدة، مع تغييرات معيّنة نابعة من الوضع الجديد الذي صنعناه".
ووضّح ميكونِس أنه وفق هذه التغييرات المعيّنة، "يجب أن نحافظ على الحدود التي حقّقناها، لأن حدود قرار 29 [تشرين الثاني] نوفمبر [1947] كانت حلًا وسطًا، ونحن كنا على استعداد أن ننفّذ هذا القرار بكامله، من دون حرب وسفك دماء. واليوم، بعدما فرضوا علينا الحرب، فإننا نطالب بثمن هذه الحرب"[286]. إلى جانب ذلك، انتقد ميكونِس لاحقًا الحكومة الإسرائيلية لعدم "تحريرها" أراضٍ تقع خارج حدود الدولة اليهودية وفق قرار التقسيم؛ إذ انتقد ميكونِس بن غوريون، رئيس الحكومة الإسرائيلية، لعدم "تحريره البلدة القديمة [العربية]، على الرغم من توفر جميع الشروط اللازمة لذلك"، وفق ما ذكره، وادّعى أن عدم "تحرير" القدس العربية كان نتيجة لخضوع الحكومة الإسرائيلية لضغوط بريطانيا[287]. وكذلك انتقد ميكونِس بن غوريون لعدم "تحرير قطاع غزة - رفح بسبب خضوع الحكومة المؤقتة لإنذار سفير الولايات المتحدة في تل أبيب"، وفق قوله[288].
من جانبه أكّد مئير فلنر في مقال له نُشر في 6 آب/أغسطس 1948 على ضرورة أن تستمر إسرائيل في الحفاظ على القدس، باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من إسرائيل، ودعا إلى رفض اقتراح برنادوت نزع السلاح من القدس ووضعها تحت الوصاية الدولية، وأكّد أنه "إذا استجابت الحكومة الإسرائيلية لاقتراح برنادوت، فإنها تخون الوطن والشعب"[289]. وعاد فلنر بعد أيام عدة مؤكدًا في مقالٍ آخر موقف حزبه المعارض لنزع السلاح من اليهود في القدس وتنفيذ قرار الأمم المتحدة المطالِب بتدويلها، وعدّ أن تنفيذه يخدم الإمبريالية[290]. أما في ما يخصّ مسألة اللاجئين الفلسطينيين الذين ازداد عددهم بعد تهجير الجيش الإسرائيلي مزيدًا من الفلسطينيين في الجولة الثانية من الحرب، وخاصة من اللد والرملة ومحيطهما، ذكر فلنر أن البريطانيين والدول العربية هم "الذين حرّضوا الفلسطينيين على الهرب، وهم الذين استقبلوهم في البداية بشكل جيد، ولكنهم تركوهم في ما بعد".

واستطرد فلنر قائلًا إن بريطانيا والدول العربية هي المسؤولة عن خلق مشكلة اللاجئين العرب، ولكنها الآن تحاول الظهور وكأنها تدافع عن اللاجئين العرب. واتهم فلنر بريطانيا والدول العربية بأنها لا تهتم حقًا بقضية اللاجئين العرب، وإنما تستعملها ذريعةً للتدخّل في الشؤون الداخلية الإسرائيلية.
وأضاف أن هذا الأمر "لا يعني ألّا نفكر في حلّ مسألة اللاجئين بشكل مستقل؛ فنحن نعتقد أن من واجب الحكومة الإسرائيلية الإعلان عن حقّ كل مواطن إسرائيلي بالعودة إلى مكان سكنه، وهذا لا يعني أن بإمكانهم العودة حالًا، فمن الممكن التوصّل إلى حلّ هذه المسألة بربطها بالتوصّل إلى حلّ مسألة السلام؛ فنحن نذكر كيف أعلن قادة الحكومة في بداية الحرب عن حق اللاجئين العرب في العودة، ونحن نؤيد استمرار هذه السياسة"[(291)].
في الوقت الذي لم يدعُ فلنر إلى عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وتحدّث عن حقّهم في العودة، وربط تنفيذ هذا الحقّ بالتوصّل إلى حلّ سلام شامل للقضية الفلسطينية، فإنه تعامل مع الهجرة اليهودية إلى إسرائيل بشكل مختلف تمامًا؛ إذ أكّد فلنر في خطاب له في مجلس الهستدروت، في 11 آب/أغسطس 1948، أن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل هي مطلب الساعة، وينبغي ألّا تكون أي قيود عليها[(292)]. وربط فلنر بين الهجرة اليهودية إلى إسرائيل والحرب، فقال: "إن القضية المركزية في الوقت الراهن هي الانتصار في الحرب، وينبغي تنظيم الهجرة اليهودية وفق متطلّبات الحرب الأخرى، مثل جلب السلاح والعتاد. إن الهجرة اليهودية المقاتلة هي مطلب الساعة".
وأضاف فلنر أن قضية الهجرة اليهودية هي إحدى مظاهر سيادة الدولة، وينبغي معارضة أي رقابة أجنبية عليها؛ فالهجرة اليهودية يجب أن تكون بأيدي المؤسسات القانونية لدولة إسرائيل. وانتقد فلنر موافقة الحكومة الإسرائيلية على شروط وقف إطلاق النار التي وضعت قيودًا على الهجرة اليهودية، وانتقد كذلك بعض الأصوات في إسرائيل التي كانت تهاجم دول أوروبا الشرقية في شأن سياستها تجاه الهجرة اليهودية، فقال: "إن هذه الأقوال ما هي إلّا إساءات ضدّ حكومات صديقة تبذل ما في وسعها لمساعدتنا بكل الوسائل في حربنا، بما في ذلك في هجرة الشباب للمشاركة في الحرب"[(293)].
ومن جانبه أكّد إلياهو غوجانسكي في حديث له مع وكالة الأنباء البولندية، أثناء جولته في بولندا ودول أوروبا الشرقية لتجنيد أشكال الدعم المختلفة لإسرائيل، وفي مقدمتها الهجرة اليهودية، على أهمية الهجرة اليهودية. وقال غوجانسكي: "إن عمق إسرائيل الطبيعي هو اليهود في العالم"، وإن الهجرة اليهودية إلى إسرائيل تشكّل عاملًا مهمًا في الدفاع عن إسرائيل[(294)]. وأضاف غوجانسكي أن الحزب الشيوعي، مع الأحزاب الإسرائيلية الديمقراطية الأخرى، يجنّد جميع القوى في إسرائيل، وكل ما يمكن الحصول عليه من دعم من خارج البلاد من أجل جبهة الحرب. وأضاف أن الأغلبية العظمى من أعضاء

الحزب تقاتل في صفوف "جيش الدفاع الإسرائيلي" بإخلاص وبطولة، وإن أربعة من سكرتارية شبية الحزب المكوّنة من خمسة أعضاء جُرحوا في ميدان القتال، وأن رفاقًا كثيرين في الحزب من الذين شاركوا في المعارك حصلوا على رتب عسكرية رفيعة في الجيش. وأضاف غوجانسكي أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تصدر نشرة خاصة للجيش توزَّع بشكل واسع للجنود، وأن فرقة رون الفنيّة التابعة للحزب تظهر في جميع مناطق الجبهات ومعسكرات الجيش[295].

وخلال جولته في دول أوروبا الشرقية، التقى غوجانسكي مع القيادات اليهودية في تلك الدول، وحثّهم على العمل من أجل هجرة اليهود إلى إسرائيل. وقد ذكرت كول هعام، في 23 آب/أغسطس 1948، أن غوجانسكي زار العديد من تجمّعات اليهود في مدن رومانيا المختلفة، ودعاهم إلى الهجرة إلى إسرائيل والانضمام إلى القتال إلى جانبها، وأنه زار بوخارِست وألقى خطابًا في اجتماع شعبي فيها، شارك فيه نحو عشرة آلاف يهودي، دعا فيه إلى "انضمام الشبيبة اليهودية إلى حرب الاستقلال"[296].

الحزب الشيوعي يكثّف الهجوم ضدّ برنادوت

اعتقد الحزب الشيوعي الإسرائيلي أن نشاط الوسيط الدولي، الكونت برنادوت، يهدّد المكاسب التي حقّقها الجيش الإسرائيلي في جملة من القضايا، ولا سيما في قضية التوسّع في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، و"تطهيرها" من الفلسطينيين. وكان الحزب يرى أن هذا الخطر يتمثّل في إمكانية إرغام إسرائيل على الانسحاب من المناطق التابعة للدولة العربية التي احتلها الجيش الإسرائيلي، وإمكانية إجبارها على قبول عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى مدنهم وقراهم، من دون قيد أو شرط، وإمكانية تطبيق قرار الأمم المتحدة المتعلّق بالقدس، كذلك إمكانية تعديل حدود قرار التقسيم بتبادل النقب بالجليل الغربي ...إلخ.

وشنّ الحزب الشيوعي الإسرائيلي هجومًا متواصلًا على برنادوت منذ حزيران/يونيو 1948، وحتى اغتياله في 17 أيلول/سبتمبر 1948. وادّعى الحزب، في سياق هجومه الشديد على برنادوت، أنه (الحزب) الممثّل الأمين لمصالح إسرائيل العليا في كل ما يتعلّق بتحقيق أهدافها التوسّعية، وأرفق ذلك بنقد صريح ومبطّن للحكومة الإسرائيلية في عدم اتخاذها موقفًا حازمًا من برنادوت ومقترحاته، وشكّك في موقفها وفي خطورة أن تتساوق مع مقترحات برنادوت بتأثير من ضغط أميركا وبريطانيا. ففي 27 آب/أغسطس 1948، كتبت صحيفة كول هعام في افتتاحيتها أن الكونت برنادوت طالب بوقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل للمهاجرين اليهود ممن هم في سن الخدمة العسكرية، وأضافت: "إننا لا نستطيع أن نتخيّل أن توافق حكومة إسرائيل أو أن تتجرأ في

الموافقة على هذا الاقتراح المُهين الذي اقترحه برنادوت"[297]. وحاججت افتتاحية كول هعام بأنه يجب رفض مقترح برنادوت ليس لوجود ضرورة حيوية الآن للهجرة اليهودية المقاتلة فحسب، وإنما أيضًا لأنه يعتدي على سيادة دولة إسرائيل. وأضافت أن برنادوت، "العميل للإمبريالية، يريد الدوس على كرامتنا ويجعل الحكومة تبدو مضحكة أمام الرأي العام العالمي؛ فهذا القوّاد يريد أن يحدّد حجم الهجرة إلى إسرائيل، بدل أن تحدّد ذلك المؤسسات القانونية لدولة إسرائيل"[298]. وانتقدت الافتتاحية الحكومة بقولها إنه ليس كافيًا رفضها طلب برنادوت بوقف الهجرة لمن هم في سن التجنيد، وإنما يجب أن تكفّ عن الاعتراف به وسيطًا، كما كان الحزب الشيوعي قد طالب بذلك مرارًا وتكرارًا، معلّلًا أن وساطته تسبب ضررًا خطيرًا لإسرائيل[299].
حذّر مئير فلنر بدوره من مقترحات برنادوت، وعدّها مؤامرة جديدة لخدمة الإمبريالية، ودعا الحكومة الإسرائيلية إلى التصدّي لها. وأشار فلنر إلى أن الانتصارات العسكرية الكبيرة التي حقّقها الجيش الإسرائيلي خلقت أجواء من الثقة باستقلال إسرئيل في أوساط كثيرة، وأنه بات مضمونًا، وأشار إلى أن هذا الجو قاد إلى لامبالاة معيّنة، وإلى التراخي وعدم البقاء على أهبة الاستعداد لمواجهة الأخطار السياسية التي تتربّص بإسرائيل ويقودها برنادوت باسم الإمبريالية[300]. وفي 30 آب/أغسطس 1948، دعت افتتاحية كول هعام الحكومة الإسرائيلية إلى المطالبة بإقالة برنادوت ووقف المفاوضات "مع الغزاة العرب" وفرض عقوبات على الدول العربية[301].
في 17 أيلول/سبتمبر 1948، اغتالت مجموعة تابعة لمنظمة ليحي الإرهابية الكونت برنادوت في القدس. وفي الأسابيع التي تلت الاغتيال، ظلّ الحزب الشيوعي الإسرائيلي يهاجمه ويهاجم "البرنادوتية" ومقترحاته؛ ففي 19 أيلول/ سبتمبر 1948، كتبت افتتاحية كول هعام أن برنادوت سعى إلى تحقيق هدف الدول الاستعمارية القذر، وأن الأغلبية العظمى من الشعب تعدّه "عميلًا أنكلو - أميركيًا ومخرّبًا ضدّ استقلال إسرائيل، وفي الوقت نفسه، أغلبية الشعب لا ترى بالاغتيال الفردي أسلوبًا للتغلّب على العراقيل السياسية التي وضعها برنادوت في طريقنا"[302]. وهاجمت كول هعام في افتتاحيتها، في 21 أيلول/ سبتمبر 1948، "البرنادوتية" بحسب وصفها، وقالت إنها لا زالت قائمة بعد اغتيال برنادوت، وأكّدت رفضها اقتراحاته التي هدفت إلى التوصّل إلى حلّ سلميّ للقضية الفلسطينية[303].

ميكونِس يجتمع مع بن غوريون مجددًا

بعد أيام عدة من اغتيال برنادوت، اجتمع شموئيل ميكونِس مرتين مع دافيد بن غوريون، ولم تشر وسائل الإعلام التابعة للحزب الشيوعي الإسرائيلي إذا ما

كان ميكونِس وبن غوريون قد تطرّقا إلى مسألة اغتيال برنادوت. وذكرت صحيفة كول هعام أن ميكونِس أطلع بن غوريون على نشاط الحزب في أوروبا الشرقية، وعلى إرسال غوجانسكي إلى دولها لتجنيد مختلف أشكال المساعدة لإسرائيل، ولتسهيل "هجرة جماهير الشبيبة اليهودية إليها"[(304)].
وطلب ميكونِس إلى بن غوريون إشراك ممثّلي الحزب الشيوعي الإسرائيلي في مؤسسات ولجان استيعاب المهاجرين اليهود إلى إسرائيل، والتي كان من بين مهمّاتها فرزهم وتوجيههم إلى الجيش أو إلى الاستيطان، بعد دراسة حالتهم. كذلك طرح ميكونِس تظلّمات عدة في شأن أعضاء الحزب الذين يخدمون في الجيش، مثل عدم تعيين ضباط شيوعيين في التثقيف ضمن الجيش، وعدم دعوة محاضرين شيوعيين إلى معسكرات الجيش، والعدد القليل من صحيفة كول هعام الذي يُسمح بتوزيعه في صفوف الجيش. كذلك أثار ميكونِس مع بن غوريون مسألة سياسة الحكومة الإسرائيلية تجاه العرب مواطني إسرائيل، وخاصة مسألة استمرار اعتقال شيوعيين عرب فلسطينيين، وطالب "بإطلاق سراح العناصر التقدّمية العربية" من بين السجناء العرب[(305)]، مستثنيًا بذلك بقية السجناء العرب الذين كانوا يشكّلون الأغلبية الساحقة.
أعطى بن غوريون معلومات أكثر تفصيلًا مما ذكره ميكونِس والحزب الشيوعي عن هذا الاجتماع، وكشف عن دور الحزب الشيوعي الإسرائيلي المهم في تنظيم الهجرة اليهودية وفي الدفع لزيادتها في تلك الفترة من دول أوروبا الشرقية، وعن مدى التأثير الذي كان يتمتع به الحزب في هذه المسألة، وفي ومسائل أخرى متعلّقة بعلاقات دول أوروبا الشرقية بإسرائيل، في ضوء علاقاته المتينة مع الأحزاب الشيوعية الحاكمة في دول أوروبا الشرقية؛ إذ ذكر بن غوريون في يومياته أنه، بناءً على حديثه مع ميكونِس، جرى اتفاق مع السلطات الرومانية على هجرة 3600 عائلة من رومانيا إلى إسرائيل خلال الخمسة أشهر التالية، وأنه أقيمت ستة معسكرات في رومانيا لتنظيم هجرة اليهود من رومانيا إلى إسرائيل، وأنه بإمكان الجيش الإسرائيلي إرسال مرشدين إلى هذه المعسكرات[(306)]. وأضاف بن غوريون أنه كان ثمة توجّه لدى قيادة بلغاريا لوقف هجرة الشبيبة اليهودية إلى إسرائيل، لأن عائلاتهم من كبار السن بقيت من دون معيل، وباتت عالة على الدولة هناك، ولكن "رجال ميكونِس ألغوا هذا التوجّه، لأن وقف هجرة الشباب اليهودي إبان الحرب ممنوع. أما في ما يخصّ المشكلة الاقتصادية، فإنه على الحكومة البلغارية بحث هذا الأمر مع الحكومة الإسرائيلية"[(307)].
وأضاف بن غوريون أنه سأل ميكونِس إذا ما كانت هناك خلافات بين الحزب الشيوعي الإسرائيلي والشيوعيين اليهود في بلغاريا، وأن ميكونِس أجابه أن

هناك سوء تفاهم بين الجانبين، وأن الحزب لا يصرّ على "جمع الشتات" بشكل مطلق، وإنما يطلب مشاركة شبان يهود في الحرب، وزيادة عدد اليهود في إسرائيل من أجل استيطان النقب. ونفى ميكونِس، وفق ما ذكره بن غوريون، أن تكون هناك نيّة في بلغاريا ورومانيا لتصفية الصهيونية، ووضّح لبن غوريون أن السلطات في هاتين الدولتين تريد أن تقوم اللجنة اليهودية التي يقودها الشيوعيون (هكونسيستوريه) بإدارة الهجرة، ولكن ليس بغرض تصفية الصهيونية. وذكر ميكونِس أن هذه اللجنة التي يديرها الشيوعيون تريد أن يهاجر إلى إسرائيل يهود ديمقراطيون. فسأله بن غوريون: أليس القصد من ديمقراطيين هو شيوعيين؟ فأجاب ميكونِس أن كل يهودي هو ديمقراطي، ما عدا أعضاء حركة بيتار، وأكّد ميكونِس أن اللجنة في رومانيا مكوّنة من الشيوعيين وحزبي مبام ومباي، وأنه طلب إدخال ممثّلين عن حزبي الصهيونيين العموميين والمزراحي إلى هذه اللجنة.

وذكر بن غوريون أن ميكونِس أخبره أن غوجانسكي عاد من أوروبا الشرقية، وأن الحزب يريد إرسال قيادي آخر منه إلى أوروبا الشرقية، وأن بن غوريون وعده بتسهيل الأمر[308]. وأضاف بن غوريون أنه أعطى ميكونِس قائمة بالسلاح الذي يمكن أن تقوم إسرائيل بشرائه من بولندا[309].

دعم الحزب الشيوعي للتوسّع الإسرائيلي في النقب

وقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي بشدة ضدّ مقترحات برنادوت، كما ذكرنا سابقًا، سواء تلك المتعلّقة بالقدس أو النقب أو ميناء حيفا ومطار اللد، أو تلك المتعلّقة بالهجرة اليهودية وبعودة اللاجئين الفلسطينيين من دون شرط إلى ديارهم. وفي سياق تمسّكه بالنقب واحتلاله، قبل أن يتمكّن الجيش الإسرائيلي من استكمال احتلاله واحتلال أم الرشراش الواقعة على خليج العقبة، والتي بُنيت عليها مدينة إيلات لاحقًا، أخذ الحزب الشيوعي يركز على أهمية النقب بالنسبة لإسرائيل، والذي لم تتجاوز نسبة المستوطنين اليهود فيه الواحد في المئة من مجموع سكانه العرب في ذلك الوقت، فنشرت صحيفة كول هعام تحقيقات عن النقب أكدت على أهميته وأهمية أن يكون جزءًا من إسرائيل، ودعت إلى احتلاله. فمثلًا، نشرت كول هعام في 22 أيلول/سبتمبر 1948، تقريرًا عن أهمية النقب، شدّد على خصوبة أراضيه، "كما برهن المستوطنون اليهود فيه في العشر سنوات الأخيرة"، وعلى مساحته الواسعة ووجود عيون الماء فيه، وكذلك النفط والمعادن واليورانيوم وخليج العقبة[310].

ودعا الحزب إلى احتلاله كله، بما في ذلك المناطق التابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم، مثل مدينة بئر السبع، ودعم جميع العمليات العسكرية التي قام بها الجيش الإسرائيلي ضدّ الجيش المصري في النقب وفي مختلف مناطق فلسطين الجنوبية. وقد دعم الحزب الشيوعي

الإسرائيلي عملية يوآف التي شنّها الجيش الإسرائيلي ضدّ الجيش المصري في الفترة ما بين 15 و21 تشرين الأول/أكتوبر 1948، ووسّع فيها حدود إسرئيل في جنوب فلسطين واحتل مدينة بئر السبع التابعة للدولة العربية وفق قرار التقسيم، وطرد سكانها الفلسطينيين منها. وكذلك دعم عملية حوريف التي شنّها الجيش الإسرائيلي ضدّ الجيش المصري في 22 كانون الأول/ديسمبر 1948، حتى 7 كانون الثاني/يناير 1949، لاستكمال احتلال النقب وغزة وأجزاء واسعة من سيناء في المنطقة الممتدة شمال العريش.

ففي سياق تبريرها لشنّ عمليات عسكرية ضدّ الجيش المصري، ادّعت إسرائيل، في أواسط تشرين الأول/أكتوبر 1948، أن الجيش المصري خرق وقف إطلاق النار، وأنه جدّد هجماته ضدّ القوافل الإسرائيلية التي كانت توصل الغذاء للمستوطنات والمواقع الإسرائيلية المعزولة في النقب. وقد أيّدت كول هعام في افتتاحيتها، في 17 تشرين الأول/أكتوبر 1948، والتي جاءت تحت عنوان "المعركة على النقب"، الاعتداءات الإسرائيلية على الجيش المصري وتبنّت الادّعاء الإسرائيلي بأن الجيش المصري خرق وقف إطلاق النار، كما أنها رفضت وقف إطلاق النار وطالبت باستمرار القتال، إلى أن يتم إبعاد الجيش المصري من فلسطين[(311)].

وفي 19 تشرين الأول/أكتوبر 1948، عادت كول هعام وعالجت في افتتاحيتها موضوع النقب، وانتقدت بشدة الحكومة الإسرائيلية لموافقتها على إجراء مفاوضات مع مصر في شأن فتح الطرق للقوافل الإسرائيلية للوصول إلى المواقع والمستوطنات الإسرائيلية المعزولة في النقب. وأكّدت الافتتاحية أن حلّ هذه المسألة لا يكمن في تأمين وصول القوافل اليهودية، وإنما يكمن في "التطهير الكامل للنقب من الغزاة". وأضافت أنه "يجب أن يكون الشرط المسبق للموافقة على إجراء محادثات سلمية، هو طرد الغزاة العرب من دولتنا"[(312)]. وعلّقت افتتاحية كول هعام على قرار مجلس الأمن الذي اتُخذ في 19 تشرين الأول/أكتوبر 1948 بوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل، ودعوته لهما بإجراء مفاوضات بينهما، بقولها إنه إذا لم يتّخذ مجلس الأمن الخطوات الفعلية "لطرد الغزاة العرب"، فإنه ينبغي أن "يقوم الجيش بتحرير دولتنا من الغزاة"[(313)]. وفي 21 تشرين الأول/أكتوبر، طالبت افتتاحية كول هعام مرة أخرى بأن "يقوم الجيش بإكمال طرد الغزاة وإرغامهم على مغادرة أرضنا"[(314)].

دأبت قوات الاحتلال أثناء توسّعها في النقب جنوبي فلسطين على طرد العرب الفلسطينيين من المناطق التي احتلتها، وفي الوقت نفسه، أنشأت إسرائيل مستوطنات يهودية على أنقاض القرى والبلدات العربية التي هجرت

الفلسطينيين منها. وفي هذا السياق ذكرت صحيفة كول هعام أن إسرائيل أقامت

قرية يهودية وأطلقت عليها اسم "مورغنتاو - تل شاحر"، على اسم هنري مورغنتاو (Henry Morgenthau, Jr.) الذي شغل منصب وزير المالية في الولايات المتحدة الأميركية بين سنتي 1934 و1945، وكان مسؤولًا عن الجباية اليهودية لصالح إسرائيل في سنة 1948. وقد حضر حفل التدشين الرسمي لتأسيس المستوطنة مورغنتاو نفسه وحاييم وايزمان ووزراء إسرائيليون[315]. ولم تذكر صحيفة كول هعام التي احتفت بإقامة هذه المستوطنة أنها أقيمت على أنقاض

قرية بيت فار الفلسطينية التي هجّر الجيش الإسرائيلي سكانها منها، وأن إقامتها كانت جزءًا من قرار الحكومة الإسرائيلية بإقامة 32 مستوطنة يهودية على أنقاض القرى والبلدات الفلسطينية، والذي اتخذته في 20 آب/أغسطس 1948.

وحدة في ظلّ النكبة: الحزب الشيوعي الإسرائيلي وعصبة التحرر الوطني

أشرنا سابقًا إلى الانقسام الذي تعرّضت له عصبة التحرر الوطني في بداية سنة 1948 في شأن الموقف من قرار التقسيم. وفي النهاية، ساد تيار الأقلية في العصبة بقيادة فؤاد نصار وإميل حبيبي وتوفيق طوبي، والذي قبِل قرار التقسيم، لأنه صفّ إلى جانب موقف الاتحاد السوفياتي. في إثر ذلك، بدأ هذا التيار يقترب شيئًا فشيئًا من مواقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وأخذ يجري اتصالات معه بعد تأسيس إسرائيل، ويتذيّل لكثير من مواقفه في شأن تطوّرات القضية الفلسطينية.

وفي أيلول/سبتمبر 1948، جرت مفاوضات بين الحزب الشيوعي الإسرائيلي وعصبة التحرر الوطني، بهدف تنظيم العلاقة بينهما. وقد كانت هذه المفاوضات بين طرف منتصر وطرف مهزوم في ظلّ النكبة التي حلّت بالشعب الفلسطيني، وفي ظلّ تأسيس دولة للمستوطنين اليهود على حسابه، والتي دعمها الحزب الشيوعي الإسرائيلي بكامل قوّته. تمخّضت تلك المفاوضات عن اتفاق بين الجانبين، أرسلت عصبة التحرر الوطني بمقتضاه مذكّرة[316] إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي، في أواخر أيلول/سبتمبر 1948، انتقدت فيها نفسها وتخلّت عن مبرّرات تأسيسها، وعرضت فيها مراجعتها لمواقفها السابقة وقراءتها للواقع الجديد الذي باتت تتبنّى فيه مواقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي. وأرسل الحزب رسالة إلى عصبة التحرر الوطني ردّ فيها على مذكّرتها، وأكّد فيها على صحة مواقفه طيلة الفترة الماضية[317].

لقد انعكست علاقة المهزوم بالمنتصر بشكل واضح في مذكّرة عصبة التحرر الوطني إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وفي ردّ الحزب عليها؛ ففي حين تمسّك الحزب الشيوعي الإسرائيلي، المنتصر، بمواقفه في جميع قضايا

الخلاف التي كانت بينه وبين العصبة منذ بداية الأربعينيات، وكذلك بجميع مواقفه التي طوّرها منذئذ، والتي باتت تتبنّى المشروع الصهيوني، وتابع هذا الكتاب تفاصيلها، فإن عصبة التحرر الوطني تخلّت عن مواقفها في جميع قضايا الخلاف التي كانت قائمة بينها وبين الحزب الشيوعي، وتخلّت عن مشروعها وبرنامجها، وانتقدت تاريخها واعتبرت بالمجمل أن وجودها كان خطأ تاريخيًا. وقد تجلّت أيضًا علاقة المنتصر بالمهزوم في علاقة الحزب الشيوعي الإسرائيلي بعصبة التحرر الوطني في فرض الحزب مواقفه السياسية المتعلّقة بالقضية الفلسطينية والصراع العربي - الإسرائيلي وروايته التاريخية بالكامل على عصبة التحرر الوطني، وفي نقضه للاتفاقيات الموقّعة بينهما، وفي جعل المهزوم يتماهى كلية مع مواقف المنتصر، إلى تلك الدرجة التي بات يتصرّف فيها المهزوم كأنه هو المنتصر.

لقد اتفق الحزب الشيوعي الإسرائيلي وعصبة التحرر الوطني، وفق اتفاق الوحدة بينهما، على إقامة حزب شيوعي أممي موحّد في كل دولة من الدولتين، بحيث يكون الحزب الشيوعي الإسرائيلي هو الحزب الشيوعي في دولة إسرائيل، وفق حدود قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، وأن تكون عصبة التحرر الوطني هي الحزب الشيوعي في المنطقة المخصّصة للدولة العربية وفق قرار التقسيم. ونصّ الاتفاق بصريح العبارة على أن تحتفظ عصبة التحرر الوطني بوجودها التنظيمي المستقل في الأراضي التي تحتلها إسرائيل، والتابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم[318]. ولكن الحزب الشيوعي الإسرائيلي نقض هذا الاتفاق فور توقيعه، وأخذ يدير عمليًا هذه الفروع مباشرة، ومن ثم ضمّها إليه[319].

تجلّت أيضًا علاقة المنتصر بالمهزوم بفرض موقف الحزب الشيوعي المؤيد لتوسيع حدود دولة إسرائيل في مناطق واسعة من تلك المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية، على عصبة التحرر الوطني التي اندمجت فيه؛ فعلى النقيض من الاتفاق بين الطرفين، ظلّ الحزب الشيوعي الإسرائيلي يعتبر الأراضي التي احتلتها إسرائيل، والتابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم، جزءًا من إسرائيل، حين أيّد الحزب ضمّ إسرائيل لهذه المناطق الفلسطينية المحتلة، وكذلك أيّد فرض إسرائيل المواطنة الإسرائيلية على من تبقّى من الفلسطينيين فيها، كما أيّد قرار الحكومة الإسرائيلية السماح لهم بالمشاركة في انتخابات الكنيست لإضفاء شرعية على احتلالها لهم ولأراضيهم. وقد وضع الحزب الشيوعي الإسرائيلي قياديَين اثنين من عصبة التحرر الوطني في قائمته الانتخابية للكنيست، هما توفيق طوبي في المكان الثاني، وإميل حبيبي في المكان الخامس. وقد حازت هذه القائمة على أربعة مقاعد في انتخابات الكنيست الأولى التي جرت في 25 كانون الثاني/يناير 1949، قبل انتهاء الحرب، وقبل أن تجفّ دماء الشهداء الفلسطينيين، وقبل توقيع إسرائيل والدول العربية اتفاقيات الهدنة.

وتجلّت أيضًا علاقة المنتصر بالمهزوم بتصويت عضو الكنيست توفيق طوبي، مع أعضاء الكنيست اليهود التابعين للحزب الشيوعي الإسرائيلي، لصالح قانون العودة الذي سنّه الكنيست في تموز/يوليو 1950، والذي يسمح لكل يهودي في العالم بالهجرة إلى إسرائيل[320]. وهو القانون الذي يعبّر عن جوهر الصهيونية، وفق تعبير بن غوريون الذي قدّمه للكنيست للتصويت عليه.

وكذلك تجلّت علاقة المنتصر بالمهزوم ليس بفرض الرواية التاريخية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، والتي كانت تنسجم تمامًا مع الرواية التاريخية الصهيونية، على أعضائه العرب الذين رددوها خلال العقود اللاحقة فحسب، وإنما في فرض رموز الحركة الصهيونية على جميع أعضائه اليهود والعرب، وإنشاد نشيد الحركة الصهيونية (هتِكفا - وتعني بالعربية الأمل)[321] الذي أصبح نشيد الدولة اليهودية الرسمي بعد قيامها، وكذلك رفع علم إسرائيل في جميع المراسيم واجتماعات الحزب الرسمية. وكذلك أكّد الحزب في نظامه الداخلي أن الحزب الشيوعي الإسرائيلي هو "حزب الوطنية الإسرائيلية"، إلى جانب كونه "حزب الأممية البروليتاري"[322].

وتجلّت أيضًا علاقة المنتصر بالمهزوم بفرض المنتصر مواقف مشينة على المهزوم، قد لا تخطر على البال، مثل مطالبة الحزب الشيوعي الإسرائيلي وأعضاء الكنيست اليهود والعرب التابعين للحزب الشيوعي الإسرائيلي، في سنة 1949، عند مناقشة الكنيست قانون الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي، بفرض الخدمة العسكرية على العرب الفلسطينيين مواطني إسرائيل[323]. ومن المهم الإشارة إلى أن أكثر من 90 في المئة من العرب الفلسطينيين الذين فرضت إسرائيل عليهم المواطنة الإسرائيلية حينئذ، كانوا يعيشون في المنطقة المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية التي احتلها الجيش الإسرائيلي، وكانوا يخضعون للاحتلال الإسرائيلي وللحكم العسكري الإسرائيلي المباشر. ففي سنة 1949، سنّ الكنيست الإسرائيلي قانون فرض الخدمة الإجبارية على جميع مواطني إسرائيل، ما عدا أولئك الذين يقرّر وزير الأمن استثناءهم من الخدمة الإجبارية. وخلال مداولات الكنيست في هذا القانون، أيّد جميع أعضاء الكنيست التابعين للحزب الشيوعي، بمن فيهم توفيق طوبي، فرض الخدمة الإجبارية على جميع المواطنين، ووقفوا بحزم ضدّ تخويل وزير الأمن الإسرائيلي صلاحية استثناء البعض من الخدمة في الجيش، كي لا يستخدم وزير الأمن هذه الصلاحية ويستثني المواطنين العرب منها.

ليس هذا فحسب، بل دعا ميوكنِس، أمين عام الحزب الشيوعي الإسرائيلي حينئذ، علنًا من منبر الكنيست إلى تطبيق التجنيد الإجباري، ليس على الشبان الذكور العرب فحسب، وإنما أيضًا على الفتيات العربيات[324]. وبرّر الحزب الشيوعي الإسرائيلي دعوته إلى خدمة المواطنين العرب في الجيش الإسرائيلي بعدم التمييز بينهم وبين اليهود في هذه المسألة، وبأن الخدمة

العسكرية في الجيش الإسرائيلي هي من الواجبات التي عليهم أن يؤدّونها من أجل الحصول على حقوقهم.

وقد تجاهل الحزب الشيوعي الإسرائيلي أمرين: الأول، أن 90 في المئة من العرب كانوا من سكان المناطق التي يفترض أن تقوم فيها دولة فلسطينية بموجب قرار التقسيم الذي أيده، ما يعني أنهم خاضعون لاحتلال عسكري إسرائيلي، وكان تحويلهم إلى مواطنين جزءًا من عملية ضمّ مناطق الدولة الفلسطينية بالقوة؛ والثاني، أنه لو كانوا مواطنين فعلًا، فإن حقوق المواطنين في أي دولة في العالم تنبع من كونهم مواطنين في الدولة، وليس من الخدمة العسكرية في جيش احتل بلادهم وطرد الأغلبية العظمى من شعبهم وارتكب المجازر بحقّهم. بهذا، يكون الحزب الشيوعي الإسرائيلي قد تجاهل المعضلة التي كان سيواجهها الرجال العرب عند تجنيدهم في الجيش الإسرائيلي في شأن تحديدهم هوية عدوّهم؛ هل هم أبناء شعبهم، ولا سيما ممن طُردوا من وطنهم وأصبحوا لاجئين، وكانوا يحاولون "التسلل" عبر الحدود من أجل العودة إلى بيوتهم، أم أن العدو هو الجيش الإسرائيلي الذي يحتلهم؟ بيد أن الحزب الشيوعي كان يشتعل حماسة، كما ظهر ذلك على لسان أمينه العام، شموئيل ميكونِس، في تبريره فرض الخدمة في الجيش الإسرائيلي على الفتيات العربيات؛ إذ أسهب ميكونِس في شرحه لأعضاء الكنيست أن خدمة الفتيات العربيات الإجبارية في الجيش الإسرائيلي من شأنها أن "تساعد في تحرّرهن من تخلّفهن" ومن جميع أنواع الاضطهاد الاجتماعي والقيود المتوارثة عبر مئات السنين[325]. ولكن موقف الحزب الشيوعي الإسرائيلي في هذه المسألة لم يستمر طويلًا على حاله، فلم تكد تمرّ بضع سنوات، حتى اتّخذ الحزب الشيوعي الإسرائيلي موقفًا مناقضًا تمامًا لموقفه الداعي لفرض الخدمة الإجبارية على الفتيات العربيات، من دون أن يبدي المبرّرات لتغيير موقفه؛ ففي أيار/مايو 1952، وقف المؤتمر العام الثاني عشر للحزب "بحزم ضد تجنيد المرأة بشكل عام، والمرأة العربية بشكل خاص"، ولكنه واصل تأييده لتجنيد الشبان العرب في الجيش[326].

في تموز/يوليو 1954، أعلن الناطق الصحافي باسم الحكومة الإسرائيلية أن وزير الأمن قرّر فرض التجنيد الإجباري على المواطنين العرب في إسرائيل[327]. رحّب الحزب الشيوعي بهذا القرار وأيّده بوضوح، وطرح شعار "حقوق متساوية مقابل واجبات متساوية"[328]، وأعرب عن قناعته بأن قرار وزير الأمن الإسرائيلي بفرض الخدمة الإجبارية على المواطنين العرب في إسرائيل، يتيح الفرصة للنضال ضدّ الاضطهاد القومي والتمييز العنصري اللذين تمارسهما الحكومة ضدّ العرب في إسرائيل، في ميادين شتى. وفي الوقت الذي كان فيه الحزب متحمّسًا في تأييده لتجنيد الشبان العرب، فإنه عارض تجنيد الفتيات العربيات وطالب بإعفائهن من هذه الخدمة. وبرّر موقفه هذا بمعارضته تجنيد مجمل الفتيات في إسرائيل، لأن هدف الحكِومة من فرضِ

الخدمة على الفتيات هو "تشديد طريقة الحياة العسكرية". وأضاف: "بما أن هذه الخدمة الإلزامية ليس لها سابقة في أي دولة في العالم، وبما أنها تشكّل مساسًا بالحياة العائلية الطبيعية، وبما أن ليس لها أي علاقة بمقتضيات أمن إسرائيل؛ فإن الحزب الشيوعي يطالب بإعفاء الفتيات العربيات من الخدمة الإلزامية في الجيش"[(329)].

الحزب الشيوعي واتفاقيات الهدنة

انتهت حرب 1948 رسميًا عند توقيع اتفاقيات هدنة بين إسرائيل وأربع دول عربية، ثلاث منها جرى توقيعها في جزيرة رودس اليونانية برعاية الأمم المتحدة، والرابعة وُقّعت عند الحدود السورية - الإسرائيلية، برعاية الأمم المتحدة أيضًا. كانت الأولى بين إسرائيل ومصر في 24 شباط/فبراير 1949، والثانية بين إسرائيل ولبنان في 23 آذار/مارس 1949، والثالثة بين إسرائيل والأردن في 3 نيسان/أبريل 1949، والرابعة بين إسرائيل وسورية في 20 تموز/يوليو 1949. كما تمكّنت إسرائيل من تركيز قواتها العسكرية الضاربة ومن الاستفراد عسكريًا بالمدن والبلدات والقرى الفلسطينية، كما بجيش دولة عربية تلو الأخرى، فإنها استفردت أيضًا بكل دولة عربية على حدة في مفاوضات الهدنة، وتمكّنت - بشكل عام - من فرض شروطها عليها.
كان ميزان القوى العسكري في النصف الثاني من سنة 1948 وفي سنة 1949 يميل بقوة لصالح إسرائيل؛ إذ كان الجيش الإسرائيلي في تلك الفترة يتفوّق عددًا وعدة على جيوش الدول العربية التي شاركت في حرب 1948، ففي كانون الأول/ديسمبر 1948، بلغ عدد أفراده 108 آلاف جندي وضابط، وكان يمتلك أسلحة حديثة بفضل الأسلحة التشيكوسلوفاكية أساسًا التي حصلت عليها إسرائيل في الحرب، من نيسان/أبريل 1948 وحتى بداية سنة 1949، والتي شرحنا عنها سابقًا، أضف إلى ذلك وصول نحو 25 ألف متطوّع من اليهود ومن غير اليهود[(330)]، من أوروبا الغربية والشرقية وأميركا، وكان جزء منهم يتمتّع بخبرة عسكرية عالية من جراء مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية.
ومما زاد من سوء وضع الجيوش العربية العسكري، احتدام الخلافات والصراعات السياسية بين الدول العربية أثناء الحرب، الأمر الذي أدى إلى عدم التنسيق العسكري بينها. علاوة على ذلك، كانت إسرائيل في تلك الفترة الحاسمة تحظى بدعم من المعسكرين الشرقي والغربي، وبتسامح واضح - وإن لم يكن تسامحًا مطلقًا من كليهما - في شأن توسيع حدودها في الأراضي المخصّصة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم.
استنادًا إلى ميزان القوى المائل لصالح إسرائيل، وإلى الدعم الذي كانت تحصل عليه من المعسكر الاستعماري الغربي ومن المعسكر الشرقي، تبنّى الحزب الشيوعي الإسرائيلي سياسة توسّعية بزّت سياسة الحكومة الإسرائيلية نفسها. فقد طالب الحزب الشيوعي الإسرائيلي بإجراء مفاوضات

مباشرة بين إسرائيل وكل دولة عربية على حدة، اعتقادًا منه أن ذلك يمكّن إسرائيل من الحفاظ على المناطق العربية الفلسطينية التي احتلها الجيش الإسرائيلي، والتابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم. ووقف الحزب الشيوعي ضدّ المفاوضات في رودس تحت مظلّة الأمم المتحدة، خشية من الضغط على إسرائيل للانسحاب من المناطق التابعة للدولة العربية الفلسطينية التي احتلتها. إلى جانب ذلك، انتقد الحزب الشيوعي الإسرائيلي بشدة موقف الحكومة الإسرائيلية لأنها لم تشترط أن تجري هذه المفاوضات على أساس "طرد" الجيوش العربية من فلسطين، وعلى أساس حفاظ إسرائيل على الأراضي التابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم واحتلها الجيش الإسرائيلي.

وفي هذا السياق، عدّت افتتاحية كول هعام أن المفاوضات بين إسرائيل ومصر في رودس ليست في مصلحة إسرائيل، وأنها لن تقود إلى الدفاع عن استقلالها وعن سلامة أراضيها، وأنها تعتبر مصيدة للضغط على إسرائيل من أجل التنازل عن النقب[331]. وأكّدت أنه لا يمكن التوصّل إلى سلام بين إسرائيل ومصر استنادًا إلى التوسّط "الإمبريالي المعادي"، وإنما بواسطة مفاوضات مباشرة بين الطرفين. وأعربت عن قناعتها بأن هذه المفاوضات يجب أن تجري على أساس "طرد الغزاة الكامل من أرضنا" من دون أي تنازل إقليمي أو سياسي، وعلى أساس احترام "كامل حدود إسرائيل وسيادتها"[332].

وذكرت افتتاحية كول هعام في 24 كانون الثاني/يناير 1949، أن ممثّلي الولايات المتحدة الأميركية في محادثات رودس التي تجري بين مصر وإسرائيل، يضغطون بشدة على إسرائيل ويطالبون بانسحاب الجيش الإسرائيلي من بعض المناطق في النقب. وأضافت أن هذا الضغط الأميركي ليس مفاجئًا، ولكن الأمر المفاجئ "هو موقف ممثّلي حكومة بن غوريون الذين يجرون مساومات في شأن تقديم تنازلات في الجنوب، وذلك على الرغم من التضحيات الكبيرة والنفيسة التي قدّمها الجيش الإسرائيلي في الحرب على النقب"[333]. واستطردت الافتتاحية قائلة إنه يبدو أن مصر ستتنازل عن مطلبها بانسحاب الجيش الإسرائيلي إلى خطوط ما قبل الرابع عشر من تشرين الأول/أكتوبر، وأن إسرئيل قرّرت في الوقت نفسه التنازل عن مطلبها بخروج الجيش المصري من "أرض - إسرائيل"، ويبدو أيضًا أنه إلى جانب التنازل "للغازي الشرق أردني عبد الله، يتم التنازل للغازي الجنوبي فاروق".

وتساءلت افتتاحية كول هعام: "مَن منح ممثلي إسرائيل في رودس الصلاحيات في إضعاف مطلب الإخراج الكامل للجيش المصري من أرض - إسرائيل؟ ولماذا استهتروا وألحقوا الأذى بمصلحة أمن إسرائيل؟ وبأي حق يقبلون تعزيز

قوة الغزاة من عمّان والقاهرة؟". وعارضت افتتاحية كول هعام أي انسحاب إسرائيلي من المناطق التي احتلها الجيش الإسرائيلي، والتي تقع في خارج المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية وفق قرار التقسيم، وأكّدت أن الجيش الإسرائيلي "الذي قاتل ببطولة، والشعب الذي قدّم التضحيات، لا يوافق على إضعاف المطالب الإسرائيلية، ولا يوافق على أي انسحاب، ولا على أي سيطرة إمبريالية مباشرة أو غير مباشرة"[334].

وبعد يوم من توقيع اتفاق الهدنة في رودس بين مصر وإسرائيل، كتبت كول هعام في افتتاحيتها لذلك اليوم أن "الدوائر الحاكمة في إسرائيل" تعدّ اتفاق الهدنة مع مصر إنجازًا مهمًا وانتصارًا كبيرًا. وأضافت أن ثمة مكانًا للسرور الذي جاء نتيجة للانتصارات الكبيرة التي حقّقها الجيش الإسرائيلي بمساعدة دول أوروبا الشرقية، وليس نتيجة لشروط اتفاق الهدنة مطلقًا[335]. وأشارت افتتاحية كول هعام إلى أنه على الرغم من أن المفاوضات في رودس جرت بين طرف منتصر وطرف مهزوم، فإن شروط الاتفاق بين الطرفين لا تعطي أفضلية "للطرف المنتصر والمحقّ على الطرف المهزوم والمعتدي". واستطردت قائلة إن شروط الاتفاق تمنح مصر، على الرغم من هزيمتها في ميدان المعركة على طول الجبهة، منطقة في داخل "أرض - إسرائيل" تمتد من غزة إلى رفح. وتساءلت الافتتاحية: "فهل كان بمقدور أي قوة عسكرية منّيت بهزيمة في ميدان المعركة أن تحلم بتحقيق انتصار كهذا في مفاوضات دبلوماسية؟". وانتقدت الافتتاحية بشدة اتفاق رودس في قضيتين أساسيتين، هما: قبول إسرائيل بقاء وجود المصريين في "أرض - إسرائيل"، وموافقة إسرائيل على نزع سلاح منطقتين مهمّتين على الحدود الإسرائيلية - المصرية، وهما العوجة وعسلوج. واختتمت افتتاحية كول هعام بقولها: "إن الانتصارات العظيمة التي حقّقها الجيش الإسرائيلي خلقت شروطًا لتحقيق السلام أفضل بكثير من هذا الاتفاق الذي جرى التوقيع عليه في رودس، وينبغي عدم فصل التنازلات عن الأراضي والتنازلات العسكرية التي قدّمتها إسرائيل، عن التنازلات السياسية التي قد تقدّمها في المستقبل، وهذه التنازلات كلها تشكّل خطرًا كبيرًا على أمن دولتنا وسيادتها"[336].

كما انتقد الحزب اتفاقية الهدنة التي وُقّعت بين إسرائيل ولبنان، إذ ذكرت افتتاحية كول هعام أن اتفاقية الهدنة بين إسرائيل ولبنان تحمل بين ثناياها أخطارًا مستقبلية على إسرائيل، والتي تعود إلى لجنة وقف إطلاق النار بين الدولتين وإلى تركيبتها ونشاطها[337]. وأردفت الافتتاحية أن لجنة وقف إطلاق النار ستخضع لتأثير رئيسها الأميركي، الجنرال وليام رايلي (William E. Riley) الذي

سيعيّن مراقبين أميركيين في اللجنة ضمن المراقبين من الأمم المتحدة، والذين سيستغلون ذلك "لتثبيت موطئ قدم لهم في الحدود الشمالية لدولة إسرائيل"، وهو ما "ينسجم مع توجّه حكومة الولايات المتحدة للسيطرة على قواعد ومناطق استراتيجية مهمة في الشرق الأوسط". إلى جانب ذلك، من غير المستبعد أن يثير المراقبون الأميركيون الخلافات بين لبنان وإسرائيل، وفق ما ذهبت إليه افتتاحية كول هعام. و"من منطلق الحرص على السلام"،

أكّدت الافتتاحية على أنه "ينبغي التحذير من دخول عملاء أجانب حدودنا الشمالية - وهو دخول مؤذٍ وغير مرغوب به - ومن التسلل المخطط له لجواسيس أميركيين تحت غطاء مريدي العدالة ومحبي السلام"[338].

وانتقد الحزب اتفاقية الهدنة بين إسرائيل والأردن، لأنها تعني - وفق ما ذكرته افتتاحية كول هعام - موافقة إسرائيلية رسمية على "حكم عبد الله في المناطق العربية من أرض - إسرائيل"، وموافقة إسرائيلية على وجود قواعد عسكرية بريطانية قريبة من حدود إسرائيل كيلومترات معدودة[339]. ولم يعارض الحزب الشيوعي الإسرائيلي مطلقًا المكسب المهم الذي حقّقته إسرائيل من هذه الاتفاقية، وهو تسليم الأردن، من جراء الابتزاز العسكري الذي تعرّض له الأردن من إسرائيل، منطقة واسعة من الأرض العربية الفلسطينية تبدأ من شمالي عمواس في وسط فلسطين وتمتد شمالاً كيلومترات عدة، حتى تصل إلى غور نهر الأردن، وتشمل ما بات يطلق عليه منطقة المثلث.

لم تُستثنَ اتفاقية الهدنة بين سورية وإسرائيل من انتقاد الحزب الشيوعي الإسرائلي؛ إذ ذكرت افتتاحية كول هعام أن لهذه الاتفاقية السمات المعروفة نفسها لاتفاقيات الهدنة السابقة بين إسرائيل وكلٍ من مصر ولبنان والأردن، وهي السماح للولايات المتحدة الأميركية بالتغلغل في إسرائيل من النواحي السياسية والعسكرية[340]. وانتقدت الافتتاحية ما وصفته بتنازل إسرائيل عن سيادتها في المناطق منزوعة السلاح في عين - غيف ومشمار هعيمك والدردارة، وادّعت أن هذه المناطق منزوعة السلاح باتت عمليًا قاعدة لممثلي الجيش الأميركي الذي لا يسعى إلى جعل هذه المناطق منزوعة السلاح قاعدة له فحسب، وإنما يسعى إلى جعل منطقة الشرق الأوسط كلها قاعدة استراتيجية له[341].

من الواضح هنا أن هاجس الحزب الرئيس هو احتمالات النفوذ الأميركي في إسرائيل، وعدم ترجمة المساعدات التي قدّمتها أوروبا الشرقية إلى نفوذ سوفياتي. أما قضية احتلال فلسطين وطرد الشعب الفلسطيني، فكانت بالنسبة إلى الحزب تحرّرًا للشعب اليهودي في وطنه. وما يجدر ذكره هنا، أن الحزب الشيوعي الإسرائيلي لم يكن وحيدًا في انتقاده للحكومة الإسرائيلية واتهامه إياها بالتخاذل وبتقديم التنازلات للدول العربية في اتفاقيات الهدنة، إذ

انتقدها العديد من الأحزاب الإسرائيلية، بما في ذلك حزب مبام الصهيوني اليساري، وحزب حيروت اليميني المتطرف بقيادة مناحيم بيغن. وفي معرض ردّه على انتقادات المعارضة، فنّد رئيس الحكومة الإسرائيلية، دافيد بن غوريون، من على منبر الكنيست، في آب/أغسطس 1949، ادعاءات أحزاب بأن اتفاقيات الهدنة "كانت خنوعًا وانسحابًا وإهدارًا للاحتلالات العسكرية"، وأكد بطلان هذه الاتهامات[342]. ووضّح بن غوريون المكاسب التي حققتها إسرائيل من اتفاقيات الهدنة، فأشار إلى أن قرار التقسيم خصص للدولة اليهودية 14,920,000 دونم، وإلى أنه "فقط ثلث هذه المساحة كانت بيدنا فعليًا". وأكّد أنه "لم يكن لنا في المنطقة الجنوبية التي تربو مساحتها على عشرة ملايين دونم، أي موطئ قدم، ولم يكن بوسعنا الوصول إلى مناطق حيوية في هذه المنطقة، حتى بالقوة العسكرية، لأسباب لن أشرحها الآن. واليوم يوجد بحوزة الدولة أكثر من عشرين مليون دونم (20,662,000)، وهي تسيطر فعليًا على جميع نواحي هذه المساحة".

ووضّح بن غوريون بالتفصيل هذه المكاسب بقوله: "نظريًا، ازدادت مساحة الدولة بخمسة ملايين دونم فقط، ولكن عمليًا، ازدادت المساحة التي نسيطر عليها بخمسة عشر مليونًا". وشرح ذلك بقوله: "احتل الجيش الإسرائيلي خمسة ملايين دونم في معارك الطريق إلى القدس، ومعارك الجليل الغربي والأوسط، وجنوب يهودا والنقب الشمالي"، وهذه الاحتلالات وسّعت حدود الدولة مقارنة مع حدود قرار التقسيم. واستطرد بن غوريون قائلًا: "نصف مليون دونم (467,000) أُضيفت بطرق سلمية في اتفاقيات الهدنة مع الأردن وسورية، ونحو تسعة ملايين دونم انتقلت لنا ونجحنا في الحفاظ عليها عمليًا، من دون معارك وسفك دماء، بفضل اتفاقية الهدنة مع مصر، أقصد خط عين جدي - إيلات وكل أرض أدوم. بقي في أرض - إسرائيل الغربية 6,940,000 دونم فقط خارج دولة إسرائيل. مصر تحتفظ بمساحة 258,000 دونم، والأردن بـ 6,682,000 دونم"[343]. ووضّح بن غوريون أنه ثبت بطلان ما كانت تدّعيه أحزاب المعارضة بأنه سيُترك النقب وأنه ستُهدر احتلالات الجيش، وأكد أن ما حصل كان على النقيض من ذلك تمامًا؛ "فقد تم تعزيز احتلالات الجيش الإسرائيلي وتوسيعها بفضل اتفاقيات الهدنة"[344].

(212) "مات الانتداب البريطاني، عاشت الدولة اليهودية المستقلة والديمقراطية"، كول هعام، 14/5/1948.

(213) المرجع نفسه.

(214) محاضر مجلس الدولة المؤقت، تل أبيب، 1948 – 1949 (14/5/1948)، ص 14 (بالعبرية).

(215) "بيان الحزب الشيوعي"، كول هعام، 16/5/1948.

(216) المرجع نفسه.

(217) للمزيد من التفاصيل عن اللقاءات بين مندوبي الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة وممثلي الوكالة اليهودية، يُنظر: بنيامين بينكوس، علاقات خاصة: الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه وعلاقاتهم مع الشعب اليهودي والصهيونية ودولة إسرائيل 1939 – 1959 (القدس: معهد بن غوريون لبحث إسرائيل والصهيونية؛ كريات سديه بوكير؛ جامعة بن غوريون، 2007)، ص 183 - 187 (بالعبرية).

(218) للمزيد: المرجع نفسه، ص 172 - 173.

(219) المرجع نفسه، ص 221 - 229.

(220) المرجع نفسه، ص 228.

(221) المرجع نفسه، ص 229.

(222) المرجع نفسه.

(223) بينكوس، ص 248.

(224) استوطن في يافا من المهاجرين اليهود في تلك الفترة 45,537 مستوطنًا يهوديًا؛ وفي حيفا 39,200 مستوطن؛ وفي الرملة 9150 مستوطنًا؛ وفي عكا 4396 مستوطنًا؛ وفي صفد 2213 مستوطنًا. للمزيد من التفاصيل الدقيقة حول أعداد وأماكن وتوقيت استيطان المهاجرين اليهود، من أوروبا الشرقية تحديدًا، في المدن والبلدات والقرى الفلسطينية بين سنتي 1948 و1949، يُنظر: حنة يبلونكا، استيعاب ومشاكل اندماج بقية اللجوء [اليهودي] في المجتمع الإسرائيلي المتكون: من 29 نوفمبر 1947 وحتى أواخر 1949 (القدس: الجامعة العبرية في القدس، 1989)، ص 35 - 60 (بالعبرية).

(225) يبلونكا، ص 43.

(226) المرجع نفسه.

(227) "سلاح الجو الإسرائيلي قصف تجمعات العدو في القدس وغور الأردن وغزة"، كول هعام، 23/5/1948.

(228) "طائراتنا قصفت أهدافا عسكرية في سورية"، كول هعام، 24/5/1948.

(229) "ازدياد نشاط سلاح الجو الإسرائيلي"، كول هعام، 1/6/1948.

(230) "طائراتنا تضرب العدو في البلاد وخارجها"، كول هعام، 2/6/1948.

(231) "سلاح الجو الإسرائيلي يقصف العدو"، كول هعام، 10/6/1948.

(232) ن. هولتسمان، "في الجليل الغربي المحرر"، كول هعام، 2/6/1948.

(233) "جيش الدفاع في جنين"، كول هعام، 4/6/1948.

(234) المرجع نفسه.

(235) إ. غوجانسكي، "مع إقامة الجيش الإسرائيلي"، كول هعام، 4/6/1948.

(236) المرجع نفسه.

(237) المرجع نفسه.

(238) "حزب شيوعي قوي شرط لنجاح حرب التحرير"، كول هعام، 8/6/1948.

(239) المرجع نفسه.

(240) "تحيتنا لجنود جيش الدفاع الإسرائيلي"، كول هعام، 28/6/1948.

(241) "جبهة تل أبيب والقدس هي جبهة واحدة"، كول هعام، 25/6/1948.

(242) المرجع نفسه.

(243) مئير فلنر، "يدنا ممتدة: بمناسبة الاجتماع الأول لمجلس مبام"، كول هعام، 25/6/1948.

(244) المرجع نفسه.

(245) "لا نذهب لرودس"، كول هعام، 4/7/1948.

(246) المرجع نفسه؛ يُنظر أيضًا: "جوابنا لاقتراح الكونت"، كول هعام، 5/7/1948.

(247) "لا لاستمرار المفاوضات مع برنادوت"، كول هعام، 6/7/1948.

(248) المرجع نفسه.

(249) "جيش الدفاع الإسرائيلي يهاجم ويحتل"، كول هعام، 11/7/1948.

(250) "كيف احتُل مطار اللد"، كول هعام، 11/7/1948.

(251) "قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي في اجتماعها المنعقد في 10 - 11/7/1948"، كول هعام، 16/7/1948.

(252) المرجع نفسه.
(253) المرجع نفسه. للمزيد، يُنظر الملحق (6).
(254) دافيد طال، "المعركة على القدس: الحرب الإسرائيلية الأردنية 1948"، في: حرب الاستقلال 1948 – 1949: بحث مجدد، ألون قديش (محرر)، ج 1 (تل أبيب: وزارة الأمن، 2004)، ص 320 - 321 (بالعبرية).
(255) المرجع نفسه.
(256) إسبر منيّر، اللد: في عهدي الانتداب والاحتلال (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997)، ص 95 - 101؛ وكذلك: إيلان بابِه، التطهير العرقي في فلسطين، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)، ص 195.
(257) بابِه. يذكر بيني موريس، استنادًا إلى وثائق الجيش الإسرائيلي، أن 250 فلسطينيًا قُتلوا في المجزرة التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في مدينة اللد، يُنظر: بيني موريس، 1948: تاريخ الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى (تل أبيب، عام عوفيد، 2010)، ص 317 (بالعبرية). وتعترف العديد من المراجع الإسرائيلية الأخرى بتنفيذ الجيش الإسرائيلي عمليات طرد الفلسطينيين من اللد والرملة، يُنظر مثلًا: أنيطا شبيرا، يغآل ألون: ربيع حياته – سيرة ذاتية (تل أبيب: هكيبوتس همئوحاد، 2004)، ص 372 (بالعبرية).
(258) عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود: 1947 – 1955، ج 4 (صيدا: منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، [1956] - 1962)، ص 922.
(259) افتتاحية كول هعام، 12/7/1948؛ كذلك يُنظر عنوان كول هعام الرئيس في صفحتها الأولى في العدد نفسه: "اللد استسلمت واحتلت"، كول هعام، 12/7/1948؛ وأيضًا: افتتاحية كول هعام، 13/7/1948؛ "الرملة ومجدل صادق احتلتا"، كول هعام، 13/7/1948.
(260) "بقي فقط 700 نسمة في اللد"، كول هعام، 29/7/1948.
(261) المرجع نفسه.
(262) بابِه، ص 145 - 150.
(263) "أخذ مئات الأسرى في الطنطورة"، كول هعام، 24/5/1948.
(264) "مع تجدد الحرب - من محاضرة مئير فلنر في الاجتماع الشعبي في 'مغربي' في تل أبيب"، كول هعام، 11/7/1948.

(265) مردخاي أبرهامي، "الاحتلالات الجديدة لجيش الدفاع"، كول هعام، 14/7/1948.
(266) المرجع نفسه.
(267) المرجع نفسه.
(268) مئير فلنر، "خطر الوصاية عمليًا"، كول هعام، 16/7/1048.
(269) المرجع نفسه.
(270) المرجع نفسه.
(271) المرجع نفسه.
(272) "جيش إسرائيل في الناصرة"، كول هعام، 18/7/1948.
(273) "اجتماعان شعبيان في تل أبيب وحيفا يطالبان: تعزيز الحكومة بواسطة زيادة ممثلي العمال وضم ممثل الحزب الشيوعي الإسرائيلي إليها"، كول هعام، 18/7/1948.
(274) المرجع نفسه.
(275) ص. ساطرال، "بجرأة وحماسة يسير جنودنا إلى الأمام"، كول هعام، 19/7/1948.
(276) المرجع نفسه.
(277) يهودا أرتسي، "المعركة على مرج أيالون"، كول هعام، 19/7/1948.
(278) المرجع نفسه.
(279) المرجع نفسه.
(280) للمزيد عن أول عرض عسكري في "يوم الدولة"، يُنظر: "أول عرض عسكري للجيش الإسرائيلي في تل أبيب"، كول هعام، 28/7/1948.
(281) "تنتظرنا معركة سياسية صعبة: يعلن رئيس الحكومة في خطابه في العرض العسكري"، كول هعام، 28/7/1948.
(282) المرجع نفسه.
(283) المرجع نفسه.
(284) خطاب شموئيل ميكونِس في الجلسة الثانية عشر لمجلس الدولة المؤقت المنعقد في 29/7/1948، في: أرشيف دولة إسرائيل، "الجلسة الثانية عشرة لمجلس الدولة المؤقت"، أرشيف دولة إسرائيل، في: https://bit.ly/3fZ6Cg1؛ ويُنظر أيضًا: "الخطاب الكامل للرفيق ش. ميكونِس في جلسة مجلس الدولة في 29/7/1948"، كول هعام، 1/8/1948.

(285) "الخطاب الكامل للرفيق ش. ميكونِس في جلسة مجلس الدولة في 29/7/1948"، كول هعام، 1/8/1948.

(286) المرجع نفسه.

(287) "شهادة ميكونِس في محكمة صحيفة كول هعام ضد بن غوريون في 3/5/1951"، في: شموئيل ميكونِس، عواصف الزمن (تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1969)، ص 129 - 130 (بالعبرية).

(288) المرجع نفسه.

(289) مئير فلنر، "بشأن مكانة القدس"، كول هعام، 6/8/1948.

(290) مئير فلنر، "إلى أين تقود الهدنة"، كول هعام، 10/8/1948.

(291) المرجع نفسه.

(292) "افتتاح مجلس الهستدروت الـ 61 في تل أبيب"، كول هعام، 11/8/1948.

(293) المرجع نفسه.

(294) "كل شيء من أجل الجبهة وكل شيء من أجل الانتصار"، كول هعام، 20/8/1948.

(295) المرجع نفسه.

(296) "عشرة آلاف يهودي استمعوا للحزب الشيوعي الإسرائيلي"، كول هعام، 23/8/1948.

(297) "طلب وقح"، كول هعام، 27/8/1948.

(298) المرجع نفسه.

(299) المرجع نفسه.

(300) مئير فلنر، "إزاء المؤامرات الجديدة"، كول هعام، 27/8/1948.

(301) "إلى جلسة مجلس الأمن"، كول هعام، 30/8/1948.

(302) "بعد اغتيال برنادوت"، كول هعام، 19/9/1948.

(303) "المؤامرات البرنادوتية لا تزال قائمة"، كول هعام، 21/9/1948.

(304) "ش. ميكونِس اجتمع برئيس الحكومة د. بن غوريون"، كول هعام، 23/9/1948.

(305) المرجع نفسه.

(306) دافيد بن غوريون، يوميات الحرب: حرب الاستقلال 1948 – 1949، ج 2 (تل أبيب: وزارة الأمن، 1982)، ص 690 (بالعبرية).
(307) المرجع نفسه.
(308) المرجع نفسه، ص 689.
(309) المرجع نفسه، ص 690.
(310) "في بوادي النقب"، كول هعام، 22/9/1948؛ يُنظر أيضًا: أ. برغر، "كيف نطوّر النقب"، كول هعام، 7/10/1948.
(311) "المعركة على النقب"، كول هعام، 17/10/1948.
(312) "الشرط المسبق"، كول هعام، 19/10/1948.
(313) "ماذا بعد وقف إطلاق النار"، كول هعام، 20/10/1948.
(314) "المداولات في شأن وقف إطلاق النار"، كول هعام، 21/10/1948.
(315) "أقيمت نقطة استيطانية على اسم مورغنتاو - تل شاحر"، كول هعام، 28/10/1948.
(316) "قرار اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني"، الاتحاد، 18/10/1948. للمزيد عن هذه المذكرة، يُنظر الملحق (8).
(317) "قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي"، الاتحاد، 18/10/1948. للمزيد عن هذه الرسالة، يُنظر الملحق (9).
(318) المرجع نفسه.
(319) "قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تحويل عصبة التحرر الوطني في المناطق الواقعة تحت السلطة الإسرائيلية إلى فروع للحزب الشيوعي الإسرائيلي"، الاتحاد، 26/6/1949. للمزيد، يُنظر الملحق (10).
(320) أرشيف معهد لافون، "شهادة ميكونِس"، رقم 104 - 151A - 85 - 1v، ص 148 (بالعبرية). اعتزّ ميكونِس، في شهادته تلك، بتصويت توفيق طوبي مع أعضاء الكنيست اليهود التابعين للحزب الشيوعي الإسرائيلي لصالح قانون العودة، شارحًا ذلك بأن قانون العودة الذي يسمح لكل يهودي في العالم بالهجرة إلى إسرائيل، في الوقت الذي تمنع فيه إسرائيل الفلسطينيين أصحاب البلاد الأصليين من العودة إلى ديارهم، ليس عنصريًا.

(321) يُنظر مثلًا: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، المؤتمر الخامس عشر (تل أبيب يافا: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1968)، ص

5. تنصّ كلمات نشيد "هتِكفا" على ما يلي: "طالما في القلب تكمن نفس يهودية تتوق، وللأمام نحو الشرق، عين تنظر إلى صهيون، أملنا لم يضع بعد، أمل عمره ألفا عام، أن نكون أمة حرة في بلادنا، بلاد صهيون وأورشليم". وما تجدر الإشارة إليه، أن الحزب لم يكن مرغمًا من الناحية القانونية على إنشاد هذا النشيد أو رفع العلم الإسرائيلي في مراسيم الحزب واجتماعاته. وقد استمر فرض ذلك كله على أعضائه أكثر من ثلاثة عقود، بهدف أسرلتهم.

(322) يُنظر مثلًا: "النظام الداخلي للحزب الشيوعي الإسرائيلي"، في: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي (تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1952)، ص 274 (بالعبرية).

(323) "خطاب شموئيل ميكونِس في الكنيست"، في: محاضر الكنيست (أيلول/ سبتمبر 1949)، ص 1530 (بالعبرية).

(324) المرجع نفسه.

(325) المرجع نفسه.

(326) اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي (تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1952)، ص 157 (بالعبرية).

(327) "حول الخدمة العسكرية القومية للمواطنين العرب في إسرائيل: القرار بتجنيد الشبان العرب سيرفع النضال ضدّ الاضطهاد القومي إلى مرتبة أعلى"، الاتحاد، 23/7/1954.

(328) المرجع نفسه؛ يُنظر أيضًا افتتاحية الاتحاد: "كلمة الاتحاد: حول القرار بتجنيد الشبان العرب"، الاتحاد، 20/8/1954.

(329) "حول الخدمة العسكرية القومية للمواطنين العرب في إسرائيل: القرار بتجنيد الشبان العرب سيرفع النضال ضدّ الاضطهاد القومي إلى مرتبة أعلى"، الاتحاد، 23/7/1954. وغني عن القول إن الحكومة الإسرائيلية لم تفرض الخدمة الإلزامية على المواطنين العرب في إسرائيل.

(330) بلغ عدد المتطوّعين من غير اليهود آلافًا عدة.

(331) "في اتجاه مفاوضات ثانية في رودس"، كول هعام، 10/1/1949.

(332) المرجع نفسه.

(333) "لن نقبل بسياسة الانسحاب"، كول هعام، 24/1/1949.

(334) المرجع نفسه.

(335) "أسس اتفاق رودس"، كول هعام، 25/2/1949.

(336) المرجع نفسه.

(337) "توقيع الاتفاقية"، كول هعام، 24/3/1949.

(338) المرجع نفسه.

(339) "في أعقاب الاتفاقية مع الأردن"، كول هعام، 5/4/1949.

(340) "على هامش الاتفاقية مع سورية"، كول هعام، 21/7/1949.

(341) المرجع نفسه.

(342) دافيد بن غوريون، من اليوميات: حرب الاستقلال 1948 – 1949، غرشون ريفلين وإلحنان أورن (محرران) (تل أبيب: وزارة الأمن، 1986)، ص 450 (بالعبرية).

(343) المرجع نفسه.

(344) المرجع نفسه.

خلاصة

كان دعم الحزب الشيوعي الإسرائيلي، في تشرين الأول/أكتوبر 1947، من أجل إنشاء دولة يهودية للمستوطنين اليهود في فلسطين، تتويجًا للتغيير التدريجي الذي حدث في سياسته تجاه القضية الفلسطينية والمشروع الصهيوني، منذ مؤتمره العام المنعقد في سنة 1944 الذي عبّر فيه عن قناعته بأن المستوطنين اليهود في فلسطين باتوا يشكّلون أقلية قومية لها حقوقها القومية في فلسطين. وشرع الحزب الشيوعي منذ مؤتمره العام الثامن في السير بخطى ثابتةٍ نحو الصهيونية، ونحو تحقيق هدفها الأساسي، وهو إنشاء وطن قومي يهودي ودولة يهودية في فلسطين، إلى أن تماهى مع هذا الهدف ووضع طاقاته كلها لتحقيقه. دعم الحزب الشيوعي في مؤتمره العام التاسع المنعقد في سنة 1945 إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، ودعا إلى "التطوّر الحر للوطن القومي اليهودي" في فلسطين، وطالب بفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتسهيل الاستيطان اليهودي فيها. وأعرب مؤتمره العام العاشر في سنة 1946 عن قناعته بأن "الوطن القومي اليهودي بات حقيقة"، وأن المستوطنين اليهود في فلسطين باتوا يشكّلون أمة لها حقوق قومية في فلسطين، ودعا إلى إقامة دولة ثنائية القومية عربية - يهودية، في فلسطين، وذلك في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفياتي لا يزال يرفض إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين من منطلقات أيديولوجية وسياسية.

لقد ساهمت عوامل أساسية عدة في تبنّي الحزب الشيوعي الإسرائيلي، بقيادة شموئيل ميكونِس ومئير فلنر، هذه المواقف المشار إليها سابقًا، وكان أهمها الخلفية الصهيونية لتأسيس الحزب الشيوعي وواقع وجوده في فلسطين باعتباره جزءًا من حركة كولونيالية استيطانية تسعى إلى إقامة دولة للمستوطنين اليهود في فلسطين على حساب الشعب العربي الفلسطيني وأنقاضه. كان قادة الحزب الشيوعي الإسرائيلي وأعضاؤه مستوطنين يهود، جاؤوها مهاجرين من أوروبا في إطار حركات وأحزاب صهيونية يسارية، في سياق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين. وقد ظلّوا منخرطين في مجتمع المستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين، ولم يحاولوا الانسلاخ عنه، كما لم يسعوا إلى الاندماج في الشعب العربي الفلسطيني الذي كان يشكّل الأغلبية العظمى في فلسطين، فظلّوا غرباء عن الشعب الفلسطيني، كما كانت حال مجمل مجتمع المستوطنين الكولونياليين اليهود في فلسطين.

أضف إلى ذلك، ازدياد تأثير الأيديولوجية الصهيونية على الحزب الشيوعي

خلال وبعد الحرب العالمية الثانية، في ضوء المحرقة التي تعرّض لها اليهود في أوروبا خلال تلك الحرب.
لقد كانت المسافة قصيرة بين تأكيد الحزب الشيوعي الإسرائيلي في سنة 1946 أن الوطن القومي اليهودي بات حقيقة، وإمكانية دعمه إقامة دولة يهودية للمستوطنين اليهود في فلسطين. لكن كانت لا تزال حينئذ عقبة مهمة أمام إمكانية دعم الحزب الشيوعي الإسرائيلي إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وهي موقف الاتحاد السوفياتي الذي كان يعارض بوضوح - حتى تصريح أندريه غروميكو في أيار/مايو 1947 - إنشاء دولة يهودية في فلسطين. وما أن حسم الاتحاد السوفياتي موقفه، وبدأ يؤيد منذ 13 تشرين الأول/أكتوبر 1947 توصية الأغلبية في لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، والتي كانت الولايات المتحدة الأميركية تقودها بكل قوة، كانت والقاضية بتقسيم فلسطين وإنشاء دولتين فيها؛ واحدة يهودية وأخرى عربية، حتى سارع الحزب إلى دعم إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وبدأ يعمل بطاقاته كلها لتحقيق ذلك، قبل شهر ونصف الشهر من إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين، في 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1947. وانسجامًا مع موقفه السياسي الجديد، حينئذ، غيّر الحزب اسمه من الحزب الشيوعي الفلسطيني إلى الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي.
وفور صدور قرار التقسيم، انخرط الحزب في الاستراتيجية الإسرائيلية طيلة فترة حرب 1948، في جميع المجالات؛ العسكرية والسياسية والفكرية والإعلامية والأممية، من أجل إقامة الدولة اليهودية في فلسطين وفرضها بقوة السلاح على الشعب العربي الفلسطيني، بل وزايد على الحركات الصهيونية الأخرى في الوطنية الإسرائيلية، وحاول أن يوفّق بين هذه المواقف وأيديولوجيته باستخدام مصطلحات طبقية في وصف الصراع الوطني مع حركة صهيونية استعمارية، مثل اعتبار الفلسطينيين مخدوعين من رجعية عربية وعصابات، وأنهم عملاء للإنكليز. وقد شرع الحزب الشيوعي منذئذ، وطيلة حرب 1948، في اتخاذ مواقف متشدّدة في شأن إنشاء الدولة اليهودية وتوسيع حدودها، فاقت في كثير من الأحيان مواقف قيادة الييشوف اليهودي والحكومة الإسرائيلية المؤقتة التي شرع الحزب في اتهامها بالتقصير في حشد طاقات الشعب اليهودي لإقامة الدولة اليهودية، وبالتهادن مع الدول الاستعمارية وخضوعها لإملاءاتها، سواء في ما يخصّ مسألة عدم الإسراع في اتخاذ الإجراءات لإنشاء الدولة اليهودية، أو اتهامها بعدم إقدامها على احتلال المزيد من المناطق الواقعة خارج حدود الدولة اليهودية بسبب انصياعها لإملاءات الدول الاستعمارية. ولهذا الغرض، كان مستعدًا لتزوير التاريخ باعتبار بريطانيا والولايات المتحدة أعداء لمشروع إقامة الدولة اليهودية.
وعلى الرغم من إعلانه قبول قرار التقسيم، فإن الحزب الشيوعي الإسرائيلي اتخذ موقفًا مخاتلًا في شأن تنفيذ هذا القرار، وخاصة في شأن إنشاء الدولة

العربية الفلسطينة، ولم يلتزم بأي بند من بنوده، إلّا ببند إقامة الدولة اليهودية في فلسطين. وفي سياق اندماجه الكامل في الاستراتيجية الإسرائيلية في حرب 1948، لفرض قيام الدولة اليهودية بقوة السلاح ضدّ إرادة الشعب العربي الفلسطيني على أكبر مساحة ممكنة من فلسطين، اتخذ الحزب الشيوعي السياسات والخطوات التالية:

أولًا: انخرط أعضاء الحزب الشيوعي الإسرائيلي وأنصاره، في بداية سنة

1948، في صفوف البلماح والهاغاناه، ومن ثم في الجيش الإسرائيلي عند تأسيسه في 26 أيار/مايو 1948، وشاركوا في القتال ضدّ الشعب الفلسطيني والدول العربية، وفي احتلال المدن والبلدات والقرى الفلسطينية، كما في ارتكاب المجازر بحقّهم وطردهم منها.

ثانيًا: وضع الحزب علاقاته مع دول أوروبا الشرقية تحت تصرّف القيادة

الصهيونية لغرض تحصيل السلاح وتأمين هجرة شباب يهود قادرين على القتال إلى إسرائيل. وسعى بطاقاته كلها إلى الحصول على السلاح الحديث والعتاد والمقاتلين والخبراء العسكريين والهجرة اليهودية. وفي هذا السياق، زار عدد من قياديي الحزب الشيوعي الإسرائيلي دول أوروبا الشرقية، ومن ضمنهم أمين عام الحزب الشيوعي الإسرائيلي شموئيل ميكونِس الذي مكث في كلٍ من رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وبلغاريا وبولندا نحو خمسة أشهر، في الفترة ما بين شباط/فبراير وتموز/يوليو 1948، عاد خلالها إلى تل أبيب في شهر أيار/مايو فترة وجيزة.

وقد ساهم الحزب الشيوعي الإسرائيلي مساهمة مهمة، من خلال علاقاته الرفاقية مع الأحزاب الشيوعية الحاكمة حينئذ في دول أوروبا الشرقية، في تسهيل حصول الييشوف اليهودي، ومن ثم إسرائيل، على مختلف أشكال الدعم العسكري والسياسي لخدمة حربها ضدّ الشعب العربي الفلسطيني والدول العربية. كما ساهم مساهمة مهمة أيضًا من خلال علاقاته مع القيادة التشيكوسلوفاكية، بعد وصول الشيوعيين إلى الحكم في تشيكوسلوفاكيا، في شباط/فبراير 1948، في تسهيل حصول إسرائيل على كميات كبيرة للغاية من مختلف الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، وفاخر بتأمين بيع تشيكوسلوفاكيا إلى إسرائيل 85 طائرة عسكرية، وتدريب طيارين إسرائيليين وغيرهم في تشيكوسلوفاكيا، والتي شكّلت سلاح الجو الإسرائيلي، وشاركت مشاركة فعّالة في الحرب. لقد كان الييشوف اليهودي بأمسّ الحاجة إلى السلاح والعتاد في تلك الفترة؛ إذ كانت الهاغاناه تملك حتى شهر آذار/مارس 1948 نحو عشرة آلاف بندقية فقط، بالإضافة إلى القليل من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة الأخرى. وبفضل صفقات السلاح التي عقدها الييشوف وإسرائيل مع تشيكوسلوفاكيا، والتي ساهم الحزب مساهمة مهمة في تسهيلها، بدأت

تتدفق، منذ نهاية آذار/مارس 1948، الأسلحة المختلفة من تشيكوسلوفاكيا إلى اليشوف، ومن ثم إلى إسرائيل. وقد حلّ وصول هذا السلاح إلى إسرائيل في تلك الفترة الحاسمة المشكلة الأساسية المتمثّلة في نقص السلاح، ومكّنها من تسليح جيشها بهذا السلاح أساسًا، والذي خاضت به الحرب. كذلك ساهم الحزب مساهمة مهمة، عبر علاقاته مع تلك الدول، في تزويد إسرائيل بالمقاتلين والخبراء العسكريين اليهود ونقل المقاتلين اليهود إبّان الحرب.

ثالثًا: بادر أمين عام الحزب، ميكونِس، أثناء وجوده في تشيكوسلوفاكيا، إلى إقامة الفيلق التشيكوسلوفاكي الذي شُكّل من مقاتلين تشيكوسلوفاكيين - يهود أساسًا - ذوي الخبرة العسكرية. وقد بلغ تعداد هذا الفيلق 1500 عسكري، انخرطوا في الجيش الإسرائيلي عند وصولهم إلى إسرائيل، في الفترة الممتدة من كانون الأول/ديسمبر 1948 إلى شباط/فبراير 1949.

رابعًا: أولى الحزب الشيوعي الإسرائيلي أهمية قصوى، مثل بقية الأحزاب الإسرائيلية، لهجرة يهود أوروبا الشرقية إلى إسرائيل في تلك الفترة، لسببين رئيسين: الأول، من أجل مدّ إسرائيل بالطاقة البشرية المقاتلة للمشاركة في حرب 1948؛ والثاني، من أجل توطين المهاجرين اليهود في المدن والبلدات والقرى الفلسطينية التي هجّر الجيش الإسرائيلي الفلسطينيين منها، وذلك لتهويدها وخلق واقع ديموغرافي جديد يحول دون عودة اللاجئين الفلسطينيين إليها. وقد ساهمت الجهود التي بذلها الحزب الشيوعي الإسرائيلي، إلى جانب جهود الحكومة الإسرائيلية، في هجرة 250 ألف يهودي من دول أوروبا الشرقية، منذ صدور قرار التقسيم وحتى نهاية سنة 1949، وقد جرى توطينهم بتأييد علني وواضح من الحزب الشيوعي الإسرائيلي في بيوت العرب الفلسطينيين في المدن والبلدات والقرى العربية التي هجّر الجيش الإسرائيلي الفلسطينيين منها. وفي العديد من الحالات، بادر الحزب الشيوعي بنفسه إلى توطين أنصاره وأعضائه من المهاجرين اليهود الجدد في القرى الفلسطينية، كما حدث في قريتي إجزم (كيرم مهرال) والجاعونة (روش بينا).

خامسًا: بخلاف موقفه الداعم للهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية ودول العالم إلى إسرائيل، والمنادي بتنفيذها فورًا وبأسرع وقت، ومن دون قيد أو شرط، لم يطالب الحزب الشيوعي الإسرائيلي في تلك الفترة - ولا حتى لاحقًا - بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هُجّروا منها من دون قيد أو شرط. ففي الوقت الذي أقرّ بحقّ اللاجئين الفلسطينيين بالعودة نظريًا، فإنه ربط تحقيق هذا الحقّ بالتوصّل إلى حلّ للقضية الفلسطينية وللصراع العربي - الإسرائيلي من خلال مفاوضات مباشرة بين إسرائيل والدول العربية، وهو الأمر الذي كان تحقيقه مستبعدًا جدًا في تلك الفترة.

سادسًا: دعم الحزب بشكل صريح وواضح احتلال الجيش الإسرائيلي مناطق واسعة تابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم.

سابعًا: تمسّك الحزب بشدة بجميع الأراضي التي احتلها الجيش الإسرائيلي، والتابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم، ورفض انسحاب الجيش الإسرائيلي منها، واعتبرها جزءًا من إسرائيل، ودعم إقامة المستوطنات اليهودية فيها على أنقاض القرى والبلدات الفلسطينية التي طرد الجيش الإسرائيلي الفلسطينيين منها.

ثامنًا: أيد الحزب احتلال الهاغاناه والجيش الإسرائيلي للقدس ومنطقتها وقراها العربية التي كانت خارج حدود الدولة اليهودية وفق قرار التقسيم، وتقع في منطقة الوصاية الدولية وفق ذلك القرار. وقد عدّ الحزب الشيوعي الإسرائيلي هذا الاحتلال "تحريرًا"، واعتبر القدس جزءًا من دولة إسرائيل، ورفض بشدة انسحاب الجيش الإسرائيلي من المناطق التي احتلها في القدس، وانتقد الحكومة الإسرائيلية بسبب تقصيرها، وفق اعتقاده، في احتلال القدس العربية القديمة.

تاسعًا: كان الحزب يدرك أن العرب الفلسطينيين يشكّلون نصف السكان على الأقل في المنطقة التي خصّصها قرار التقسيم لإقامة الدولة اليهودية، وفق ما صرّح به الحزب الشيوعي نفسه قبل صدور هذا القرار. وكان يدرك أيضًا أنه لا يمكن أن تكون الدولة اليهودية التي يشكّل الفلسطينيون نصف سكانها على الأقل يهودية فعلًا، إلّا بطرد جميع الفلسطينيين أو أغلبيتهم منها. ولم يكن حينئذ موضوع طرد الفلسطينيين من المنطقة التي ستقام عليها الدولة اليهودية أحجية لدى قيادة الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية في فلسطين، وإنما كان أمرًا مفروغًا منه، ولا بد من القيام به باعتباره جزءًا من إقامة الدولة اليهودية، لأنه من دون تنفيذه لن تكون هذه الدولة دولة يهودية، وإنما دولة ثنائية القومية. ولم تشأ القيادة الإسرائيلية، ولا الحزب الشيوعي الإسرائيلي، أن تحمّل إسرائيل مسؤولية طرد الفلسطينيين الذي اعتبرتاه شرًا، أو ربما خيرًا، لا بد منه، لأن لهذا الأمر تبعات سياسية وقانونية وأخلاقية. لذلك اختار الحزب الشيوعي الإسرائيلي، منسجمًا في موقفه مع موقف الحكومة الإسرائيلية والرواية التاريخية الإسرائيلية، أن ينفي تنفيذ التنظيمات العسكرية اليهودية والجيش الإسرائيلي طرد الفلسطينيين من ديارهم، وأن يبرّئ إسرائيل من هذه الجريمة، وأن يحمّل مسؤوليتها إلى القيادة الفلسطينية والاستعمار البريطاني وقيادات الدول العربية، ويدّعي أنها مؤامرة استعمارية لتشويه سمعة إسرائيل.

ولم يكتفِ الحزب بتبرئة التنظيمات العسكرية اليهودية والجيش الإسرائيلي من طرد الفلسطينيين من المنطقة المخصّصة للدولة اليهودية وفق قرار التقسيم، وإنما برّأ أيضًا الجيش الإسرائيلي من طرد الفلسطينيين من المناطق التي احتلها، والتابعة للدولة العربية الفلسطينية وفق ذلك القرار. وقد كانت عمليات الجيش الإسرائيلي في طرد الفلسطينيين معروفة وواضحة لمجتمع المستوطنين اليهود في فلسطين، وعلمت بها حينئذ جميع القيادات والنُخب الإسرائيلية، بما فيها قيادة الحزب الشيوعي، مثل طرد الفلسطينيين من مدينتي اللد والرملة وقراهما، وغيرها كثير من المناطق، والتي لم يكن فيها لا جيش عربي ولا بريطاني. ولكن الحزب أصرّ على تبرئة الجيش الإسرائيلي من هذه الجريمة، وأصرّ على تحميلها للقيادة الفلسطينية والاستعمار البريطاني وقيادات الدول العربية، وعلى ادّعائه أنها مؤامرة استعمارية بريطانية.

عاشرًا: تجاهل الحزب الشيوعي الإسرائيلي جرائم الحرب والجرائم ضدّ

الإنسانية والفظائع والقتل بدم بارد وعمليات الاغتصاب والمجازر الكثيرة التي ارتكبتها التنظيمات العسكرية اليهودية والجيش الإسرائيلي بحقّ الفلسطينيين في حرب 1948، في طول فلسطين وعرضها، والتي زادت على 110 مجازر. وبدلًا من أن يدين جرائم الحرب والمجازر تلك، والتي ارتكبتها المنظمات العسكرية اليهودية والجيش الإسرائيلي الذي كان يخدم فيه نحو 3000 من أعضاء الحزب أنصاره في سنة 1948 وبداية سنة 1949، جنبًا إلى جنب مع قوات البلماح والهاغاناه وإتسِل وليحي التي انخرطت في الجيش الإسرائيلي بعد تشكيله، فإن الحزب الشيوعي الإسرائيلي مجّد الجيش الإسرائيلي وادّعى أنه يقاتل من أجل "التحرر من الاستعمار البريطاني"، علمًا أن هذا الجيش لم يطلق رصاصة واحدة طيلة الحرب ضدّ الجيش البريطاني.

الملاحق

الملحق (1)

إعلان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في شأن قرار التقسيم

اتخذ القرار التاريخي. لقد تغلبت قوى الديمقراطية وفي رأسها الاتحاد السوفياتي الاشتراكي على جميع قوى القتل والتخريب. لقد انتصر شعبا بلادنا والشعب اليهودي كله، وقضية تحررنا القومي واستقلالنا السياسي، انتصارًا تاريخيًا.

ناضل حزبنا دوما وأبدًا ضد الإمبريالية ومن أجل استقلال حقيقي وأخوّة الشعوب في بلادنا. وقد أشرنا إلى الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية كأصدقاء حقيقيين لشعبنا. لقد ناضلنا من أجل نقل قضية البلاد إلى منظمة الأمم المتحدة، ونحن جميعًا نحتفل اليوم بانتصار العدل والديمقراطية. لقد حصلنا على الاعتراف الدولي بنا شعبًا ودولةً. إن قرار الأمم المتحدة بإقامة دولتين مستقلتين، يهودية وعربية، يخلق ظروفًا سياسية جديدة. لذلك فإن اسم حزبنا، الحزب الشيوعي الفلسطيني، ما عاد يناسب هذا الوضع الجديد، وقد قررنا، بناء على هذا التغيير السياسي، تغيير اسم الحزب إلى الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي.

إن الحزب الشيوعي الذي يقف في طليعة الحرب من أجل التحرر القومي والاجتماعي وفق مبادئ الماركسية اللينينية، والذي يمثّل المصالح المشتركة لجماهير الكادحين في بلادنا من دون التمييز في القومية والعرق، ويناضل دومًا من أجلهم، والذي يرى في الوحدة الأممية للطبقة العاملة وفي التعاون الديمقراطي بين شعبي البلاد الطريق والضمانة للتحرر القومي الكامل والاستقلال، يدعو كادحي أرض - إسرائيل إلى الانخراط في صفوف الحزب من أجل تعزيز الحرب لتحررنا القومي.

في ضوء مؤامرات الإمبريالية للتخريب بالقرار التاريخي للأمم المتحدة، سنعزز من قوتنا لحرب مثابرة وغير مرتدعة من أجل تحقيق استقلالنا القومي.

1 - تعيش القوى الديمقراطية المعادية للإمبريالية!
2 - يعيش التعاون اليهودي - العربي!
3 - تعيش الدولة اليهودية المستقلة والديمقراطية!
4 - يعيش الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي!

الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي اللجنة المركزية
30/11/1949

المصدر: كول هعام، 1/12/1947.

الملحق (2)
بيان الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي إلى الييشوف ليفتح الميناء.. لتؤسس الميليشيا رغم أنف بيفن! نطالب بتمثيل كل قوى الاستقلال في قيادة حربنا!

الوضع في البلاد يزداد خطورة يومًا بعد آخر، وهناك مخاطر كبيرة تقف في طريق تحقيق قرارات الأمم المتحدة. لقد نقضت الحكومة البريطانية تعهدها الذي يلزمها، طبقًا لقرارات الأمم المتحدة، بالجلاء عن الميناء البحري [في تل أبيب] وعن المجال حوله جلاءً كافيًا، لتعزيز وتسهيل الهجرة اليهودية الفعلية. إن هذا سابقة خطيرة بالنسبة للتواريخ الأخرى المهمة المرتبطة بإقامة الدولة المستقلة.

إن الحكومة الأميركية تؤيد، في حقيقة الأمر، سياسة إنكلترا التخريبية، وتمتنع عن تأييد اتخاذ خطوات فعالة لتحقيق القرارات بواسطة مجلس الأمن التي يطالب بها الاتحاد السوفياتي ولجنة التنفيذ التابعة للأمم المتحدة. ويستمر أتباع الإمبريالية، أمام أعيننا، في تجنيد عصابات وزمر عربية في البلاد وفي البلدان العربية المجاورة، بواسطة الرجعية العربية. والجيش والشرطة البريطانيان يُسقطان يوميًا شهداء يهودًا، ويهدمان بيوتًا ومواقع دفاعية، ويُزجّ في السجن المدافعون وتصادر أموالهم.

وتستكمل الإمبريالية دائرة الفوضى السائدة في الساحة الأمنية بفوضى اقتصادية، فتقطع الإمدادات من البحر، وتعرقل المواصلات، وتخلق بطالة جماهيرية وآلامًا لآلاف اللاجئين [اليهود]، وترتفع أسعار السلع وتزدهر السمسرة.

هناك محن خطيرة تنتظرنا؛ فالإمبريالية لا تتورّع عن استخدام أي وسيلة. إزاء هذا الوضع، فإنه لم يُجند الييشوف كله لوقف الهجوم الإمبريالي ولضمان الاستقلال القومي. إن أجزاء كبيرة، وذات نفوذ واسع في الوكالة اليهودية بأجنحتها الأميركية والبريطانية والأرض - إسرائيلية، ليست مستعدة لخوض حرب متواصلة لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة. إنها مستمرة في إقامة حلف مع الإمبريالية ومستعدة لإطاعة أوامرها. إن صعوبة الوضع تمنحها "تبريرات" للمساومة في واشنطن ولندن والقدس.

إن "نسيان" اتهام بريطانيا بصورة واضحة في مجلس الأمن، والتسليم بعدم فتح الميناء في الأول من شباط/فبراير، ووقف الهجرة اليهودية، والوقوف مكتوفي الأيدي أمام الدعاية الأميركية حول "تسلل الشيوعيين"، وإرسال [يسرائيل] روكاح إلى أميركا، واستقالة الدكتور [موشيه] سنيه، والهيمنة الواسعة التي تحظى بها البرجوازية والتصحيحيون في المؤسسات الإدارية للأمن والجباية؛ كل ذلك يدل على التوجه لوضع استقلالنا القومي وسيادتنا بين يدي مارشال - بيفن وعملائهما داخل البرجوازية اليهودية.
لذلك، لا بد من الكشف عن ضعف الدوائر المتنفذة في الوكالة اليهودية وفي اللجنة القومية، في تجنيد الييشوف لحرب الدفاع، وفي تجنيد الوسائل المطلوبة لتمويل الفعاليات المتعلقة بتعزيز الأمن، وفي تأمين العائلات واللاجئين [اليهود] وضمان حل مركزي وصارم للتموين وتوزيعه. لذلك، بهذا الأمر، لا بد من تفسير اللامبالاة تجاه مصادرة السلاح وسجن المدافعين. ومن هنا ينبع النقص في اتّباع سياسة سلام عملية وصادقة تجاه جماهير الشعب العربي المحبة للسلام. ومن هنا [ينبع] عدم الاستعداد لفتح ميناء تل أبيب بالقوى الذاتية أمام الهجرة اليهودية في الأول من شباط/فبراير، وعدم الاستعداد لإظهار التصميم على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة كاملة.
طالبنا ونطالب بتوسيع التجنيد، وإقامة الميليشيا الشعبية الديمقراطية وإقامة نظام طوارئ يستند إلى "المساواة في التضحية"؛ نظام يهتم بصورة رسمية بالجبهة والعمق. طالبنا ونطالب بأن تشترك القوى الديمقراطية كلها اشتراكًا كاملًا في مؤسسات الأمن وتجنيد القوى البشرية والمادية لتحسين الأداء، ولتحقيق الوحدة القتالية للييشوف، ولزيادة ثقة الشعب، ولنيل ثقة القوى التقدّمية في العالم لصالح حربنا في سبيل استقلالنا القومي.
منذ أشهر ونحن نطالب باشتراك الحزب الشيوعي في مؤسسات الأمن والجباية. ونحن، الواقفين بقوتنا كلها في معركة التجنيد والحرب ضدّ محبطي قرارات الأمم المتحدة، المناضلين في سبيل استقلال حقيقي وديمقراطي، لم يُستجب طلبنا بعد؛ فالوكالة اليهودية تصبّ اهتمامها على المنظمة العسكرية القومية (إتسِل) وعلى قوى الرجعية في الييشوف، وليس على قوى الديمقراطيةَ والتقدّم. لا يمكن أن تكون جبهة ديمقراطية من أجل الاستقلال القومي للييشوف اليهودي في البلاد، ولا يمكن أن تكون حرب مظفرة من أجل إقامة الدولة اليهودية ومن أجل السلام في البلاد، من دون اشتراك الحزب الشيوعي.
هناك مخاطر شديدة تتربّص بالييشوف وبقضية استقلالنا من قوى خارجية إمبريالية، ومن أتباعها من القوى الداخلية الرجعية. إن هذا الوضع يتطلب قيادة مناضلة وديمقراطية تمثّل جميع قوى الاستقلال والتقدّم في الييشوف.
إننا نناشد جميع هذه القوى أن تبذل أقصى ما في وسعها لتغيير الوضع، ولقطع الطرق المؤدية إلى تجديد الحلف مع الإمبريالية، ولاتّباع سياسة سلام وتهاون

مع العرب، ولتحقيق تطلّعاتنا إلى الاستقلال الكامل، وإلى دولة ديمقراطية ومحبة للسلام.

الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي اللجنة المركزية

المصدر: كول هعام، 5/2/1948.

الملحق (3)
بيان الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي إلى الييشوف لتُشكّل فورًا الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية إلى جمهور العمال، إلى جمهور الييشوف!

أصبح التخريب الأميركي على قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بإقامة الدولة اليهودية خيانة مكشوفة. إن اقتراح أميركا فرض نظام "وصاية" على أرض - إسرائيل، يعني استمرار القمع البريطاني القديم باشتراك المستعبد الأميركي.
لقد كان غروميكو، مندوب الاتحاد السوفياتي، هو الوحيد الذي رفع صوته ضد المؤامرة الأميركية وطلب بشدة اتخاذ خطوات عاجلة لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة.
أيها العمال، أيها الشباب، يا أبناء الييشوف
إن استقلال الييشوف اليهودي لا يعتمد على الاعتبارات والمؤامرات الإمبريالية لمستعبدي الشعوب ومثيري الحروب في واشنطن ولندن.
إن حريتنا تعتمد علينا، نحن الييشوف اليهودي. نستطيع الحصول على استقلالنا القومي من خلال الحرب فقط. إننا لسنا معزولين، لنا حلفاء عظماء؛ الاتحاد السوفياتي وبلدان الديمقراطية الشعبية في شرق أوروبا، والشعب اليهودي كله، والقوى التقدمية كلها في العالم تقف إلى جانبنا!
لنحارب ضد كل محاولة للاستسلام! لنجنّد الييشوف كله في معسكر مقاتل لإقامة دولتنا. لنقاوم كل عمل عدائي من جانب الإمبرياليين الغرباء وعصاباتهم العربية المأجورة. لنحارب من أجل الجلاء الكامل للجيش البريطاني وضد التسلل الأميركي. لنقاوم "الوصاية" الأنكلو - أميركية، الغطاء الجديد للاستعباد الأجنبي. فلتسقط الإمبريالية الأنكلو - أميركية.
لتُشكّل فورًا الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية.
اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي

المصدر: كول هعام، 22/3/1948.

الملحق (4)
مات الانتداب البريطاني وعاشت الدولة اليهودية المستقلة الديمقراطية

إنه ليوم عظيم هذا اليوم؛ فقد مات الانتداب البريطاني المخضب بالدماء، وقامت الدولة اليهودية. لقد زال الانتداب البريطاني بفضل حرب الييشوف البطولية من أجل الاستقلال، وبفضل المساعدة التي قدّمها الاتحاد السوفياتي والقوى التقدمية كلها في العالم.

ولكن المعركة من أجل الاستقلال لم تنتهِ بعد، فما زالت جيوش بريطانية تجثم على أرضنا. لقد حرّك البريطانيون جيش عبد الله في هجوم شرس. وكما تم إنهاء الانتداب بواسطة حرب التحرير للييشوف، فإن استقلالنا سوف يتحقق بواسطة تجنيد قوى الييشوف في حرب حريتنا. إن الشعب اليهودي جميعه يقف إلى جانبنا، وكذلك جميع قوى التقدّم في العالم. إننا سنحارب وسننتصر.

إن الإعلان عن الحكومة والدولة اليهودية يعني كسر تقليد الانصياع لأوامر واشنطن ولندن. في هذا اليوم العظيم، نعلن ونصرح بأننا نسعى إلى السلام والتعاون مع المواطنين العرب في دولتنا، وأن أيدينا ممدودة للتحالف والاتفاق مع شعوب البلدان العربية المجاورة، مع استقلالهم واستقلالنا، ضد العدو الإمبريالي المشترك.

تعيش دولتنا وطنًا حرًا لكل مواطنيها!

تعيش الدولة اليهودية وطنًا لجماهير العمال والشعب العامل!

لتقم وحدة ديمقراطية مقاتلة من أجل الاستقلال الكامل لدولتنا!

في هذه الساعات العصيبة والخطيرة التي نعيشها، ليكن الييشوف كله مستعدًا للدفاع عن دولتنا! أعداؤنا لن يتمكّنوا منا! أبناء الييشوف كلهم سيتحدّون في حرب الشعب في سبيل التحرير. ستواجه الهجمات بمقاومة الشعب كله!

تعيش الدولة اليهودية! تعيش دولتنا مستقلة وديمقراطية!

المجد للمدافعين، المجد للمقاتلين من أجل الاستقلال!

الموت للإمبريالية وعصاباتها! الحرية للشعب! الحق معنا! والنصر لنا!

الحزب الشيوعي الأرض - إسرائيلي اللجنة المركزية

المصدر: كول هعام، 14/5/1948.

الملحق (5)
إعلان الحزب الشيوعي في شأن تأسيس دولة إسرائيل

1 - لقد قامت دولة إسرائيل بالحرب البطولية لأبنائنا وبناتنا، وبمساعدة القوى الديمقراطية في العالم تحقق تطلع الييشوف والشعب اليهودي إلى السيادة. الحزب الشيوعي الإسرائيلي هو حزب أممي في أسسه، ومبني على أساس إقليمي سياسي، وهو يعتبر نفسه من الآن فصاعدًا الحزب الشيوعي لدولة إسرائيل. وسيكون الحزب الشيوعي مفتوحًا لجميع كادحي دولة إسرائيل الذين يقبلون أسس الماركسية اللينينية، من دون فرق في القومية والدين والجنس. سيناضل الحزب الشيوعي لدولة إسرائيل لاستقلال قومي كامل، ولتعاون يهودي - عربي، وللدفاع عن المصالح اليومية لجماهير الشعب الواسعة، ولبلورة جبهة قومية ديمقراطية، وللتحالف مع معسكر السلام والديمقراطية في العالم.

2 - سيُرفع من الآن فصاعدًا علم دولة إسرائيل إلى جانب علم الطبقة، وسيُنشد من الآن فصاعدًا نشيد الدولة إلى جانب نشيد الطبقة العاملة في الاحتفالات والاجتماعات الرسمية للحزب.

الحزب الشيوعي الإسرائيلي اللجنة المركزية

المصدر: كول هعام، 16/5/1948.

الملحق (6)
قرارات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي في اجتماعها المنعقد في 10 - 11 تموز/يوليو 1948

أ - حول مهمة الرفيق ميكونِس في أوروبا:

1 - تصدّق اللجنة المركزية على تقرير الرفيق ميكونِس حول زيارته لأوروبا، في مهمته الحزبية لتجنيد مساعدة شاملة لجبهة الحرب لدولة إسرائيل، وتعبّر عن رضاها الكامل عن الإنجازات المهمة التي تم الحصول عليها في هذا المضمار. وتبارك اللجنة المركزية فعالية ميكونِس الجذرية والسريعة من أجل زيادة التسليح لجيش الدفاع الإسرائيلي، ومن أجل تجنيد خبراء عسكريين، ومن أجل إقامة كتائب قطرية لشبيبة يهودية مقاتلة ووطنية، على قاعدة عريضة من الأحزاب والتيارات الديمقراطية كلها، وتدريبها السريع تمهيدًا لاشتراكها في جبهة حرب الاستقلال لدولة إسرائيل.

2 - تعبر اللجنة المركزية عن موافقتها على دور الرفيق ميكونِس وفعّالياته التي قام بها في سعيه إلى تجنيد الرأي العام التقدّمي في العالم، لمساعدة حرب الشعب اليهودي العادلة للاستقلال القومي، مقابل عدوانية المعسكر الإمبريالي وخدمه في "الجامعة العربية" الذين يتحملون المسؤولية المباشرة عن سفك الدماء في أرض - إسرائيل. وتثمّن اللجنة المركزية الاستجابة الرفاقية الكاملة للحركة الشيوعية والأحزاب الشقيقة ومساعدتها الكبيرة في تحقيق الخطوات التي تدعم حرب تحريرنا ودمجها في جبهة حرب الشعوب المكافحة كلها من أجل السلام والديمقراطية وأخوّة الشعوب والاستقلال القومي.

3 - وتشير اللجنة المركزية، ببالغ الرضى والتقدير، إلى المساعدة المعنوية والسياسية والمادية المقدمة لدولة إسرائيل من قوى المعسكر الديمقراطي والمعادي للإمبريالية، بزعامة الاتحاد السوفياتي ودول الديمقراطية الشعبية، وتكلّف جميع أعضاء الحزب وأنصاره بتصعيد نضال جمهور العمال والشبيبة وجماهير الشعب من أجل اتّباع سياسة تعاطف وتعاون مع هذا المعسكر العظيم، معسكر الديمقراطية والسلام.

4 - وتقرّ اللجنة المركزية الخطوات التي اتخذها الرفيق ميكونِس في سبيل تصعيد نضال القوى الديمقراطية في العالم من أجل الاعتراف بدولة إسرائيل، ومن أجل إلغاء الحظر المفروض على إرسال السلاح إلى إسرائيل من دون شروط، والذي يهدد سيادة إسرائيل، وفرضه على الدول العربية المعتدية.

5 - وتقرر اللجنة المركزية إرسال عضو سكرتارية الحزب إ. غوجانسكي فورًا إلى أوروبا للاستمرار في النشاطات لتجنيد المساعدة المتعددة الجوانب لحرب إسرائيل.

ب - حول تعزيز الحكومة المؤقتة:

تقرر اللجنة المركزية أن مجمل السياسة الخارجية والداخلية للحكومة المؤقتة لا تتناسب مع حرب الاستقلال لجماهير الشعب، ولا تعبّر بالدرجة المطلوبة عن روح ومصالح الجبهة والعمق؛ لأن السياسية الخارجية للحكومة المؤقتة تعتمد على التأقلم والمهادنة مع الإمبريالية الأنكلو - أميركية، الأمر الذي يعرّض بالضرورة سيادة دولة إسرائيل للخطر، ولأن السياسة الخارجية للحكومة تتحفظ من معسكر السلام والديمقراطية والمدافعين عن الاستقلال القومي بزعامة الاتحاد السوفياتي الذي يقف إلى جانبنا بكل الصدق والتصميم، ويقدم الكثير لتعزيز صمودنا في ساحة الحرب.

ومن جهة أخرى، تستند السياسة الداخلية للحكومة إلى مصالح البرجوازية من الناحيتين السياسية والاقتصادية، أكثر من استنادها إلى مصالح جماهير الشعب الواسعة، فقد فرضت جميع تضحيات الحرب، بالروح والمال، على كاهل الجماهير العاملة؛ فغلاء المعيشة يزداد ويرتفع، والسمسرة تزدهر، وأجرة العمل في انخفاض، والتموين غير منظم، والسلع الضرورية لا توزّع توزيعًا عادلًا، ليس هناك اهتمام بعائلات الجنود والمتضررين من القصف، ولا يزال التعرّض لحقوق التنظيم مستمرًا، وكذلك تستمر البرجوازية في ابتزازها السياسي بهدف توسيع مواقعها في الحكم، مدعومة بقوتها العسكرية - إتسِل، المنظمة العسكرية القومية، فضلًا عن تخريبها بالقرض القومي. لقد بقي معظم الجهاز الكولونيالي؛ الشرطة والبوليس السري والأقسام الحكومية الأخرى، وتواصلت السياسة غير الديمقراطية تجاه الشعب العربي.

وتقرر اللجنة المركزية أنه من أجل الدفاع عن مصالح جماهير الشعب العاملة، ومن أجل ضمان السيادة القومية، ومن أجل ضمان السيادة القومية والانتصار على الأعداء، ومن أجل بناء الجبهة القومية الديمقراطية وضمان نجاح التجنيد الشامل والكامل لجبهة الحرب، في البلاد وخارجها، فإن هناك ضرورة عاجلة لتعزيز الحكومة المؤقتة بواسطة إضافة قوى تقدّمية وانخراط الحزب الشيوعي فيها. وتناشد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي القوى التقدمية كلها في البلاد أن تقف مع هذا المطلب، وأن تناضل لتحقيقه [...].

الحزب الشيوعي الإسرائيلي اللجنة المركزية

المصدر: كول هعام، 16/7/1948.

الملحق (7)
كلمة افتتاح المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي التي ألقاها مئير فلنر

إن مؤتمرنا الحادي عشر هو أول مؤتمر لنا يُعقد في دولة إسرائيل. لقد أُجبرت الإمبريالية البريطانية على ترك الحكم السياسي والعسكري المباشرين، وكان هذا انتصارًا تاريخيًا لعشّاق الاستقلال والحرية في أرض - إسرائيل. وكانت التضحيات كبيرة؛ إذ أقام المستعبد البريطاني حكمه هنا بواسطة الجيش والشرطة والتعذيب والإرهاب وأعمال الشغب ضد اليهود والعرب، وإعدام المناضلين ضدّ الإمبريالية. طارد الحكم الأجنبي، قبل كل شيء، الحزب الشيوعي، ألدّ أعدائه، فطرد من البلاد مئات وآلاف المناضلين الشيوعيين في سبيل الحرية.

إننا نحيي في مؤتمرنا الأول في دولة إسرائيل ذكرى جميع الضحايا الأعزاء الذين سقطوا من أجل الشعب بأيدي القتلة الإمبرياليين. إننا نحيي ذكرى جميع أعضاء وشبيبة الحزب الذين سقطوا ضحية للإرهاب الكولونيالي. إننا نحيي ذكرى الرفيقة ياعل غرزون التي عُذّبت حتى الموت ببراثن كلاب الشرطة السرية البريطانية. إننا نحيي ذكرى سكرتير فرع تل أبيب الرفيق سيومه ميرونيانسكي الذي قتله أنذال يهود بدم بارد، خونة لشعبهم وخدم لحكم الاحتلال الأجنبي. لكن تضحيتهم لم تذهب عبثًا، فقد زرعوا بذرة الانتصار على الإمبريالية. إننا نُقسم أن لا نسكت أو نهدأ، حتى ينال الخونة القتلة عقابهم. سيأتي يوم يقدَّم فيه المجرمون للمحاكمة أمام الشعب الذي سيواصل حرب استقلاله حتى النهاية، وسينال القتلة عقابهم، وسوف تلحق بالمتستّرين عليهم وصمة الخزي والعار عبر التاريخ.

إننا فخورون بأن حزبنا كان الأول، بل والوحيد لفترة طويلة، الذي رسم على علمه شعار الحرب ضد الإمبريالية والحرب في سبيل الاستقلال. إننا فخورون بالكثير الذي قدمناه من أجل التحرر؛ فقد تجنّد أعضاء الحزب والشبيبة كلهم في جيش الدفاع الإسرائيلي، وفي الجهد الحربي في الجبهة الداخلية، وسقط كثيرون منهم، الأكثر طيبة وإخلاصًا، شهداء خلال الحرب ضد الغزاة وأسيادهم الإمبرياليين. لقد ضحى رفاقنا اليهود في صفوف جيش الدفاع الإسرائيلي بحياتهم في الحرب، وسقط رفاق عرب وهم يقاتلون قتالًا سريًا في عمق العدو. وقد جنّد حزبنا خلال أيام الحصار على القدس، وخلال أيام، غوش عتسيون ويد مردخاي، مساعدة حاسمة متعددة الجوانب من أوروبا الشرقية؛

فجنّدنا الهجرة اليهودية الجماهيرية المقاتلة ومساعدات أخرى لجيش الدفاع الإسرائيلي.
في حرب الاستقلال فقدنا قائدًا كبيرًا، رفيقًا محبوبًا ومبجّلًا، شيوعيًا لامعًا معصومًا عن الخطأ، ثوريًا وقائد عمّال، فقدنا سكرتير اللجنة المركزية للحزب، الرفيق إلياهو غوجانسكي. غاب للمرة الأولى من مؤتمرنا هذا الرفيق أليوشه. مرّت سنة تقريبًا منذ أن سقط أثناء أداء مهمته وهو يجنّد المساعدة من أوروبا الشرقية من أجل حرب الاستقلال لدولة إسرائيل. ولكننا ما زلنا محزونين حتى الأعماق عندما نتذكر هذه الخسارة الفادحة للحزب. ولكن أليوشه سيبقى حيًا في داخلنا إلى الأبد، وسوف تتثقف على تراثه أجيال شيوعية. إنه حي في أعيننا، حيث انبثق عنه بريق ثوري وإخلاص لا حد له للفكر الشيوعي وللطبقة العاملة والشعب، واستعداد للتضحية غير المحدودة. كان دائمًا مجندًا ويجنّد آخرين في الظروف كلها، ومخلصًا للنظرية الماركسية اللينينية.
لقد قدّم أليوشه الكثير الكثير بتأديته المهمات الحزبية الملقاة عليه، بتجنيده مساعدات كبيرة وسريعة لحرب دولة إسرائيل ضد الغزاة. إن اسم إلياهو غوجانسكي سوف يُكتب بأحرف من ذهب في تاريخ حرب استقلال دولة إسرائيل.
أيها الرفاق، إن مؤتمرنا الحادي عشر هو المؤتمر المعبّر عن انتصار فكرة الأممية العمالية وأخوّة الشعوب. قبل سنة أعيدت الوحدة الأممية للحزب، وقامت الوحدة التاريخية بين الشيوعيين اليهود والعرب في دولة إسرائيل بفيلق مناضل وموحّد ومنظّم، طليعة الطبقة العاملة وحرب التحرير القومية.
إن عودة الوحدة الأممية هي أكبر إنجاز لحزبنا في الفترة ما بين المؤتمر العاشر والحادي عشر. إن قيام حزب ثوري يهودي - عربي في دولة إسرائيل، الحزب الشيوعي الإسرائيلي، يثبت إمكانية أخوّة الشعوب وتطابق المصالح الحقيقية لجماهير الشعب، اليهود والعرب. إننا نقسم أن نحافظ على وحدة الحزب الأممية حفاظًا على بؤبؤ العين، باعتبارها السلاح الأكثر نجاعة الذي يحقق لشعبنا النصر الكامل والنهائي على الإمبريالية والرجعية، وصولًا إلى التحرر القومي والاجتماعي الكاملين.
أيها الرفاق، إن مؤتمرنا الحادي عشر يشكّل مرحلة متقدّمة في تطوّر حزبنا؛ إذ تطوّر من حزب مكوّن من ستة عشر فرعًا في مؤتمرنا العاشر في سنة 1946، إلى سبعين فرعًا ممثّلًا في هذا المؤتمر. وقد أصبحت أوساط أكثر اتساعًا من العمّال في المدينة والقرية، ورفاق الاستيطان العامل، والإنتلجنسيا العاملة، وجنود وشبيبة، ينضمون إلى الحزب ويشاركون في فعالياته.
لقد أصبح الحزب الشيوعي الإسرائيلي عنصرًا أساسيًا مهمًا في الحياة العامة في دولة إسرائيل، بفضل وقوفه في طليعة حرب العمال وجماهير الشعب، من أجل العمل والخبز، وفي طليعة القوى البنّاءة كلها داخل الشعب، لضمان

استقلال حقيقي وديمقراطية حقيقية في دولة إسرائيل. إن تزايد قوة الحزب وتأثيره، والضغط الأميركي الشديد على حكومة إسرائيل، هما السببان في حملة التشهير ضد حزبنا التي يقودها وزراء الحكومة ورموز البرجوازية وأنصارها داخل الطبقة العاملة. وترافق حملة التشهير هذه، مطاردة وتمييز في الحصول على العمل والإسكان ومحاولات الطرد من الاستيطان. وكلما كبرنا وتعزّزنا، شحذت الرجعية أنيابها. ولكن الشيوعيين لا يرتدعون من مطاردة الرجعية، وخاصة في عصرنا، حيث تسير الشيوعية من نصر إلى آخر. إن العمال الواعين يعرفون أننا نحن الشيوعيين غير معنيين إطلاقًا بالحياة بسلام مع البرجوازيين، عبيد الإمبريالية الأميركية وأعداء الطبقة العاملة واستقلال إسرائيل. لو أن الرجعيين في دولة إسرائيل كانوا يربّتون على أكتافنا، لكنّا نخون واجبنا الشيوعي. وكلما تعزّزت قوتنا، احتدّ قتالهم لنا. وكلما احتدّ قتالهم، تعززت قوتنا وتعاظم تأييد الجماهير الشعبية لنا. لا مفر من الشيوعية، أيها الرجعيون، ولقد قال الرفيق مولوتوف: "كل الطرق تؤدي إلى الشيوعية".

إن قوتنا تكمن في صدق شيوعيتنا، وفي إخلاصنا لمصالح الطبقة العاملة وجماهير الشعب. وتنبع قوتنا من كوننا جزءًا من الجبهة الاشتراكية العالمية الكبيرة بقيادة حزب لينين - ستالين، حزب البلاشفة، بزعامة المعلم العظيم للأحزاب الشيوعية كلها، للطبقة العاملة الثورية كلها في العالم، قائد الشعوب في الحرب من أجل السلام والاستقلال، القائد الرفيق ستالين.

وبفضل مساعدة المعسكر الاشتراكي العالمي، وخاصة مساعدة الاتحاد السوفياتي ودول الديمقراطية الشعبية، قامت دولة إسرائيل وانتصر جيش الدفاع الإسرائيلي. لقد كانت هذه المساعدة السوفياتية ودول الديمقراطية الشعبية، العنصر الحاسم لانتصاراتنا السياسية والعسكرية. إننا من على منبر مؤتمرنا هذا نعبّر عن الشعور بالامتنان والتقدير من كل إنسان مستقيم في إسرائيل، للرفيق مولوتوف، والرفيق غروميكو وتسربكين، والحكومة السوفياتية، وقبل كل شيء، للحزب الشيوعي السوفياتي وقائده المعلم الرفيق ستالين، على المساعدة القيمة التي قدّموها لنا في النضال من أجل التحرر من الحكم الأجنبي، وفي سبيل الاستقلال القومي.

إننا نعبّر عن امتناننا وتقديرنا للرفيق غوتوولد، رئيس تشيكوسلوفلكيا، وللحزب والحكومة التشيكوسلوفاكية على مساعدتهم الحاسمة في المرحلة الحاسمة من الحرب على وجود الدولة. إننا نرسل تحياتنا إلى حزب العمال البولندي الموحّد وإلى الحكومة البولندية، وإلى حزب العمال الروماني الموحّد، وإلى حزب العمال البلغاري وإلى حكومة بلغاريا، وإلى حزب العمّال الهنغاري الموحد وحكومة هنغاريا، على مساعدتهم الكبيرة لدولة إسرائيل في الهجرة اليهودية المقاتلة في الأوقات الحاسمة من حرب استقلالنا.

وكما أن شعب إسرائيل لن ينسى أصدقاءه، فإنه لن ينسى أعداءه، الإمبريالية البريطانية والأميركية اللتين نظمتا غزو جيوش الدول العربية ضد استقلال الشعب اليهودي والعربي في أرض - إسرائيل. وقد حاولوا قبل ذلك الحؤول دون إقامة الدولة، وعندما فشلوا حاولوا إبادتها بأنهار من دم أبنائنا. لن ينسى شعب إسرائيل أبدًا أن ضباطًا بريطانيين وقفوا على رأس غزو أرض - إسرائيل، ولن ينسى شعب إسرائيل أبدًا أننا هوجمنا من النقب بدبابات أميركية.

إن إنكلترا وأميركا تعدّان العدّة لحرب عالمية ثالثة، ولذلك فإنهما تطاردان الأحزاب الشيوعية التي تقف في طليعة حرب الشعوب من أجل السلام والاستقلال. إن مطاردة الشيوعيين في أميركا وتقديم أحد عشر قياديًا من الحزب الشيوعي الأميركي للمحاكمة التي تذكّر بمحاكم القرون الوسطى، تثبت جنون مثيري الحرب الأميركيين وضعفهم [...].

في الجزء الآخر من أرض - إسرائيل يحارب رفاقنا الذين يقفون في طليعة الجماهير، وسط مخاطر كبيرة، لطرد الغزاة ومن أجل دولة عربية مستقلة. لن تخيفهم الاعتقالات والإعدامات. إننا معكم أيها الرفاق الأعزاء في حربكم التي هي أيضًا حربنا. إننا نرسل تحيات المؤتمر إلى عصبة التحرر الوطني التي هي الحزب الشيوعي في الجزء الآخر من أرض - إسرائيل، وإلى أمينها العام الرفيق أبو خالد [فؤاد نصار].

الإمبرياليون البريطانيون والأميركيون يتغطرسون كما فعل هتلر و[جوزف] غوبلز. ولكن نهايتهم معروفة، فسوف تشرق الشمس في أرض - إسرائيل كلها وفي العراق، وفي جميع بلدان الشرق الأوسط.

أيها الرفاق، إن مثيري الحرب الأنكلو - أميركان لا يتورّعون عن استخدام جميع الوسائل، بما فيها عملاء الإمبريالية الأميركية في أوروبا الشرقية، وهم تيتو ورنوكوفيتش وكردلي ودغيلاس الذين أقاموا نظام رعب في يوغسلافيا بإعدامهم خيرة الشيوعيين وبسجنهم آلافًا آخرين. إن مؤتمرنا يرسل تحياته التضامنية الشيوعية إلى الحزب الشيوعي اليوغسلافي الجديد الذي يعمل سرًا، وليس ببعيد ذلك اليوم الذي تتحرّر فيه يوغسلافيا من حكم الطغيان الفاشي لعصابة تيتو، وتسترد استقلالها ومكانتها في عائلة الشعوب السائرة نحو الاشتراكية والمدافعة عن السلام.

تحاول الرأسمالية العالمية، بجميع الوسائل، وقف انهيارها النهائي. ويخيّم على العالم الرأسمالي ظلّ أزمة اقتصادية خانقة، والإمبريالية المفعمة بالتناقضات الداخلية تخسر موقعًا بعد آخر. ولعلّ انتصارات الجيش الصيني بقيادة الشيوعيين الصينيين أكبر ضربة يتلقاها مثيرو الحرب الإمبرياليون منذ الحرب العالمية الثانية. إن هذا انتصار لكل معسكر السلام العالمي، انتصار عظيم لكل الشعوب المحاربة من أجل الاستقلال القومي. وهذه هي الهزيمة الكبرى

لمثيري الحرب الأنكلو - أميركان. تحياتنا للشعب والجيش الشعبي الصيني المنتصر.

إننا نرسل تحياتنا الحارة إلى قائد الصين الكبير، رئيسها وقائد الحزب الشيوعي الصيني، ماو تسي تونغ.

أيها الرفاق، لقد علل الإمبرياليون وصنائعهم أنفسهم بآمال مخطئة، وأنهم يحتكرون القنبلة الذرية، ظنوا أنهم يستطيعون بواسطتها تدمير الحضارة الإنسانية وبُناتها الاشتراكيين. ولكن خابت آمالهم، فقد أصبحت الدولة السوفياتية تملك القنبلة الذرية منذ 1947. إن انتصار العلم السوفياتي هو هزيمة لمثيري الحرب ودعم لجميع الشعوب المحبة للسلام. إن هذا المعسكر ينمو ويتعاظم، ولا يمكن للشعب أن يضمن حريته إلّا بالتحالف مع معسكر السلام المعادي للإمبريالية. إن المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي سيشق الطريق إلى تحالف إسرائيل مع معسكر السلام في العالم، بقيادة الاتحاد السوفياتي، من أجل تطور دولتنا الاقتصادي وتوفير مصادر العمل والدخل لاستيعاب الهجرة اليهودية، ومن أجل دولة ديمقراطية حقيقية ومستقلة فعلًا.

عاش المؤتمر الحادي عشر.

عاش الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

عاش حزب لينين ستالين الذي يقف في طليعة الجبهة الاشتراكية العالمية الموحدة للأحزاب الشيوعية، من أجل السلام الثابت والديمقراطية الحقيقية وأخوّة الشعوب والاشتراكية.

المصدر: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي (تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1949)، ص 7 - 12 (بالعبرية)؛ كذلك يُنظر كلمة افتتاح المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي كاملة، في: كول هعام، 23/10/1949.

الملحق (8)
قرار اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني الوحدة مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي

على إثر مباحثات جرت بين أعضاء اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني، الموجودين منهم داخل دولة إسرائيل والموجودين منهم خارجها، وعلى إثر مباحثات جرت في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي حول مسألة إعادة تأليف حزب شيوعي أممي واحد في إسرائيل، تقرر اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني ما يلي:

1 - لقد استطاع الاستعمار البريطاني، بواسطة جامعة الدول العربية والرجعية العربية الفلسطينية، أن يثير حربًا موجّهة ضد استقلال سكان فلسطين، الاستقلال الذي قررته منظمة الأمم المتحدة في 29 [تشرين الثاني] نوفمبر سنة 1949، مستهدفًا من وراء ذلك استمرار حكمه وسيطرته على فلسطين. إن العداء القومي الذي نشر بذوره الاستعمار البريطاني بالتعاون مع الرجعية العربية واليهودية خلال الثلاثين سنة المنصرمة، هو من الأسباب الرئيسة التي قادت وطننا إلى التردّي في وهدة عميقة من التردّي والاضطراب والخراب. ومن يوم أن ظهرت عصبة التحرر الوطني على المسرح السياسي - أي من قبل خمس سنوات - وهي تناضل نضالًا لا هوادة فيه ضدّ سياسة الاستعمار التقليدية؛ سياسة فرّق تسد ضد السياسة العنصرية التي انتهجتها الرجعية العربية والرجعية اليهودية. وهي تناضل أيضًا في سبيل خلق جبهة مشتركة عربية يهودية للنضال ضد الاستعمار وفي سبيل التحرر والانعتاق. إن نضال عصبة التحرر الوطني في سبيل القضاء على مشاريع المستعمر البريطاني التي كان يفرضها بين وقت وآخر، من مثل تقسيم فلسطين، وضم القسم العربي منها إلى مستعمرته الأردنية، وضم القسم اليهودي منها إلى الدومينيون، قد كان يرتكز دائمًا على أساس الدعوة الجريئة للتفاهم بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية تفاهمًا موجّها ضد الاستعمار. ولكن القيادة العربية الفلسطينية الرجعية كانت تنتهج دائمًا جميع الأساليب العنصرية التي تقود حتمًا - إذا نجحت - إلى تقسيم فلسطين بطريقة تحفظ للمستعمِر مراكزه، وبطريقة تحافظ على حالة التوتر والخصام القائمة ما بين العرب واليهود، بل تزيدها حدة وغلوًا.

2 - في الأوضاع العصيبة التي خلقتها سيطرة الاستعمار والقوى الرجعية المحلية، لم ِتوفّق الحركة الشيوعية في فلسطين التي كانت دائمًا في طليعة

النضال من أجل خلق جبهة مشتركة - عربية يهودية - للنضال ضد الاستعمار في سبيل التحرر والانعتاق. لم توفّق في خلق هذه الجبهة، بسبب أنها لم تكن هي نفسها خلال السنوات الخمس الماضية، موحدة في منظمة أممية واحدة. وهذه الحقيقة سلبت الجماهير العربية واليهودية مثلها الذي يحتذى. إن التباعد التنظيمي والسياسي في بعض الأحيان الذي كان حاصلًا ما بين الشيوعيين العرب، منظّمين في عصبة التحرر الوطني والشيوعيين اليهود، منظّمين في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، قد أفاد الرجعية العربية والرجعية اليهودية في تضليلهما الجماهير، وفي نشر سياستهما العنصرية. إن عصبة التحرر الوطني تدرك اليوم - بشكل واضح - مبلغ الخطر من تنظيم أي حركة شيوعية على أساس قومي منفصل.

3 - إن الكيان القومي المنفصل الذي اتخذته عصبة التحرر الوطني في تنظيمها، قد أفقدها إمكانية إدراك الأوضاع الجديدة في فلسطين؛ ففي خلال الثلاثين سنة الأخيرة، أخذت تظهر في فلسطين قومية جديدة يهودية مستقلة متقدّمة ومتطوّرة بالألوف من المهاجرين الذين صُهروا بمختلف أصولهم ولغاتهم في قومية واحدة، أنشأت لها لغتها وثقافتها وصناعتها وزراعتها الخاصة. إن هذه القومية الجديدة أخذت تتطوّر وتنمو بشكل واضح قُبيل الحرب الأخيرة وأثناءها على وجه الخصوص. إن ظهور هذه القومية الجديدة في المجتمع الفلسطيني قد حتّم تغيير شكل النضال في سبيل خلق الجبهة المشتركة، عربية ويهودية. أصبح من الواجب أن يناضل حزب الطليعة، حزب الطبقة العاملة، في سبيل حق القوميتين العربية واليهودية بالاستقلال وسيادة القومية، على أساس المبدأ الماركسي اللينيني لحق تقرير المصير، باعتبار هذا النضال جزءًا غير منفصل عن النضال ضد الاستعمار. إن عدم نضال عصبة التحرر الوطني على هذا الأساس قد حدّ من نتائج النضال المشترك الذي كان يشنّه العمال العرب واليهود، بقيادة الشيوعيين في سبيل مطالبهم العادلة. ومن الواضح الآن أن عصبة التحرر الوطني لو ناضلت على هذا الأساس في نضالها الصحيح من أجل التعاون بين العمال العرب واليهود، لكانت أكثر نجاحًا في مساعيها من أجل تحقيق الوحدة الطبقية المنشودة.

4 - إن التنظيم القومي المنفصل الذي ساد صفوف الحركة الشيوعية الفلسطينية - طول السنوات الخمس الماضية - قد أفسح المجال أمام تسرّب انحرافات يمينية معيّنة إلى سياسة عصبة التحرر الوطني. إن تنظيم عصبة التحرر الوطني على أساس قومي منفصل، قد أوجد في سياستها وهمًا مفاده أن الشعب العربي لوحده - ودون اعتبار القوى الثورية داخل الشعب اليهودي - يستطيع أن يحرر البلاد وأن يقضي على المستعمِر. لقد ظهر هذا الوهم عمليًا في الخطة الأساسية التي انتهجتها عصبة التحرر الوطني تجاه مسألة الوحدة الوطنية العربية التي تجمع بين دفّتيها القيادة البرجوازية وشبه الإقطاعية والقوى الشعبية الجديدة.

لم يكن في المقدور نجاح هذه الوحدة؛ فكيف يمكن لعملاء الاستعمار أن يشتركوا في جبهة لتحطيم الاستعمار؟ إن انتصار قوى الحرية في الحرب العالمية الثانية قد غيّر من نسبة القوى في العالم عمومًا وفي المستعمرات أيضًا. لقد انحازت البرجوازية المحلية في المستعمرات انحيازًا كليًا إلى جانب الاستعمار. لم يكن من نتيجة لهذه الخطة التي انتهجتها عصبة التحرر الوطني إلّا إهمال أهمية فضح القيادة البرجوازية وشبه الإقطاعية وأهمية عزلها عن حركة الشعب التحررية. لم يكن من الممكن تأليف جبهة نضالية مشتركة عربية يهودية، إلّا إذا وجّه النضال، نضالًا ثوريًا جريئًا، ضد الاستعمار، وإلّا إذا وجّه هذا النضال، في الوقت نفسه، ضد البرجوازية العربية واليهودية في سبيل عزلها عن قيادة الجماهير.

5 - ولكن من واجب عصبة التحرر الوطني أن تذكر للجنتها المركزية أنها استطاعت أن تتخلص من الانحرافات الماضية، بكل جرأة وشجاعة، وفي الدقيقة الحاسمة. لقد رحبت عصبة التحرر الوطني بقرار منظمة الأمم المتحدة الذي اتُخذ في 29 [تشرين الثاني] نوفمبر سنة 1947، والقاضي بإلغاء الانتداب وجلاء الجيوش البريطانية عن فلسطين وإعلان استقلالها التام في دولتين ذواتَي سيادة، دولة عربية ودولة يهودية، وجمعهما في وحدة اقتصادية متينة. لقد اعتبرت عصبة التحرر الوطني هذا القرار أساسًا عمليًا قويًا لاستكمال النضال في سبيل حرية فلسطين والقضاء على شعور التوتر ما بين العرب واليهود، ونشر السلام في ربوع الوطن الواحد. رأت فيه خطوة معقولة وطريقًا يمكن منه الوصول إلى وحدة فلسطين القائمة على أساس الاعتراف بحق تقرير المصير والسيادة التامة لكل من القوميتين العربية واليهودية.

إن عصبة التحرر الوطني، فيما مضى، كانت ترى في استقلال فلسطين في وحدة سياسية واقتصادية أحسن حلّ للقضية الفلسطينية. ولكن مثل هذه الوحدة لا يمكن أن تقوم إلّا على أساس التفاهم الديمقراطي ما بين العرب واليهود. ولكن الرجعية العربية والرجعية اليهودية بتأييد من الاستعمار الأنجلو - أميركي قد حالت - بكل إصرار وتشبّث - دون نشوء هذا التفاهم المرجوّ. إن المغامرة العسكرية التي قامت بها جامعة الدول العربية في فلسطين، هي استمرار لسياستها العنصرية القديمة التي لا يمكن أن تخدم إلّا مصالح المستعمِر. وها هي نتائج المغامرة العسكرية أكبر دليل على صدق هذا التقدير. لقد تبيّن الآن، بصورة لا تقبل الجدل، أن تنفيذ قرار 29 [تشرين الثاني] نوفمبر هو الطريق الوحيد الذي بقي أمام فلسطين للتخلص من سلطة الاستعمار وعبوديته وإرجاع السلام إلى فلسطين. فلذلك كله، قبلت عصبة التحرر الوطني هذا القرار وشنّت نضالها البطولي في سبيل السلام والحرية لفلسطين كلها.

وأثناء هذه المعركة التي وقف فيها أعضاء عصبة التحرر الوطني ضد الرجعية السوداء المسلحة يدافعون عن دِماء الأبرياء وعن مصالح الكادحين، لم تلِن

لهم قناةٌ، ولم يهنوا ولم يتراجعوا أمام الضغط والملاحقة والإرهاب الأسود والسجن والاعتقال، اندثرت خلافات الشيوعيين العرب واليهود. إن عصبة التحرر الوطني تذكر للجنتها المركزية أنها استطاعت في الدقيقة الحاسمة أن تنظم الشعب بكل جرأة وشجاعة وصواب خطة للتصدي للاستعمار ولأعوانه الرجعيين بفضحهم وعزلهم عن قيادة الجماهير، وأن تبدد ما كان يحلم به الرجعيون من إمكان القضاء على حزب العمال والفلاحين. إن عصبة التحرر الوطني تذكر للجنتها المركزية أنها استطاعت أن تنتقل بالحزب في المناطق العربية من العلنية إلى السرية في أقل وقت ممكن، وبأقل تضحية ممكنة، وأن تحافظ على تنظيم الحزب وعلى عمله ونشاطه الشعبي، بل أن تزيد في متانة التنظيم وفي توسيع العمل والنشاط. ولكن عصبة التحرر الوطني لا تزال تعمل في أقصى الظروف وأحلك الأوقات.

6 - واليوم، اعتمادًا على هذه الحقائق كلها، فإن سياسة عصبة التحرر الوطني هي النضال في سبيل تنفيذ قرار منظمة الأمم المتحدة، أي النضال في سبيل إنشاء الدولة العربية في الحدود التي قررتها منظمة الأمم المتحدة، دولة متحررة من جميع قوى الاحتلال الأجنبية، وذلك لتمكين سكان هذه الدولة من التمتع بالحرية والاستقلال والسيادة التامة، في سبيل ديمقراطية الحكم في الدولة العربية المنشودة، في سبيل السلام والإخاء وإنشاء الوحدة الاقتصادية بين الدولة العربية ودولة إسرائيل، في سبيل المحافظة على استقلال دولة إسرائيل وديمقراطية الحكم فيها. إن عصبة التحرر الوطني، متعاونة ومتفاهمة مع القوى الديمقراطية اليهودية، تقاوم السياسة التي تنتهجها حكومة إسرائيل الحالية تجاه المواطنين العرب، سياسة الضغط والتمييز العنصري. إن هذه السياسة تستهدف جلاء جميع المواطنين عن دولة إسرائيل، مما يخدم قضية الرجعية العربية ويساعدها على تضليل الجماهير العربية وزجّها في أتون الحرب وإطالة أمدها. إن عصبة التحرر الوطني تناضل لأجل تثبيت حق اللاجئين العرب بالعودة إلى وطنهم، إذ إن في مثل هذا العمل قوة للعناصر الساعية في سبيل تفاهم الشعبين وتعاونهما.

وإذ تقوم عصبة التحرر الوطني في دولة إسرائيل بالدفاع عن حقوق المواطنين العرب وتناضل ضد التمييز العنصري، فهي في الواقع تناضل في سبيل الديمقراطية في الدولة عامة، ليس لصالح الجماهير العربية فقط، بل لصالح الجماهير اليهودية أيضًا. وإذ تقوم عصبة التحرر الوطني في النضال ضد الأهداف التوسعية التي ينشدها بعض الأوساط الحاكمة في الدولة، فإن العصبة بذلك تقاوم تلك الدوائر الرجعية الإسرائيلية المستعدة لبيع استقلال دولة إسرائيل من الاستعمار الأنجلو - أميركي. إن المساعي التي تبذلها حكومة إسرائيل الحالية للتفاوض مع أجير الاستعمار البريطاني عبد الله، ومقاومتها للجهود التي تبذلها القوى الديمقراطية العربية في سبيل تأليف دولة عربية مستقلة في فلسطين، هذهِ كلها لا تفضي إلى نشر السلام الذي

ترغب فيه الجماهير العربية واليهودية أشدّ رغبة، بل إلى إعادة سيطرة الاستعمار البغيض، ليس على القسم العربي فقط، بل على دولة إسرائيل أيضًا. إن عصبة التحرر الوطني تلاحظ أن سياستها هذه تتفق تمام الاتفاق مع سياسية الحزب الشيوعي الإسرائيلي، هذا الحزب الذي أثبت بنضاله الواعي والجريء أنه المدافع المخلص عن مصالح الجماهير الكادحة، يهودية وعربية على السواء.

7 - أما وقد أصبحت سياسة عصبة التحرر الوطني متّفقة تمام الاتفاق مع سياسة الحزب الشيوعي الإسرائيلي، فالواجب الآن يدعو إلى إعادة تنظيم الحركة الشيوعية الفلسطينية على أساس أممي، لا قومي منفصل. لم يعد هناك ما يحول دون نشوء الحزب الموحد الأممي الذي تتطلّع إليه الجماهير العربية واليهودية منذ وقت طويل، حزب يقود نضالها في سبيل الحرية والعدالة الاجتماعية والسلم والاستقلال التام. لذلك كله، فاللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني تقترح على الحزب الشيوعي الإسرائيلي العمل المشترك على إنشاء الحزب الموحد الأممي، وترى أن مثل هذا الحزب في دولة إسرائيل يمكن أن يُبنى على أساس أجهزة عصبة التحرر الوطني الحالية. ولأجل إعادة بناء حزب شيوعي أممي موحد في دولة إسرائيل، تدعو عصبة التحرر الوطني منظماتها وأعضاءها داخل دولة إسرائيل للاندماج في الحزب الشيوعي الإسرائيلي. ولأجل قيام حزب شيوعي موحد في الدولة العربية المقترحة، ستعمل عصبة التحرر الوطني على إعادة تنظيم صفوفها على أساس أممي إقليمي، لا قومي منفصل، لتزيد من قوة نضالها لإنشاء الدولة العربية المستقلة. وأما منظمات عصبة التحرر الوطني في المناطق التي تحتلها القوات الإسرائيلية حاليًا، كالناصرة مثلا، فستحافظ على تنظيمها المستقل، وعلى وحدتها المركزية مع عصبة التحرر الوطني في القسم العربي من فلسطين، إلّا أن تعاون الحزبين ومنظماتهما يجب أن يبقى ثابتًا متينًا، ومن الضروري أن يزداد هذا التعاون ويتّسع لمصلحة فلسطين وشعبيها.

8 - وعصبة التحرر الوطني تعتبر هذا القرار التاريخي الذي اتخذته بإعادة تأليف الحزب الشيوعي الموحد الأممي، ضربة توجّهها إلى صميم مشاريع الاستعمار الأنجلو - أميركي في الشرق الأوسط. إن هذا القرار يثبت عمليًا أن في مقدور العرب واليهود أن يعيشوا جنبًا إلى جنب في تفاهم ووئام، وأن يناضلوا في جبهة واحدة مشتركة ضد عدوهم المشترك؛ الاستعمار، وفي سبيل هدفهم المشترك؛ التحرر السياسي والاجتماعي. إن هذا القرار هو برهان جديد على قوة المعسكر المعادي للاستعمار ومتانة وحدَتِه وصواب خطته، معسكر الحرية والديمقراطية والسلام العالمي، المعسكر الذي يقوده حصن الحرية الحصين، الاتحاد السوفياتي، البلد الذي استطاع أن يحلّ مشكلة القوميات حلًا عادلًا ديمقراطيًا وثابتًا. المعسكر الذي يجمع في داخله قوى الشعوب المحبة

للحرية والمناضلة في سبيل الحرية من مختلف القوميات، قوى الشعوب التي تسير إلى الأمام بكل جرأة وشجاعة بقيادة الأحزاب الشيوعية في كل بلد من البلاد.

إن هذا القرار سيكشف عن آفاق رحبة جديدة أمام شعبينا، سيخلصهما من مفاهيم الاستعمار ومفاهيم أُجَرَائه الرجعيين، سيعيد الأمل والثقة إلى نفوس الشعب العربي الفلسطيني، إلى نفوس ألوف المشردين الهائمين على وجوههم، سينّبه الشعوب العربية إلى حقيقة القضية الفلسطينية، إلى حقيقة المؤامرة البشعة التي يشترك فيها الاستعمار مع الرجعية العربية الحاكمة ضد الشعوب العربية نفسها، وضد حرية أوطانها ومستقبلها.

أواخر أيلول [سبتمبر] 1948

اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في فلسطين

المصدر: الاتحاد، 18/10/1948.

الملحق (9)
قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي في شأن تنظيم العلاقة مع عصبة التحرر الوطني

في اليوم الأول من شهر تشرين أول [أكتوبر] سنة 1948، تلقّت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي قرار اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في فلسطين، والذي تقترح فيه وحدة عصبة التحرر الوطني في دولة إسرائيل مع الحزب الشيوعي الإسرائيلي ضمن أجهزة الحزب الشيوعي الإسرائيلي الحالية. وقد جرى بحث اقتراح اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في اجتماع عقدته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، فتقرر في هذا الاجتماع ما يلي:

1 - إن الحزب الشيوعي الفلسطيني، طول السنين التي عمل فيها، وحتى أيار [مايو] سنة 1943، هو حزب أممي في تأليفه. ونتيجة للأزمة التي حدثت في الحزب بسبب الأخطاء التي ارتكبتها القيادة القديمة بسبب انعدام المركزية الديمقراطية داخل الحزب، نظّم الرفاق العرب أنفسهم في منظمة منفصلة هي عصبة التحرر الوطني، واستمر الرفاق اليهود منظّمين في الحزب الشيوعي الفلسطيني. وهكذا، فقد الحزب الشيوعي كيانه التنظيمي الأممي. إن هذا العمل هو مناقض للمبادئ اللينينية - الستالينية في تنظيم الحزب، وقد أضرّ ضررًا كبيرًا بالحزب وبالقوى الديمقراطية في فلسطين في نضالها ضدّ الاستعمار، وضدّ الرجعية العربية واليهودية.

2 - ومع أن الحزب الشيوعي الفلسطيني (الحزب الشيوعي الإسرائيلي فيما بعد) كان في الواقع لا يتألف إلّا من الرفاق اليهود، طول السنوات الخمس الماضية، إلّا أنه ظل يعتبر نفسه حزبًا أمميًا في طبيعته ومفاهيمه وسياسته. ولقد جرى تثقيف أعضاء الحزب بهذه الروح، وشنّ الحزب نضالًا مستمرًا في سبيل إعادة الوحدة التنظيمية مع الرفاق العرب المنظّمين في عصبة التحرر الوطني. وفي كل مؤتمر من المؤتمرات الثلاثة التي عقدها الحزب خلال السنوات الخمس الماضية، كانت هذه القضية مركزًا للمناقشات؛ إذ كان من المفهوم بوضوح أن المورد [الرئيس] لقوة القوى المكافحة للاستعمار هو وحدتها السياسية والتنظيمية، كما أن المورد [الرئيس] لقوة الاستعمار هو في سياسة فرّق تسد.

لقد جاء في قرارات المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الذي عُقد في سنة 1944 ما يلي:
"من المستحيل فصل النضال من أجل الديمقراطية واستقلال فلسطين عن النضال في سبيل الأخوّة بين شعبي هذه البلاد. والعكس صحيح أيضًا: من المستحيل فصل النضال من أجل الأخوّة بين الشعبين عن النضال في سبيل الديمقراطية والاستقلال".
وجاء في قرارات المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الذي عُقد في [أيلول] سبتمبر 1945 ما يلي:
"يعتبر المؤتمر، كواجب رئيسي له، أن يبذل جميع الجهود من أجل تعاون أتم بين الحزب الشيوعي والقوى التقدمية العربية، وعلى وجه الخصوص مع عصبة التحرر الوطني من أجل الوصول إلى الوحدة السياسية والتنظيمية في حزب شيوعي أممي موحد".
وجاء في قرارات المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الذي عُقد في [كانون الأول] ديسمبر 1946 ما يلي:
"إن المؤتمر يقدّر الجهود التي بذلتها لجنة الحزب المركزية خلال المدة بين المؤتمر التاسع والمؤتمر العاشر من أجل إعادة الكيان الأممي للحزب. ويعتبر المؤتمر أن وحدة العرب واليهود هي أمر أساسي من أجل تحقيق النصر في النضال ضدّ الاستعمار. إن ثمة شعبين يعيشان في هذه البلاد، ومصلحتهما واحدة، ومن أجل تحررهما من الحكم الاستعماري الذي يضطهدهما، ومن أجل نجاح نضالهما ضد الاستعمار، من الضروري أن ينشأ تعاون بين العرب واليهود، وخصوصًا بين عمّال الشعبين وقواهما التقدّمية. إن حجر الزاوية في بناء التعاون العربي اليهودي لا يمكن أن يكون إلّا حزبًا شيوعيًا أمميًا موحّدًا. إن نشوء هذا الحزب - بحد ذاته - يبرهن على إمكانية التعاون بين العرب واليهود في فلسطين، على أساس المصالح الاجتماعية والقومية للشعبين كليهما، وعلى أساس نضالهما المشترك في سبيل الديمقراطية. إن نشاط حزب أممي ثوري هو ضرورة حيوية في أوضاع فلسطين حيث نجح الاستعمار في التفرقة بين العرب واليهود. ويعتبر المؤتمر كواجب أساسي له، أن يبذل جميع المحاولات من أجل إعادة تأليف الحزب الأممي في تنظيمه".
3 - إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تقدر برضا وتعلن عن استعدادها التام لقبول المقترحات التي تضمّنها قرار اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني حول إعادة الوحدة الأممية للحزب الشيوعي. ومن أجل تحقيق هذه الوحدة في أسرع وقت ممكن، فقد تقرر بالاتفاق مع اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني ما يلي:
أ - توسيع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، بضم أعضاء اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني المقيمين في دولة إسرائيل وأعضائها المنظمين، في صفوف الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

ب - عقد اجتماع واسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي التي جرى توسيعها، وباشتراك لجان الحزب المحلية وممثلين عن الرفاق المجنّدين، وباشتراك اللجنة المركزية لعصبة الشبيبة الشيوعية. ويعقد هذا الاجتماع الواسع في مدينة حيفا، في الثاني والعشرين من شهر تشرين أول [أكتوبر] سنة 1948.

وسيكون برنامج هذا الاجتماع كما يلي:

1 - استعراض سياسة الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

2 - إعادة إنشاء حزب شيوعي أممي واحد.

3 - تعيين تاريخ انعقاد المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي.

4 - إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تلاحظ برضا التغيير الحاصل في الموقف السياسي الذي اتخذته عصبة التحرر الوطني تجاه القضية القومية في فلسطين. إن الموقف الماضي الذي وقفته عصبة التحرر الوطني من هذه القضية قد عرقل وحدة الحزب الشيوعي. إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تعتبر هذا التغيير الحاصل بمثابة مساهمة في تحقيق الوحدة.

إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تحيّي القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني بصدد إعادة تنظيم الحزب في القسم العربي على أساس أممي، وتنظر إلى أمام نحو تقوية التعاون بين الحزبين الشيوعيين الأممين. وسينضم أعضاء الحزب الشيوعي الإسرائيلي في الدولة العربية المقترحة إلى صفوف الحزب الشيوعي الذي سيُعاد تنظيمه على أساس أممي في الدولة العربية.

5 - إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تحيّي إعادة الوحدة الأممية في الحزبين؛ في إسرائيل وفي القسم العربي من فلسطين، معتبرة ذلك انتصارًا تاريخيًا كبيرًا أحرزته قوى التقدّم والاستقلال في دولة إسرائيل، وفي القسم العربي من فلسطين، وفي الشرق الأوسط، ومعتبرة ذلك أيضًا ضربة توجّه إلى صميم الاستعمار الأنجلو - أميركي، وإلى صميم أعوانه في البلاد العربية وفي دولة إسرائيل. إن وحدة طليعة الطبقة العاملة في دولة إسرائيل انتصار كبير للنضال الطبقي الذي تشنّه الطبقة العاملة.

إن مبدأ أخوة الشعوب يحتفل اليوم بانتصاره الأول الكبير في بلادنا. إن هذه الخطوة هي خطوة هامة من أجل تصفية النتائج التي خلقتها سياسة فرق تسد التي انتهجها الاستعمار البريطاني طول ثلاثين سنة. وفي النضال من أجل أخوّة الشعوب في فلسطين، تعلّم الحزب الشيوعي درسه الأساسي من الاختبارات التاريخية الواسعة للاتحاد السوفياتي وللحزب الشيوعي البلشفي المظفر الذي يرأسه قائده الكبير ستالين. هذه الاختبارات التي أظهرت أن وحدة الشعوب هي أمضى الأسلحة في النضال ضدّ الاستعمار وضدّ الرجعية.

إن نظرية ماركس - أنجلز - لينين - ستالين الثورية التي أنارت سبيل الحزب الشيوعي الإسرائيلي ونضالنا ضد التعصب القومي (الشوفينية)، وضد تأثيره على حركة العمال، ونضالنا ضد نظرية "الشيوعية العبرية" المعادية للماركسية؛ كل ذلك قد جعل من الممكن تحقيق انتصار الطبقة العاملة في دولة إسرائيل، ذلك الانتصار الكبير الذي تحقق بإعادة الوحدة الأممية للحزب الشيوعي.

إن إعادة الوحدة الأممية في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، ستقوّي نضال دولة إسرائيل من أجل الاستقلال، ستقوي النضال من أجل حكم ديمقراطي في دولتنا، وستقوي النضال من أجل الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة والجماهير الكادحة.

6 تشرين الأول [أكتوبر] 1948

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي

المصدر: المرجع نفسه.

الملحق (10)
تحويل فروع عصبة التحرر الوطني في المناطق الواقعة تحت السلطة الإسرائيلية إلى فروع للحزب الشيوعي في إسرائيل

في نهاية أيار [مايو] 1949، بحثت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في إسرائيل في القضايا التنظيمية ذات الصلة بفروع عصبة التحرر الوطني في المناطق الواقعة تحت سلطات دولة إسرائيل. وبالاتفاق التام مع قيادة هذه الفروع، اتخذت اللجنة المركزية القرار التالي:

1 - إن اجتماع التوحيد الواسع الذي عقد في 22 - 23 من تشرين الأول [أكتوبر] 1948، والذي أعيدت فيه الوحدة الأممية للحزب الشيوعي في إسرائيل، قد قرر إبقاء الفروع الموجودة في المناطق التي خصصت للدولة العربية المستقلة طبقًا لقرارات الأمم المتحدة في 29/11/1947، والواقعة تحت سلطان حكومة إسرائيل، فروعًا لعصبة التحرر الوطني.

2 - ولكنْ، نظرًا للأوضاع الموضوعية القائمة، كانت هذه الفروع تُدار عمليًا - منذ عودة الوحدة الأممية إلى الحزب - من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في إسرائيل.

3 - وطبقًا لهذه الحالة الواقعة، تقرر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي تغيير اسم هذه الفروع وتحويلها إلى فروع للحزب الشيوعي الإسرائيلي.

4 - إن هذا القرار يساعد على النضال ضد التمييز القومي، ومن أجل نظام ديمقراطي في إسرائيل، ويساعد أيضًا على تجنيد قوى أوسع لتأييد نضال الشعب العربي من أجل حقه في تقرير مصيره، ومن أجل دولة مستقلة في القسم الآخر من فلسطين، ومن أجل تآخي الجماهير اليهودية والعربية في نضالها من أجل الاستقلال والديمقراطية والسلام.

5 - إن الحدود بين دولة إسرائيل والدولة العربية المزمع إنشاؤها تقررها الدولتان في مفاوضات ودّية، غايتها تأمين مصالح الجماهير العاملة ومصلحة الاستقلال والحرية ونجاح النضال ضدّ الاستعمار وصنائعه.

6 - واللجنة المركزية إذ تؤكد حق كل أمة في تقرير مصيرها بنفسها، تعرب عن معارضتها في ضم أي جزء من فلسطين، بما في ذلك المناطق الواقعة تحت سلطان حكومة إسرائيل، إلى الاستعمار الأنجلو - أميركي، بشكل مباشر

أو غير مباشر، أي بواسطة الدول العربية المجاورة أو نظام "دولي" أنجلو - أميركي. وفي الوقت نفسه، تعرب اللجنة المركزية عن معارضتها لاتجاهات التوسع في إسرائيل التي تقوي أولئك الذي ينشدون تعكير السلام وحرمان الشعب العربي من حقه في تقرير مصيره.

7 - إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في إسرائيل تحيّي عصبة التحرر الوطني في القسم الآخر من فلسطين، وتعرب عن تضامنها معها في نضالها البطولي من أجل حق تقرير المصير والاستقلال للشعب العربي، ومن أجل الديمقراطية والحرية والسلام في هذه البقعة من العالم.

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي

المصدر: الاتحاد، 26/6/1949.

الملحق (11)
نموذج من الأسلحة التشيكوسلوفاكية التي استخدمها الجيش الإسرائيلي في حرب 1948



المصدر: موشيه يغار، تشيكوسلوفاكيا والصهيونية وإسرائيل: تطوّر علاقات مركبة (تل أبيب:

المكتبة الصهيونية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية، 1979)، ص 128 - 129 (بالعبرية).

الملحق (12)
طائرة حربية تشيكوسلوفاكية استخدمها سلاح الجو الإسرائيلي في حرب 1948



المصدر: المرجع نفسه.

الملحق (13)
خريطة فلسطين عقب قرار التقسيم (1947) وخطوط وقف إطلاق النار (1949)



المصدر:

"The UNGA Partition plan, 1947 - The 1948 War & The 1949 Armistice lines," PASSIA, accessed at 15/11/2021, at: https://bit.ly/3FCBwoN

المراجع

1 - العربية

الأممية الشيوعية والثورة العربية: الكفاح ضد الإمبريالية، الوحدة، فلسطين: وثائق 1931. ترجمها وقدّم لها إلياس مرقص. بيروت: دار الحقيقة، 1970.

بابِه، إيلان. التطهير العرقي في فلسطين. ترجمة أحمد خليفة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007.

الدباغ، مصطفى. موسوعة بلادنا فلسطين: الجزء الرابع (القسم الثاني): في الديار اليافية. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، [1965 - 1976].

سمارة، سميح. العمل الشيوعي في فلسطين: الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية. بيروت: دار الفارابي، 1979.

الشريف، ماهر. الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين 1919 – 1948: الوطني والطبقي في الثورة التحررية المناهضة للإمبريالية والصهيونية. القدس: منشورات صلاح الدين، 1982.

شلش، بلال محمد. يافا.. دمٌ على حجر: حامية يافا وفعلها العسكري: دراسة ووثائق. ج 1. الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019.

العارف، عارف. النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود: 1947 – 1952. ج 1. صيدا: منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، [1956 - 1962].

______. النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود: 1947 – 1955. ج 4. صيدا: منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، [1956 - 1962].

عصبة التحرر الوطني، قرارات اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني في فلسطين، "حول الوضع الذي نشأ في فلسطين بعد نجاح المؤامرة الاستعمارية الدامية عليها، وعن أخطاء عصبة التحرر الوطني، وعن تكوين حزب موحد للطبقة العاملة في القسم العربي من فلسطين وشرق الأردن" (أيار/مايو 1951).

فرح، بولس. من العثمانية الى الدولة العبرية. حيفا: الصوت، 1985.

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي. المؤتمر الخامس عشر. تل أبيب يافا: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1968.

محارب، عبد الحفيظ. هاغاناه، إتسل، ليحي: العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة 1937 – 1948. بيروت: مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، 1981.

محارب، محمود. الحزب الشيوعي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية 1948 – 1981: دراسة نقدية. القدس: [د. ن.]، 1989.

______. "الصهيونية والهاجس الديمغرافي". شؤون فلسطينية. العدد 194 (أيار/مايو 1989).

______. "مراجعة كتاب الأمة المسلّحة: صعود ظاهرة الاحتياط في إسرائيل وأفولها". سياسات عربية. العدد 2 (أيار/مايو 2013)، ص 167 - 171.

______. "الأرشيفات في إسرائيل والرواية التاريخية الإسرائيلية والنكبة: كشف النقاب عن التقرير الذي يدحض الرواية التاريخية الإسرائيلية". أسطور. العدد 14 (تموز/يوليو 2021)، ص 189 - 237.

مصالحه، نور الدين. طرد الفلسطينيين: في مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882 – 1948. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992.

مناع، عادل. نكبة وبقاء: حكاية فلسطينيين ظلوا في حيفا والجليل (1948 – 1956). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2016.

منيّر، إسبر. اللد: في عهدي الانتداب والاحتلال. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1997.

2 - العبرية

أرشيف دولة إسرائيل. "الجلسة الثانية عشرة لمجلس الدولة المؤقت"، في: https://bit.ly/3fZ6Cg1

أرشيف معهد لافون. "شهادة ميكونس"، رقم 104 - 151A - 85 - 1v.

أورون، يئير. الكارثة والنهضة والنكبة. تل أبيب: ريسلينغ، 2013.

بن غوريون، دافيد. يوميات الحرب: حرب الاستقلال 1947 – 1949. تل أبيب: وزارة الأمن، 1982.

______. من اليوميات: حرب الاستقلال 1948 – 1949، غرشون ريفلين وإلحنان أورن (محرران) (تل أبيب: وزارة الأمن، 1986).

بينكوس، بنيامين. علاقات خاصة: الاتحاد السوفياتي وحلفاؤه وعلاقاتهم مع الشعب اليهودي والصهيونية ودولة إسرائيل 1939 – 1959. القدس: معهد بن غوريون لبحث إسرائيل والصهيونية؛ كريات سديه بوكير؛ جامعة بن غوريون، 2007.

تماري، دوف. الأمة المسلّحة: صعود ظاهرة الاحتياط في إسرائيل وأفولها. تل أبيب: وزارة الأمن، 2012.

حرب الاستقلال 1948 – 1949: بحث مجدد. ألون قديش (محرر). ج 1. تل أبيب: وزارة الأمن، 2004.

حلميش، أبيبا. "مبام في حرب الاستقلال: من جبهة القتال إلى مقاعد المعارضة"، في: مردخاي بار - أون ومئير حزان (محرران). سياسة في الحرب: مجموع أبحاث عن المجتمع المدني في حرب 1948. القدس: يد يتسحاق بن تسفي؛ المعهد لأبحاث الصهيونية في إسرائيل؛ الجمعية لبحث قوة الدفاع على اسم يسرائيل غليلي، 2014.

"خطاب شموئيل ميكونِس في الكنيست"، في: محاضر الكنيست (أيلول/سبتمبر 1949).

رابين، يتسحاق. دفتر مذكرات خدمة. مج 1. تل أبيب: مكتبة معاريف، 1979.

راز، آدم. نهب الممتلكات العربية خلال حرب الاستقلال. حيفا: كرمل، 2020.

سلمون، شمري. بداية مشروع ملفات القرى في الهاغاناه: الفكرة والتنفيذ، 1943 – 1945. القدس: الجامعة العبرية، 2014.

______. مشروع ملفات القرى 1945 – 1948. تل أبيب: أرشيف تاريخ الهاغاناه، 2018.

سلوتسكي، يهودا. كتاب تاريخ الهاغاناه. ج 2، مج 3. تل أبيب: عام عوفيد، 1972.

شبيرا، أنيطا. يغآل ألون: ربيع حياته – سيرة ذاتية. تل أبيب: هكيبوتس همئوحاد، 2004.

فايتس، يوسف. يومياتي ورسائلي للأبناء. مج 3. رمات غان: مسادا للنشر، 1965.

فرانكل، ي. (محرر). الحركة الشيوعية والييشوف في أرض إسرائيل 1920 – 1948. القدس: أكادمون، 1968.

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي. المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي. تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1949.

______. المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي. تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1952.

______. خمسون سنة لتأسيس الحزب الشيوعي في البلاد. حيفا: الحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1970.

ليبررخت، هانس. الفلسطينيون: ماضٍ وحاضر. تل أبيب: مفعليم أونيفرسيتاييم، 1987.

ماركوفيتسكي، يعقوب. الجمرة المقاتلة: التجنيد من خارج البلاد في حرب الاستقلال. تل أبيب: وزارة الأمن، 1995.

______. "مؤامرة شيوعية أم مساعدة للأخوة: تجنيد البريغادا التشيكوسلوفاكية 1948 - 1949". عيونيم بتكومات يسرائيل (دراسات في نهضة إسرائيل). العدد 6 (1996)، ص 190 - 201.

محاضر مجلس الدولة المؤقت: تل أبيب، 1948 – 1949 (14/5/1948).

مرحاف، بيرتس. تاريخ الحركة العمالية في أرض إسرائيل: التطوّر الفكري السياسي. مرحافيا: هاكيبوتس هآرتسي، 1967.

موريس، بيني. 1948: تاريخ الحرب العربية – الإسرائيلية الأولى. تل أبيب، عام عوفيد، 2010.

ميكونِس، شموئيل. عواصف الزمن. تل أبيب: اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الإسرائيلي، 1969.

يبلونكا، حنة. استيعاب ومشاكل اندماج بقية اللجوء [اليهودي] في المجتمع الإسرائيلي المتكون: من 29 نوفمبر 1947 وحتى أواخر 1949. القدس: الجامعة العبرية في القدس، 1989.

يغار، موشيه. تشيكوسلوفاكيا والصهيونية وإسرائيل: تطوّر علاقات مركبة. تل أبيب: المكتبة الصهيونية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية، 1979.

"يوم 31 أيار/مايو 1950"، في: محاضر الكنيست. القدس: المطبعة الحكومية، 1950.

3 - الأجنبية

Bashear, Suliman. *Communism in the Arab East, 1918 - 1928*. London: Ithaca Press, 1980.

Meir, Golda. *My Life*. Jerusalem/Tel Aviv: Steimatzky, 1975.

Shlaim, Avi. "Israel and the Arab Coalition in 1948." in: Eugene L. Rogan & Avi Shlaim. *The War for Palestine: Rewriting the History of 1948*. New York: Cambridge University Press, 2001.